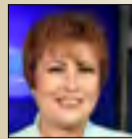


موقف

هذا هو البديل...



أحمد بن مصطفى



بن عبد الله



جمال الدين العويدي

موقف



بقلم: عز الدين سعيدان

تونس ضحية
تناقضاتها
ونكث تعهداتها

الشارع
المغاربي

أسبوعية مستقلة تحترم القارئ

العدد 355 - من الثلاثاء 11 إلى الاثنين 17 أبريل 2023 - الموقع الإلكتروني www.acharaa.com - البريد الإلكتروني: maghrebstreet@gmail.com

«الشارع المغاربي» ينشر النص
الكامل لـ «مبادرة» «ميثاق تونس
من أجل استرجاع وصيانة
الديمقراطية» المعدة من قبل
7 من الموقعين

سعيد يرفض املاءاته :
هل يوجد بديل لصندوق
النقد الدولي؟

23 سنة بعد رحيله :

بورقيبة
المرجع الدائم

«الشارع المغاربي»

تجاوز روبرو Chat GPT

اعتماد الذكاء الاصطناعي
في التسليح قد يتسبب
في كوارث للبشرية
يمكن للبشر والروبوتات
العمل سويا لتحسين حياتنا
وتجنب الأخطار المحتملة



رسالة إلى المجاهد الأكبر

بقلم : دكتور فوزي البدوي - أستاذ الدراسات اليهودية بالجامعة التونسية



المقارنة بسوسة فهي مراكز اختطفت النظام الجمهوري وقيمه ولا تعرف للجمهورية لها مزية في الدفع بهذا الإسلام لمواجهة العالم الحديث ومشاكله خاوية على عروشها الا من بعض ما لا يسمن ولا يغنى من جوع.

في جمهوريتك انتشرت الكتابات من كل نوع بعضها مما يقال أن للدولة عليه رقابة وبعضه مما لا سيطرة لها عليه بل هو تحت امرة جمعيات لا يعرف لها نسب بالضبط بل وانتشرت ذات ثورة حدثت عشرات بل مئات من الجامعات الوهمية في ربوع البلاد تدرس العلوم الشرعية على ايدي بعض ممن جاء من السودان وموريتانيا وسوريا وغيرها من البلاد وتعطي اجازات وشهادت في غياب تام للدولة وأجهزة رقابتها وانتشرت في مساجدك خطب عجيبة واستسهل المنبر كثير ممن افلت من رقابة الدولة. كل يغنى على ليلاه ولم تنتبه الى انه كان عليك أن تأخذ هذا الامر على عاتقك بكيفية صارمة تكويننا ورقابة حتى لا ينفلت حال المجتمع من بعدك وقد انفلت وذاقت منه البلاد الولايات وان تصون المنبر الذي اعتليته اكثر من مرة من العبث فلا تستودعه كثيرا ممن لا صلة لهم بمشروعك وجمهوريتك.

سيدي الرئيس المجاهد الأكبر باني تونس ومحرم المرأة

نحن ندفع اليوم بعضا من سوء تقديرك وتقديرنا من بعدك لخطر المسألة الدينية التي تهادى فيها خلفك قبل أن يمسك بالبلاد من اقصى مضاجع دولتك لأربعين سنة ولا يزال. لقد فشلت وما كنت تريد أن تفشل وفشل كل من جاء بعدك لانهم لم يفهموا أن الجمهورية لا تستقسم وهي تحمل في أحشائها أسباب مقتلها. واعلم أن دار لقمان لا تزال على حالها بعد أن استيقظ ذلك المارد البربري الذي طالما حذرت منه بعد سبات طويل فدمر كل شيء والآن فقط أدركنا متأخرين أن إعادة السفينة الجانحة إلى مسارها أمر عسير المنال وادركنا للمرة الأخيرة أننا اخطأنا ربما في حقل بعض الخطأ وعذرنا أن خير الخطائين التوابون. ولقد علمنا التاريخ والاحداث رغم كل هفواتك أنك في السياسة من قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ***ومن يسوي بانف الناقة الذنبا لقد كنت كثيرا مما ترد لامية الشنفرى وتعجب بقوله «أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل» وها قد رحلت وانت تعلم علم اليقين أن مشروعك لم يكتمل رغم أنك شربت من أجل هذا الشعب كثيرا من المار على القذى ***وظممت وأي الناس تصفو مشاريه؟

سيدي الرئيس المجاهد الأكبر باني تونس ومحرم المرأة

رحلت وكان لا بد أن ترحل وجاء من بعدك « القوي الامين» ثم رحل غير مأسوف عليه ثم جاءنا مجنون بني عجل مدمر سوريا وخادم من علمه كيف يصافح ذاك الذي كان يُصرع في كل يوم مرة بعد أن اقبل البدر علينا من قبله من ثنيات المطار حفيد عبيبة بن حصن الأحمق المطاع فظل يأتينا منه في كل يوم ما تضيق به الصدور وها نحن اليوم عطشى يترأى في كل مرة لنا سراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جئناه لم نجده شيئا. أعلم أنك حزين على بلدك تونس التي أحببت ولا شك أنك لو كنت حيا اليوم لما ترددت في أن تقول مع الطغرائي شاعرك المفضل «ما كنت أحسب أن يمتد بي زمني... حتى أرى دولة الأوغاد والسفل»

رحمك الله سيدي الرئيس لقد أحببت تونس كما لم يحبها أحد صباح مساء ويوم الأحد واغفر لنا فقد ضيعنا الأمانة.

صدرت هذه الافتتاحية في العدد 324 بتاريخ 30 أوت 2022. نظرا لتناغمها مع الذكرى 23 لوفاة الزعيم بورقيبة ارتأينا من المفيد إعادة نشرها.

في علم الدساتير.

سيدي الرئيس المجاهد الأكبر باني تونس ومحرم المرأة

لن احدثك عن الاقتصاد وقيادة البلاد ويأس الناس وضياح البوصلة وافتقاد المشروع فذلك كله « سخط» كما كنت تقول. ولن اوجع دماغك بالحديث فيه وانما سأحدثك عن مكنم مقتل النظام الجمهوري الذي أردته خلاص التونسيين. أولئك الذين قال فيهم أعداؤك انهم «غبار من البشر».

لقد سعيت إلى توحيد التعليم ووضعت حدا للجامع الأعظم وعوضته بجامعة زيتونية كنت تظنها علاجا لهذا الإسلام المتهاك الذي اتعبته القرون ولكنك أخطأت فهذا الذي صنعت تحول إلى عبء على الجمهورية فلا هو تشرب قيمها ولا هو ساهم في اخراج المسلم الحزين من مأزقه التاريخي بل صار يجمع اشتاتا من خريجي السودان وسوريا ومصر بل وحتى من البوسنة والهرسك مع ولاء شبه تام لفكر الاخوان الذي طالما حذرت منه. لقد انتقمتم هذه المؤسسة منك ومن جمهوريتك وحدثتكم ومشروعك وقعدت لك بالوصيد بل زادت ففرخت لك هيكلا جديدا هو مشيخة الجامع تشبها وتيمنا بسالف الايام الخوالي وبتت لها فروعا في البلاد امعانا في تشتيت التعليم وخلق كيانات موازية على عادة من تشبع بالموازي في كل شيء نصرة للجماعة ضد الدولة.

سيدي الرئيس المجاهد الأكبر باني تونس ومحرم المرأة

صنعت في آخر ايامك مجلسا اسلاميا أعلى أردته أن يكون حزاما للجمهورية من هذا الاسلام السياسي الذي بدأ يأتي على الأخضر واليابس في بلاد المسلمين ولم يستثن بلدك الذي احببت ولكن هذا المجلس صار من بعدك عونا لأعدائك وعشش فيه من ناصب جمهوريتك العداة بل زين لهذه المجلس حينما من الدهر أن يعطي لنفسه من الصلاحيات ما به يراقب برامج التعليم. ومن يريد أن يتثبت في بعض صلاحياته فلينظر في مشمولاته وتركيبته وبعض مواقفه المنكرة في رسالته الشهيرة ذات يوم إلى مؤسسة الإذاعة والتلفزة وكيف نصب نفسه محكمة للتفتيش «من أجل الحفاظ على مشاعر المسلمين وحقوقهم في حماية عقيدتهم، من البرامج الهدمية للأمن الثقافي والعقدي» في نحت لمفهوم ما سمعنا به قط في كتب الأولين ولا الآخرين.

سيدي الرئيس المجاهد الأكبر باني تونس ومحرم المرأة

لقد أوكلت تعليم الدين إلى المؤسسة التي خلت أنها استجابت إلى حلمك في دولة حدائثية اردتها أن تكون وريثة حركة الإصلاح الممتدة منذ القرن التاسع عشر ولكنها ما فعلت. فلقد اربكت برامجها ونوعية خريجها تعليم الناشئة وافسدت أحيانا كثيرة ما يتلقى أبناء الجمهورية في دروس الفلسفة والعلوم الصحيحة. بل فكر بعضهم ذات يوم في تدريس ناشئة العلوم أفانين من هلوسات الاعجاز العلمي التي لا تدرسها أي مؤسسة علمية محترمة في أي مكان من العالم. هذه الهلوسات التي ينادي بها أمثال زغلول النجار والمتحيل مورييس بوكاي لتلاميذ يدرسون المنهج التجريبي وفلسفة الانوار... لقد فاتك أن تفهم انك لن تستطيع أن تبني الجديد برسكلة القديم وفاتك أن تخلق مؤسسات النظام الجمهورية نفسه وتصنعها صنعا من العدم وفات ذلك من جاء بعدك فبذت مدرستك في هذا الشأن بالذات هزيلة لا تستبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

سيدي الرئيس المجاهد الأكبر باني تونس ومحرم المرأة

لن ازعجك أكثر بوصف حال مؤسسة الإفتاء وهل تحتاج الجمهورية إلى مفت؟ ولن احدثك عن مركز الدراسات الإسلامية في عاصمة الأغالبة ولا بحال مركز حوار الحضارات والأديان

سيدي الرئيس المجاهد الأكبر باني تونس ومحرم المرأة

أعلم أنك تسمع في روضتك ما أقول ولكنك لا تقدر أن تجيب كما روي عن النبي يوم بدر ... ولذلك أقول لك أن تونس التي أحببت ليست بخير.. أنت لا تعرفني وإن التقيت ابن أربع سنين زغب الحاصلة كما يقولون فاحتضنتني كما حدثني والذي في مدينة بني مطير حيث كان رحمه الله وطيب ثراه معلما يتنقل بين أرياف البلاد.

أنا سيدي الرئيس من جيل لم يعرف الاستعمار. سمعت عنه من والدي وليس من رأى كمن سمع. تعلمت في مدرستك ثم في جامعك. درست في مدارس ريفية من جبال خمير إلى عين دراهم وغيرها. كنت أكل لمجتي من الهريسة والسردين والجبنة أحيانا في المدرسة الريفية التي بنيت وانتظرها بفارغ صبر مع كل رنة جرس. لم أشعر بالجوع ولا بالبرد ثم كبرت ودخلت المعهد الثانوي وكنت أنجذب إلى توجيهاتك وأنصت إلى خطاباتك ... وبدأت أدرك أنك زعيم حقا ولكني أدركت مبكرا أنك عربي أيضا فيك من عيوب العرب ما لم تستطع التخلص منه وتلك قصة أخرى. في الجامعة «اكتشفت» في المعلقات الحائطية أنك عميل للإمبريالية مثلما كان يصفك الكثير من أتباعي. كانوا يعددون اخطاءك ويضخمون مثالبك ويتبعون عوراتك ولم يكونوا لبروا فيك إلا ما هو سيء. كانوا يصفونك بالرجعية ويشنعون عليك معاداتك عبد الناصر وأمين القومية معمر القذافي ويلعنونك في السر والعلن ويحاربونك بسهام الليل حينما لا يقدر عليك غيرها. كانوا يلعنون معاداتك القومية والشيوعية وكرهك الأعراب الذين كنت تقول عنهم «عريان مع عريان ما يتلاقوا كان في الحمام ...» ويستكثرون عليك الحديث عن « الأمة التونسية » في حين كانت قلوبهم تهفو إلى «تيرانا» أنور خوجة وصين ماو تسي تونغ وبيونغ يانغ الرفيق كيم جونج ايل وريث فكر زوتشيه العظيم.. ثم جاء الإخوان فلعنوك في المساجد بعد أن بارت تجارتهم على يديك وكفروك كما كفرك ابن باز والشيخ كشك ولم يمر يوم من السنوات التي قضيتها في الجامعة إلا وكان لك فيها نصيب من الكراهية والشتيمة...التقى عليك اليسار الغبي واليمين الحاقد ووكرز ففضى عليك المتملقون من حزبك الذي صنعه بنفسك ولنفسك.... ولأنك عربي وفيك من العرب عيب «الإمارة ولو على حجارة» أببت إلا أن تتحدى الزمن وتنكر سننه فبلغت أرذل العمر وكنت أن ترى ما رآه ابن المعتز في آخر ايامه حينما كان يتجول في بغداد وقد سملت عيناه يستجدي الناس قائلا أنا من قد عرفتم ولكن ماضيك غفر لك... وانتفض عليك أحد الانكشارية فحملك على التنازل ثم انشغل بعد سنوات قليلة بعمارة قصور تركها عما قريب وجمع أموالا كانت عوننا لأعدائه عليه... كنت زعيما ما في ذلك شك ولكنك كنت بشرا لم يحسن قراءة لامية لابن الوردي وكثيرا ما كنت تستشهد ببيته الشهير :

أن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا أن عدل وكنت تضرب بعصاك الأرض وتقول نعم هذا أن عدل.. هذا أن عدل

سيدي الرئيس المجاهد الأكبر باني تونس ومحرم المرأة

استسمح وأنت في منامك الطويل أن أقول لك أن تونس ليست بخير وسأقص عليك بعض ما لم تحط به خبرا.

فدستور 56 الذي جعلته مدخل النظام الجمهوري ومدفن الملكية ضاع في الزحام واستعاض عنه من جاء بعدك بدستورين واحد كان كسفينة نوح جمع من كل زوجين اثنين وجعله عبيبة بن حصن ترسه الذي يحميه وجنته التي يدخلها وجماعته وهو ظالم لنفسه قائلا ما أظن أن تبيد هذه أبدا ثم جاء الدستور الثاني فجعل الأول حصيدا كأن لم يغن بالأمس ليزيد في الشطرنج بغلا كما يقول بن حزم الاندلسي وجعل من دين الدولة الذي أجملت موضوع فتنة وشر مستطير. فيه فصول مُحْكَمَات هُنَّ أم الدستور وأخر متشابها وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون

23 سنة بعد رحيله :

بورقيبة، المرجع الدائم...

صالح مصباح

قد لا يذكر شعب زعيما مثلما يذكر التونسيون الزعيم بورقيبة الذي توافق هذه الأيام ذكرى وفاته في 6 أبريل 2000. وصارت هذه الذكرى مناسبة دورية يُطل علينا بها الزعيم إطلاقة تشد ذكراه فينا وتجدد ما يشبه الاعتذار منه لدى من فاتهم حسن الظن به في حياته، فتداركوا على أنفسهم لا سيما حين هبت على تونس، بعد 2011، رياح السموم، وحين رام مُطلقوها أن يذرو غبارها ذكراه فيطمسها بإعماء الأبصار والعقول.

لكن ذلك الغبار الكرية، على كثافته، لم يطمس حضور الزعيم، وإنما حفز عموم التونسيين على أن يستحضروه استحضارا أضاء الكثير مما كانت تخفيه عنهم في حياته، ولا سيما قبل امتقاع وجه البلاد، ألفة المعيشة، وغشاوة المعاصرة، وحجب النزق العقائدي.

1/ استحضار الزعيم الحي

طيلة سنوات الغبار هذه، أبا الزعيم بورقيبة إلا أن يطل علينا من وراء الرؤوس الغازية الخاوية، والأفئدة الخاقدة، وأبت ذاكرتنا الجماعية المصدومة إلا أن تستهض صورته. فكلما رأينا في رئاسة الدولة أشباحا شاءت منعرجات التاريخ أن تلتصق بهم، تذكرنا الزعيم الرئيس الذي أعلى من شأن تونس فوق ما لها، واستصفى لها من الصور ما يزين، ومن المستقبل ما يرسم الآمال عراضا باسمات. وكلما أخطأ الخطى أولئك الرؤساء الأشباح، فوضعوا البلاد في غير مواضع النفع، أو أقاموا حولها جدراناً من العزلة، أو توهموا أنهم رسامو تونس في غير لوحها المحفوظ، أو صيروها رقعة مستباحة تتنازع فيها الإيرادات من وراء خطاب سيادة لا سيادة فيه، تذكرنا واقعية الزعيم، ونفعيته، وشجاعته، وصراخه متى وجب الصراخ، وبكائه متى وجب البكاء. وتذكرنا أنه تعالي بتونس عن الإصطفافات التي قد تحشرها في هذه أو تلك من الزوايا التي لا تملؤها إلا الأجسام الكبرى، وتذكرنا كيف كانت تونس على أيامه جبالا من الوصل النفعي بينها وبين شتى دول العالم.

تذكرنا كيف كان عتاد جيشنا الثقيل من أمريكا، والخفيف من النمسا، وأزياءه من كوريا الشمالية، وكيف كانت عرباتنا المدنية من فرنسا وإيطاليا وألمانيا الغربية وقتئذ، وقطاراتنا من ألمانيا الشرقية، وتعاوننا المدرسي البشري مع فرنسا، والمالي مع العراق، والغذائي مع أمريكا. وتذكرنا المساعدات الطارئة من يوغسلافيا "تيتو" ومن أوروبا الغربية، وتذكرنا أن النواة الأولى في بنيتنا السياحية ونواة صناعتنا الآلية كانت من الدول الإسكندنافية، ووجهة صادراتنا من الفسفاط كانت دول آسيا. كانت تونس على أيام الزعيم لا شرقية ولا غربية. كانت بورقيبة تویی الوجه حيثما تلوح المصلحة المحفوفة بالاحترام، وبمراسم الاستقبال التي لم يكن يحظى بها في كبريات العواصم سواه من رؤساء الدول التي من طبقة تونس أو التي فوقها.

وحين هبت علينا أغبرة الشرق الخرافي والغازي، ورياح التتريك، واستفحلت في هوامشنا علل المحافظة والرجعية والسلفية المنسوجة من أوهام الصفاء المطلق، وحين طفت على سطحنا قوالب البلاغة الواحلة زميماً في مقابر الماضي، وحين جاءنا من هناك دعاء ختان البنات، وجهاد النكاح، ومضاجعة الميتة، استحضرننا استنارة الزعيم، وثقافته، وحدثته، وولعه بالشعر والمسرح والفكر، واستحضرننا طائرة "الهليكبتر" التي كانت تحط في كلية 9 أبريل بالأستاذ "أندي ميكال" من مطار تونس، قادما من باريس من أجل درس. واستحضرننا "ميشال فوكو" أستاذا في دار المعلمين العليا، وبكالوريا تونسية أشاد بتفوقها على نظيرتها الفرنسية رئيس فرنسا نفسه "ميتيران".

الرموز الثقافية، كما يرى الأنتروبولوجيون، أنها "تذكر أفراد المجتمعات بانتماءاتها إلى كيان واحد وبمصالحتها المشتركة فيه". وفي سياقة الحال، يضطلع بورقيبة، رمزا ثقافيا، بهذا الدور. فهو اسم علم يحمل راية وطن، أو هو دال مدلوله تونس. فبينه وبينها تماه تبادل استقر في التاريخ القريب، واستوى في الوعي الجماعي باعثا على أن مصالح التونسيين هي في حسن انتمائهم إلى تونس التي صاغ الزعيم كيانها المعاصر. وكلما هم نسيجها المجتمعي بالإنحلال والإنقسام المدبرين، ذكرتنا رمزية بورقيبة بأننا كيان وطني واحد يحمل في جوهرة البورقبيي قوة الدفاع الذاتي؛ تلك القوة التي لم تكف، رغم الوهن، عن مقاومة الغبار القادم من حواشي الأزمنة الغابرة، وعن تذكير أهل تونس بأن عليا مصالحهم هي في أنهم أهل تونس المشدودة بروح الوحدة القومية "بعبارة الزعيم.

وليس أدل على ذلك أولا من أن حاملين في خواطرهم وعقولهم لتونس، أرضا وشعبا وجغرافيا وانتماء، لا يُنكرون على بورقيبة رمزيته التي ألقت فكرتها كيانا تونس، وصاغته دولة حديثة "راسخة" بعبارته، وشعبا استوى أمة بعد أن كان "ذرات تراب" بعبارته أيضا.

وليس أدل على ذلك ثانيا من أن أعداء الأمة التونسية هم أعداء بورقيبة حيا وميتا، ومن أن الدعاة إلى نفسها هم، على وجه التحديد، الدعاة إلى محو رمزية بورقيبة، وإلى التشكيك في كل ما يصونها، وإلى توجيه البوصلة التونسية إلى خلاف ما وجه الزعيم. لا بل إن جوهر الصراع السياسي والثقافي في تونس اليوم هو بين رمزية بوقيبة الجمهورية الحديثة ورمزيات أخرى تمتح من راية الخلافة وسيرة السلف، وأمومة عائشة، وبغلة العراق، وصحيح البخاري، والبناء القاعدي القبلي، وجحور الضياء.

وليس أدل على ذلك ثالثا من أن متاريس الدفاع عن كيان تونس، وعن هويتها، وعن منوال معاشها، وعن قيمها الكبرى، وعن تقاليدها الجمهورية، وعن ثوابت دولتها الحرية بالضم، إنما يمثلها الحافظون لرمزية بورقيبة ومرجعياتها الكبرى. وليس ذلك متاجرة به سياسية. فهذه التهمة من سطحي الأفكار، لأن استثمار الرموز الثقافية في بناء الفكر السياسي الجامع ليس معيبا. إنه مستوجب.

إن بورقيبة هو اليوم رمز ثقافي ضروري. لقد أثبتت سنوات الغبار أنه كذلك. فكلما أريد لنا أن نتوه، ردتنا رمزيته إلى تونسيتنا. فبورقيبة الحاكم قد ولى زمانه. لكن البورقبيية التي كان لنا سبق إشهارها بعيد 14 جانفي 2011، هي حية لا تموت. فهي رمز خالد لأنها من "جينات" تونس الخالدة. لقد قال الزعيم هذه الحقيقة حين سأله صحفي فرنسي عن تونس ما بعد البورقبيية. قال حرفيا: "سيكون لتونس ما بعد بورقيبة. لكن ما بعد البورقبيية لن يكون". لقد أدرك أنه صمام أمان لتونس حيا وميتا، مثلما أدرك أعداء تونس ألا فصل بين عدائهم لتونس وعدائهم لبورقيبة حيا وميتا.

وليس من المجازفة القول إن انحدارنا الراهن إلى الدرك الأسفل من سلم الدول، وإلى هذا الخواء الوطني الظاهر، وإلى العجز عن الكفاية عن الغير، وإلى مدارس تثبت الجهل، وإلى مستشفيات تزرع العلل، وإلى شوارع كالحة، وإلى شباب يائس يفضل الموت على أرض بلاده، إنما مآتاه من انصرافنا عن التوق إلى الآفاق التي رسمها لنا بورقيبة. لقد كان يردد حلما بتونس جامعة بين مثالي سويسرا واليابان.

ولعل سراج الأمل الباقي هو في أن البورقبيية، مرجعا فكريا وتيارا سياسيا، إنما لها اليوم حمة آخذون في التوسع بعد أن علموا أي منقلب صار لتونس التائهة عن البورقبيية، وبعد أن أدركوا أن رمزيته ليست صنما ثابتا جامدا، وإنما هي قيم كبرى أصيلة مطواعة لحركة الزمن والتاريخ.



واستحضرننا قاعات السنما بحمص بثها الثلاث، وسهرات المسرح البلدي أيام كان قبلة المشاهير، نحو أم كلثوم، وعبد الحليم، وصباح فخري، وفهد بلان، وصباح، ومحمد رشدي، والعربي، ووديع الصافي، وكارم محمود الخ...

حين نستحضر كل ذلك وغيره، يقبض علينا الأمل ونحن نعايش مشايخ التبشير بحور الجنان اللواتي تكون كل مضاجعة لإحداهن بمقدار سبعين سنة، ولا تسأل هل هذه متعة أو أشغال شاقة، وحين تسود الرداءة والسماجة وضحالة الذوق، وحين تغلق فضاءات الفن والمعرفة وينتفي من السياسة الرسمية الإنشغال الجدي بالثقافة والعناية بأهلها. وحين يتيه التفكير الرسمي عن شؤون الإقتصاد والمالية، نستحضر الزعيم الذي حكم تونس بوطنية خالصة طيلة ما يفوق العقود الثلاثة، ولم يملك فيها جدار واحدا أو مترا مربعا، نستحضره ونحن نعايش طيلة سنوات الغبار حكام الغنيمة والنهب واللصوصية والقصور والتفاهة والسقط الأخلاقي. لعل زمن بورقيبة، بأفضاله الكثيرة وعيوبه القليلة، كان سقفا سياسيا وثقافيا ومعرفيا قد بلغت به تونس أقصاها وفق شروط تلك المرحلة ومفاهيمها، مما أذن بالإنحدار الذي علامته الظاهرة سنوات ما بعد 2011. ولعل السبب يكمن في أن تونس لما تتدع، بعد السقف ذاك، بناء جديدا ينهض عليه وفق شروط الحاضر ومفاهيمه، حتى أن "البناء الشاهق" الذي بشرنا به بنأؤه لا نرى له صرخا يذكر. ولعل التحدي السياسي اليوم، بعد اثنتي عشرة سنة من التيه، هو كيف نبني على السقف البورقبيي صرحا مجتمعييا جديدا يماشى هذا الزمان. فقد تأكد أن بورقيبة هو المبتدأ وفاتحة الخبر.

2/ الزعيم رمزا تاريخيا وثقافيا

تدخل الرموز التاريخية في دائرة الرموز الثقافية. فهي تنخرط في المحمول الثقافي والذاكرة الجماعيين. ومن خصائص

بورقيبة : صحة الرئيس من صحة الشعب !

منير الفلاح



بورقيبة يتحدث للشعب التونسي عن وضعه الصحي بحضور زوجته وطبيبه الخاص الأستاذ عمر الشاذلي

بداية لا بد من التنويه بأن زمن الزعيم الحبيب بورقيبة ليس بالزمن الحاضر. فقد لمع نجم "سي الحبيب" بالتزامن مع سطوع نجوم كبار آخرين شرقاً كـ"سوكارنو" في أندونيسيا و"نهره" في الهند وجمال عبد الناصر في مصر. في أواسط خمسينات القرن الماضي زمن بورقيبة كان الزعماء يجيدون فن الخطابة ويطوعون لغات ولهجات بلدانهم لإيصال مضامين لشعوب غالبيتها كانت إما أمية أو ذات تحصيل علمي متواضع. وكان الإبهار سمة الخطباء والإنبهار يطبع الجمهور المتلقي... ويكفي تصفح بعض صور الاجتماعات الجماهيرية للزعيم بالساحات العامة للتأكد من ذلك. ففيها زعيم خطيب أمام مصدح وفوق منصة ووجوه شاخصة وكأنها تحت تأثير مغناطيس...

الزعيم الحبيب بورقيبة وبحكم تكوينه في فرنسا وإطلاع الواسع على تاريخها وخاصة تأثير فلاسفة ومفكري قرن الأنوار صُنّف كـ"مُستبدّ مستنير". فالحبيب بورقيبة، رحمه الله، كان شديد الإيمان بأهمية التعليم العصري فكان ذاك من أول مشاريعه حيث كلف الجامعي والأديب الألمي والنقابي العظيم المرحوم محمود المسعدي بملف بل بمشروع تحديث وعصرنة المدرسة التونسية وحمل حقيبة التربية والتعليم لمدة 10 سنوات (1958 - 1968) فعمّت المدارس العمومية كل المناطق والأقاصي وفتحت الأقسام للبنات والبنين على حدّ سواء إضافة لتوحيد التعليم والمناهج وغلقت "المدارس الموازية"!

في العشرية الأولى لحكمه، كان الحبيب بورقيبة في سباق مع الزمن وبدأ بتنفيذ ما يراه مشروعاً لتونس على واجهات عدّة ولم يكتفِ كثيراً بمن كانوا يعارضون عمله. فسُنّ مجلة الأحوال الشخصية مثلاً كان قبل حتى إعلان الجمهورية وهو لا يزال يشغل خطة رئيس حكومة الباي... كان يمضي في ما يراه صالحاً ويعول على ما كان يطلق عليه "الاتصال المباشر" للتفسير والإقناع بملكته الخارقة في الحديث والتحكّم في نبرات الصوت والإستطراد وحتى إثارة التعاطف حتى سيلان الدموع خاصة عند إستذكار والدته وبين قوسين كثيراً ما "بَرّر" حماسه لدعم حقوق النساء بضرورة إنصاف نساء كوالدهن...

الزعيم بورقيبة كان يعتبر نفسه "مُعلّماً" للشعب، صاحب رسالة فهو ينسب لنفسه انجاز توحيد الشعب. بورقيبة هو كلّ هذا وأكثر في شتى مجالات العيش من تعليم وصحة وصحة إنجابية وسكن وحثّ على العمل ولعلّ الكثيرون ممّن عاصروه أو بحثوا في نوادره يذكرون جملته: "زيدو في الإنتاج والإنتاجية في كلّ شيء... كان في جيبان الصغار!"

يوم 6 أبريل أحيا التونسيون والتونسيات ذكرى رحيله الثالثة والعشرون في أجواء مثقلة بالاحداث والخطب عن الزعامة وحمل مشروع للحكم وعدد كبير من التونسيات والتونسيين باتوا مسكونين بالتعلّق بما مضى وتمجيده ولعن الحاضر بما فيه... وقد تفتّن بعض الساسة لـ"كنز" محبّة سي الحبيب، رحمه الله، فسعى كلّ على طريقته في النهل من الموروث "البورقيبي" والتشبه به والإستشهاد بما فعله في مناسبات مشابهة وللأمانة، تعاضمت موجة التشبه بالزعيم الفذ بعد 2011 ولا فائدة لا في ذكر الأسماء لا ممّن إتخذوا نهج خطابي شبيه ببورقيبة واستعارة بعض كلماته، لا حتى من ذهبوا إلى أبعد من ذلك بلبس نظارات وبدلات شبيهة بنظارات وبدلات سي الحبيب... رحمك وسامحك الله يا سي الباجي.

أكثر تشبيه للوضع بالوضع هذه الأيام هو تعامل الزعيم الرّاحل مع وضعه الصحي وطريقته في إبلاغ شعبه وحرصه

رئيس الدولة مريض وبأنّ من يتولّى التسيير هو الوزير الأوّل وبالنتيجة يضيق مجال الإشاعة وحتى فبركة الأخبار. تمشي الزعيم هذا كان نابعا من شعوره العميق بمسؤولياته تجاه عموم التونسيات والتونسيين ومن إيمانه بأنه بطريقة ما أب للأمة التونسية بأكملها وبأنّ نزعتة نحو الاستفراد بالحكم والقرار كانت نابعا من انه يرى نفسه في موقع الأب الذي يعي مصلحة أفراد عائلته أكثر منهم... فلا يمكن لأب أن يخفي مرضه أو تغيبه عن البيت دون إعلام أبنائه وبناته وعندما يرى أنّ مرضه وغيبابه قد يطول، يعلن عن ذلك ويكلف من يستثيق به لإدارة شؤون العائلة! طبعاً بلغة الحاضر قد نسمي ذلك شفافية ومدّ المواطنين بكلّ ما يحدث لرأس الدولة...

كما قلت في بداية هذه الورقة، زمن بورقيبة يختلف عن زمننا هذا، فعهد الزعامات وتلى لا في تونس فحسب بل في العالم بأسره. فالرؤساء هم الآن مكلفين من قبل شعوبهم بإدارة الشأن العام حسب موازين ولمدد تحددها الدساتير وكأيّ مكلف بمهمة يكون مطالباً من قبل من يسوسهم بأنّ يمدّمهم بأسباب تغيبه عن النشاط ومدّته.

مسألة صحة الرؤساء ونشر ملفاتهم الطبية من "الطابوهات" المنتشرة في عدّة دول. ولعلّ الكثيرون يذكرون ملف مرض الرئيس الفرنسي الأسبق فرانسوا ميتران والجدل الذي أثير حوله قبيل وبعيد رحيله...

في تونس وبعد الزعيم بورقيبة، عادت إرادة التستر على الوضع الصحي للرئيس وتجلّى ذلك خاصة خلال عهدة الرئيس الرّاحل الباجي قائد السبسي، رحمه الله، وكيف اشتعلت بعبء رحيله إشاعات الموت المستراب... كان ذلك في ظلّ دستور ينظّم لدرجة ما الشغور المؤقت والنهائي فكيف يمكن للتونسيين تقبل غياب رئيس تجتمع بين يديه كلّ السلطات لعدّة أيام متتالية دون أن يكون هناك أيّ بديل دستوري وفق دستور قيس سعيد نفسه؟

على تأمين سير دواليب الدولة حتى لا يجد الشغور طريقاً لرأس السلطة.

لعلّ المؤرّخين وأساتذة القانون الدستوري مؤهلون أكثر من سواهم للتذكير بذاك التّنقيح الشهير الذي بات بمقتضاه كاتب الدولة للرئاسة حتى سنة 1969 يسمّى وزيراً أولاً ويتولّى بمقتضى ذلك تسيير شؤون البلاد إلى حدّ عودة الرئيس... كان الوزير الأوّل آنذاك المرحوم الباهي الأدمغ.

الزعيم بورقيبة، كان حريصاً على غرس فكرة لدى الجميع في الدّاخل والخارج بأنه "تونس وتونس هو". وكان يسمح لنفسه من ذاك المنطلق بالحديث في كلّ كبيرة وصغيرة، في السياسات الكبرى داخلياً أو خارجياً. فخطبه تبتّ إذاعياً وتلفزيونياً ويتم التذكير بمقولاته يومياً قبيل موعد شريط الأنباء في "توجيهات الرئيس" ولا يُمرّر خبر قبل أنشطته مهما قلّت أهميتها، فكنا نراه ينتزّه أو يسبح أو بصدد قراءة الصحف فضلاً عن إستقباله مسؤولين أو ضيوف، كلّ ذلك يمرّر قبل أيّ خبر آخر مهما كانت خطورته وأهميته!

في موضوع صحته، لم يتوان سي الحبيب عن الحديث بكلمات واضحة ومباشرة حتى عن خصوصياته الجنسية. ثم وبعد أزمتة الصحّة الكبرى كانت الرئاسة تصدر بيانات ممضاة من قبل طبيبه المعتمد الدكتور الأستاذ عمر الشاذلي. كما تصدر بيانات للإعلان عن سفر الزعيم للخارج للتداوي أو النّقاهاة وحتى وهو في الخارج كانت هناك متابعة إعلامية لصحته وتطورها وجولاته في بعض الحدائق وعندما يقتضي الأمر تزوره وفود وزارية ويتمّ الإعلام أولاً بأول!

طبعاً تلك المتابعة الإعلامية اللصيقة لم تكن مجرد أخبار هدفها الوحيد إعلام المواطنين والمواطنات بما يجري على رأس هرم الدولة وكواليس الحكم وما كان يعتمل داخل ردهات القصر إذ أنّ محصّلة تلك الأخبار "الشفافة" هو حدّ أدنى من إحترام للمواطنات والمواطنين بإعلامهم بأنّ

الزعيم والأديب والفقير...



بورقيبة بين الطاهر بن عاشور وطه حسين

بدعوة من الحكومة حلّ بتونس العاصمة الدكتور طه حسين يوم 28 جوان 1957 بوصفه عميدا للأدب العربي وأحد رواد التنوير للإشراف على أول امتحان في اللغة والأدب العربي في دار المعلمين العليا وهي أول نواة جامعية، وقد أقام في تونس قرابة كانت مملوءة بالنشاط من ذلك محاضراته في قاعة البالماريوم التي حضرها آلاف المثقفين كما كانت له لقاءات صحفية وحميمية مع أصدقائه المجمعين كالشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وحسن حسني عبد الوهاب وغيرهم من النخبة التونسية. (انظر كتاب "طه حسين والمغرب العربي" تأليف أبو القاسم محمد كرو، نشر مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس 2001)

من تاريخ تونس الحديثة



بورقيبة محاط
بأفراد عائلته
عند مرضه...



ومضة

● حمادي بن سعيد
(رئيس تحرير جريدة الرأي سابقاً)

هذيان

بعد سُهاد لازمني طيلة ليلة مضطربة تداخلت خلالها برأسي التساؤلات والحيرة حول مستقبلنا الجماعي، وجدتني أجتري فكرة معقدة لريمون بار يتحدث فيها عن مُسلمة أن "الانسان كائن عاقل" قبل أن يتساءل مباشرة بعد ذلك: "لكن هل الناس فعلا عقلاء؟". إن همّي الشخصي اليوم وراء هذا المثال ببعديه الحتمي والتفاعلي هو معرفة إن كان الفاعل السياسي حقاً انساناً عاقلاً أم هو شخص يريد أن يرى نفسه على صواب حتى وإن كان عقله مصاباً بالخرف؟ الأكثر من ذلك: هلأ يفسد امتلاك هذا الشخص السلطة حتماً عقله وعقلانية تفكيره ليحوّله دون أن ندري إلى طاغية مدمرٍ مثلما أشار إلى ذلك كانط؟ ثم ما الفائدة من أن يكون المرء على حق إذا كان هو الوحيد الذي على صواب؟

معارضة

يبدو أن تحركاً جهوياً ذا بال أخذ في التوسع ضد سياسة سميح ماجول في حوكمة شؤون اتحاد الصناعة والتجارة. رأس الحربة قد يكون رئيس الاتحاد الجهوي لمنظمة الأعراف بسوسة. والتحركات قد تكون شملت أيضاً جامعات البناء في ولاية صفاقس التي يتداول أنها دخلت على خط معارضة سياسات رئيس المنظمة الغائبة رغم دقة الوضع والصعوبات غير المسبوقة التي تعيش على وقعها مؤسسات القطاع الخاص.

ابتزاز وتحرش

مبلغون عن الفساد اتهموا في شهادات لـ "الشارع المغربي" رئيس جمعية تعنى بمكافحة الفساد بفرض ما سموه إتوات مالية على بعضهم مقابل إيهامهم بالوقوف إلى جانبهم. وتضم الاتهامات أيضاً شبهة تحرش جنسي بإحدى زميلاتهم ولفت عدد منهم إلى أن إغلاق هيئة مكافحة الفساد لم يعكّر وضعياتهم الإدارية فحسب وإنما فسح المجال للبعض للمتاخرة بملفاتهم.

كما أكدوا أن رئيس إحدى الجمعيات استغل محنتهم لإيهامهم بالدفاع عنهم وإيصال اصواتهم إلى الإدارة أو إلى وسائل الإعلام ثم طالبهم بدفع أموال.

مبلغة أخرى اتهمت رئيس الجمعية المذكور بابتزازها مالياً وحتى جنسياً قائلة: "هذا المتحيل استغل وضعيتي الإدارية الهشة بعد تبليغي عن فساد بمؤسسة عمومية لمطالبتي بدفع مبلغ مالي قبل أن يعمد إلى التحرش بي جنسياً" مستغربة من عدم تحرك رئاسة الجمهورية لنصرة المبلغين أو التحقق من صحة وجدية الملفات التي بلغوا عنها رغم مراسلتها في الغرض. موضوع للمتابعة.



غريب

على عكس ما يذهب إليه بعض "الاخصائيين" من أن ضخّ البنك المركزي 4 مليارات دينار من السيولة في ظرف أربعة أشهر بكامل السلسلة يعتبر إنجازاً يذكر فيشكر، فإن ضخّ مثل هذه السيولة دون أي إنتاج أو نشاط اقتصادي يمثل إغراقاً للبنوك في المخاطرة التي أدت وستؤدي إلى مزيد التخفيض في تصنيفها ومزيد الخلل في توازنها المالية. إضافة إلى أن مثل هذا الضخ يعتبر من أسوأ الحلول لتمويل ميزانية الدولة.

السيولة التي يشيد بها بعض الاخصائيين ليست في حقيقة الأمر سوى إلا طبع الأوراق المالية أو PLANCHE A BILLETS والذي قارب الآن مستوى 17 مليار دينار.

من الغريبة أن يعتبر هؤلاء الاخصائيين بحجج تتناقض مع أبسط قوانين الحوكمة المسؤولة أن البنك المركزي جنّب تونس بهذه الطريقة السيناريو اللبناني.

فهل يمكن ضخّ سيولة بالدينار التونسي تونس من توريد الدواء والغذاء والمحروقات؟ هل تمكن البنك المركزي من السيطرة على التضخم المالي؟

هل تمكن البنك المركزي من حماية الجهاز البنكي من فقدان توازناته الهيكلية والتخفيض من تصنيفه؟ هل مكن البنك المركزي تونس من السيطرة على عجز الميزان التجاري وميزان الدفعات الجارية؟

STEG - SONATRACH

هل تأخرت الـ STEG في تسديد فواتير الغاز الجزائري وهل طلبت فعلاً SONATRACH الحصول على كل مستحقاتها المتأخرة والتي يبدو أنها تجاوزت 400 مليون دينار؟ مع العلم أن SONATRACH هي أكبر مزود للـ STEG بالغاز الطبيعي.

إن صحّ الخبر والذي نشره موقع "الشعب نيوز" التابع لاتحاد الشغل فهو محرج للغاية لما ينمّ ذلك عن ازدواجية في خطاب الجارة الجزائرية إذ أن الرئيس عبد المجيد تبون التزم في نفس الوقت بمساندة تونس لتتجنب الانهيار المالي.

لأول مرة

مجلة "فوربس" تصنّف بنك تونس العربي الدولي ضمن قائمة أكبر بنوك الشرق الأوسط وشمال أفريقيا



كريمة السعداوي

كشفت مجلة "فوربس" للشرق الأوسط الصادرة يوم أول أمس الاحد 9 افريل الجاري وهي احدى أشهر المجلات العالمية في مجال إحصاء الثروات ومراقبة نمو المؤسسات والشركات المالية حول العالم عن قائمة أكبر 50 بنكاً في الشرق الأوسط من حيث القيمة السوقية لعام 2023، لتسلط الضوء على أكبر بنوك المنطقة. ولإعداد القائمة، جمعت "فوربس" بيانات البنوك المدرجة في أسواق المال العربية، وصنفتها بناء على القيمة السوقية في 28 فيفري الماضي.

وفي سابقة من نوعها، صنفت "فوربس" للشرق الأوسط بنك تونس العربي الدولي في قائمة البنوك الـ 50 الكبرى في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مؤكدة ان للبنك الذي يشرف على ادارته العامة معز الحاج سليمان قيمة سوقية تناهز مليار دولار منوهة بأنه تأسس في عام 1976، وبأن له شركات تابعة في مجالات التأمين وإدارة الأصول والاستثمار والاستشارات، هي (ASSURANCES BIAT) و (BIAT CAPITAL RISQUE) و (TUNISIE VALEURS) و (BIAT CONSULTING) و (BIAT FRANCE). كما يدير البنك حسب فوربس 206 فروع في تونس ويُسّغل نحو ألفي موظف حتى نهاية عام 2022. وأشارت المجلة



معز الحاج سليمان مدير عام بنك تونس العربي الدولي

الدولية إلى عقد بنك تونس العربي الدولي شراكة جديدة مع شركة "فيزا" في سبتمبر 2022 لتوسيع منتجاته المصرفية الإلكترونية وزيادة استخدام البطاقات. وذكرت "فوربس" بان (MABROUK GROUP) يعد

المساهم الأكبر في البنك بحصة 38.6 بالمائة حتى نهاية أفريل 2022.

وتبلغ القيمة السوقية الإجمالية لأكبر 50 بنكاً في المنطقة 548.1 مليار دولار. وتصدر مصرف الراجحي السعودي القائمة، بقيمة سوقية بلغت 75 مليار دولار، ليصبح بذلك أكبر بنك في المنطقة يليه البنك الأهلي السعودي في المركز الثاني بـ 56.4 مليار دولار، ثم مجموعة بنك قطر الوطني (QNB) في المركز الثالث بـ 42.8 مليار دولار. ويبلغ إجمالي قيمتها السوقية معاً 174.2 مليار دولار، لتشكل بذلك نحو 32% من القائمة.

وتشمل قائمة هذا العام بنوكاً تعمل في 10 أسواق بالمنطقة. وتهيمن البنوك الخليجية بإجمالي 41 بنكاً، تمثل حوالي 82% من القائمة بينما تعد السعودية والإمارات الأكثر تمثيلاً بواقع 10 بنوك لكل منهما، وتشكل الدولتان 40% من التصنيف في حين بلغت القيمة السوقية الإجمالية لأكبر 10 بنوك سعودية 223.5 مليار دولار.

وبلغت قيمة المصارف الإماراتية في القائمة 121.2 مليار دولار، و81.3 مليار دولار لـ 8 بنوك قطرية، و76.2 مليار دولار لـ 7 مصارف من الكويت.

تونس ضحية تناقضاتها ونكث تعهداتها

بقلم : عز الدين سعيدان

التي هي أساسا غير موجودة. وعمّاذا تفاوض الفريق المفاوض التونسي؟ ولماذا قدم لنا الاتفاق المبدئي بتاريخ 15 أكتوبر 2022 كانتصار في حد ذاته. ألم يكن هناك اتفاق بين الحكومة ورئاسة الجمهورية قبل الشروع في المحادثات التقنية والمفاوضات مع صندوق النقد الدولي؟ هل تريد السلط التونسية الحصول على القرض مرة أخرى دون القيام بالإصلاحات التي بالأساس لم يفرضها علينا أي طرف. ولكنها تفرض نفسها بالحاح شديد نظرا لتأخر تونس في القيام بالإصلاحات منذ 2013؟

لما سئل وزير الاقتصاد ووزير المالية ومحافظ البنك المركزي إن كان هناك بديل لقرض صندوق النقد الدولي في صورة عدم التوصل إلى اتفاق نهائي وصرف القسط الأول من القرض كان الجواب دائما : ليس هناك بديل وليس هناك مخطط بـ PLAN B. ولكن رئيس الجمهورية رفض يوم 6 أبريل 2023 التعامل مع "إملاءات صندوق النقد الدولي" وجزم بأن هناك بديلا. البديل هو أن نعول على أنفسنا ولكننا لا نعلم كيف.

اجتماعات الربيع لصندوق النقد الدولي

ترفض تونس التعامل مع صندوق النقد الدولي ولكن عليها أن تسدد ما لا يقل عن 2,4 مليار دولار (أو حوالي 8 مليارات دينار) لصندوق النقد الدولي خلال الخمس سنوات القادمة 2023 - 2027.

تونس ترفض التعامل مع صندوق النقد الدولي ومع ذلك يشارك وزير الاقتصاد ومحافظ البنك المركزي في اجتماعات الربيع لصندوق النقد الدولي في واشنطن من 10 إلى 16 أبريل 2023. بأي برنامج وبأي هدف يا ترى؟

تونس تعيش في خضم تناقضاتها مما يؤدي حتما إلى انسداد الأفق وتعمق خطر للأزمة الاقتصادية والمالية والاجتماعية.

التونسي ممّا تسبب في ارتفاع خطير في نسب التضخم المالي لأن أي تمويل لعجز ميزانية الدولة من طرف البنك المركزي سواء كان ذلك مباشرة أو عبر البنوك يتسبب في تضخم مالي لأن هذا التمويل يعتبر لجوءا إلى طبع أوراق نقدية دون أن يكون ذلك طبعا ماديا. وهو ما يسمى أيضا بـ PLANCHE À BILLETS. كما نذكر أيضا اقتراض الدولة من البنوك التونسية بالعملة الأجنبية وهذا من أخطر الحلول وقد تحدثنا كثيرا عن هذا الموضوع. من الحلول الخطيرة أيضا عدم تسديد مستحقات الدين الداخلي بالدينار وبالعملة وإعادة جدولتها إلى تواريخ لاحقة تصل إلى سنة 2033.

وتبقى السلط في وضع إنكار كامل لهذه الحلول الخطيرة وخاصة منها طبع الأوراق النقدية الذي تجاوز مستوى خمس مليارات دينار سنة 2022 وكما تجاوز مستوى أربعة مليار دينار منذ بداية سنة 2023 نلاحظ هنا النسق التصاعدي الخطير.

2021 - منذ أبريل 2021 وتونس تتناقش وتتفاوض مع صندوق النقد الدولي وتتفاوض معه قصد الحصول على قرض جديد نظرا لتفاقم الصعوبات الاقتصادية والمالية والاجتماعية. وبعد عناء شديد توصلت تونس إلى إتفاق مبدئي ما يسمى اتفاق على مستوى خبراء صندوق النقد الدولي قصد الحصول على قرض بمبلغ 1,9 مليار دولار وكان ذلك مقابل برنامج إصلاحات يحتوي على نفس البنود المتفق عليها سنة 2013 وسنة 2016. وقد صرح الفريق المفاوض المكون من وزير المالية ووزير الاقتصاد والتخطيط ومحافظ البنك المركزي أن برنامج الإصلاحات الذي تقدمت به السلط التونسية هو برنامج تونسي بحت وأنه اشتغل عليه أكثر من أربع مائة خبير من الإدارة التونسية وأنه نال إعجاب صندوق النقد الدولي.

هذا يعني بكل وضوح أنه ليس هناك إملاءات من صندوق النقد الدولي. ولكننا في تونس نرفض إملاءات صندوق النقد الدولي

تونس لم تقترض دولارا واحدا من صندوق النقد الدولي على مدى عشرين سنة من 1993 إلى 2013 بل أكثر من ذلك تونس سددت آخر قرض لصندوق النقد الدولي سنة 1993 وكان ذلك قبل تاريخ استحقاق القرض بثلاث سنوات مما أعطى لتونس في ذلك الوقت صورة ناصعة في السوق المالية الدولية ولدى كل الجهات المانحة.

2013 - ثم بدأت الأوضاع الاقتصادية والمالية تسوء منذ 2012 ممّا اضطرّ تونس إلى اللجوء من جديد إلى صندوق النقد الدولي في سنة 2013 وقد تقدمت آنذاك تونس بطلب قرض إلى صندوق النقد الدولي مرفوقا ببرنامج إصلاحات تعهدت به الحكومة التونسية ولكن تونس لم تنفذ الإصلاحات التي تعهدت بها وتمت معاقبتها بإلغاء القسط الأخير من القرض.

2016 - في 2016 تقدمت تونس من جديد بطلب قرض إلى صندوق النقد الدولي وكان الطلب مرفوقا ببرنامج إصلاحات تعهدت بها حكومة يوسف الشاهد. وقد علّلت السلط التونسية طلب القرض في ذلك الوقت بالدستور الجديد والانتخابات الجديدة والحكومة الجديدة. أما برنامج الإصلاحات فقد كان في مجمله نفس برنامج 2013. ولكن السلط التونسية لم تنفذ مرة أخرى الإصلاحات التي تعهدت بها ممّا تسبب في إلغاء جزء كبير من القرض : 1,2 مليار دولار من أصل 2,9 مليار دولار. كما تسبب ذلك في تدمير مصداقية تونس لدى صندوق النقد الدولي والجهات المانحة الأخرى.

في الأثناء تدهورت كل المؤشرات وتراكمت الديون وتمت مراجعة التصنيف الائتماني عشر مرات إلى الأسفل ممّا جعل تونس عاجزة عن تعبئة أية موارد مالية في الخارج بما فيها انعدام إمكانية الدخول إلى السوق المالية الدولية.

اللجوء إلى حلول قصوى خطيرة

نذكر من بين هذه الحلول الاقتراض المشط بالدينار لدى الجهاز البنكي والمالي

يسألون عن البديل

البديل... هو التحرر من الهيمنة الخارجية ومن وكلائها في الداخل وتكريس حق الشعب في تقرير مصيره



أحمد بن مصطفى
دبلوماسي/ وسفير سابق



جنات بن عبد الله
مختصة في الاقتصاد والتجارة الخارجية



جمال الدين العويدي
مختص في الاقتصاد والتنمية

نسبة النمو السنوي لا تتعدى 1% فقط. لذلك لا يوجد خلق للثروة وللقائمة المضافة على مدى طويل وهو أمر خطير على مستقبل البلاد. كما تشهد البلاد عملية تآكل على المؤشرات الاقتصادية للبلاد المتعلقة بالعجز التجاري بتواطئ مع الطرف الأوروبي وخاصة منه الطرف الفرنسي على لسان سفيره في تونس، عبر وسائل إعلام خاصة، حيث يمعن في ادعاء وجود فائض تجاري لصالح تونس في مبادلاتها مع فرنسا وهو أمر عار عن الصحة. وقد قدمنا ردا معززا بحجج دامغة نُشر بأسبوعية الشارع المغاربي عدد 330 بتاريخ الثلاثاء 11 أكتوبر 2022، لنفي هذا الادعاء الباطل الذي يستخف بزكاء الشعب التونسي ولكنه لم يرد مثله مثل الإذاعة الخاصة التي تبنت ادعائه بطريقة مضرة للأمن الاقتصادي الوطني وترتقي إلى مستوى لا يليق بمواطن تونسي ويتطلب فتح تحقيق في الموضوع بالنظر لخطورة ما أقدم عليه بالتعامل مع بلد أجنبي استعمر تونس على مدى طويل ونكل بالشعب التونسي.

لكل ما سبق تقديمه البديل المطروح اليوم هو موقف مُوحّد للتحرر من الهيمنة الخارجية ومن وكلائها في الداخل

هذا البديل يجب أن ينطلق على أسس متينة وواضحة من شأنها أن تجمع الأغلبية العظمى للشعب التونسي ويلتزم كل مواطن على تكريسها بكل أمانة وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية وكل الأطراف المعنية سياسية كانت أو منظمات وطنية أو مجتمع مدني. هذا البديل يجب أن ينطلق من قرارات سيادية تعتمد سن قوانين جريئة تتمحور حول دور البنك المركزي التونسي وتقييم اتفاقات الشراكة وحق تفعيل قوانين حماية المنتج الوطني وحق ترشيد التوريد وبعث مشاريع كبرى لمقاومة التصحر الصناعي في البلاد وتشجيع الإنتاج الزراعي. اين نحن من هذا اليوم والبلاد تبدو معطلة تماما.

من هذا المنطلق وفي علاقة بالموقف من الهجمة الإبتزازية التي تتعرض لها البلاد من الطرف الأمريكي-الأوروبي لدفع البلاد إلى تنازلات مهينة وتفاعلا مع موقف رئيس الجمهورية الذي عبر عن رفضه تقديم التنازلات المطلوبة داعيا إلى ضرورة التعويل على الذات كبديل على الإبتزاز الأمريكي-الأوروبي غير انه أولا لم يطلب من الحكومة التي عينها والتي تشتغل تحت مسؤوليته مباشرة لتفصح بكل وضوح:

- عن تفاصيل تلك التنازلات وخاصة فيما يتعلق بالمؤسسات العمومية وبجميع القطاعات التي تنشط فيها.

- أن تقبل فتح كل الملفات المعنية للنقاش والتقييم الموضوعي والجدوي خاصة في مسألة الدعم لبيان وجوده من عدمه. نذكر من ذلك مسألة دعم المحروقات حيث تتحصل الدولة على أداء على الاستهلاك وأداء على القيمة المضافة مرتفعا جدا يصل إلى نسبة 52% من سعر اللتر الواحد؟

من ذلك أيضا فاتورة الكهرباء والغاز التي أصبحت تتكون من أربع فواتير منها أداء لصالح الطاقات المتجددة وأداء لصالح الجماعات المحلية وأداء لصالح الإذاعة والتلفزة الوطنية بخلاف التسعيرة التصاعديّة لاستهلاك الكهرباء والغاز وجميعها يخضع للأداء على القيمة المضافة؟ فكيف يمكن الحديث عن دعم؟

كذلك المطلوب من رئيس الجمهورية توضيح موقفه أمام الشعب التونسي حيث من جهة تمسك برفضه القبول والتوقيع على تنازلات من شأنها أن تُنكّر وتُفكّر غالبية الشعب التونسي وهو مُحق في ذلك ولكنه من جهة أخرى عين حكومة تعمل تحت مسؤوليته المطلقة صادقت على هذه التنازلات في مجلس وزاري بعد التفاوض مع صندوق النقد الدولي وأعلمته بالمصادقة مثله مثل الأطراف المعنية وفي مقدمتها الاتحاد الأوروبي وهو موقف متعارض مع موقف رئيس الجمهورية. كما أن هذه الحكومة صرحت على لسان وزير الاقتصاد والتخطيط أنها لا تملك بديل عن صندوق النقد الدولي وكان على رئيس الجمهورية ان يُطالب الحكومة بالعمل على إيجاد بديل وطني يُمكنه من اتخاذ قراره في الرضا على بينة وعلى أسس متينة تُطمئن الشعب وكل الأطراف التي تتعامل معها البلاد في الداخل والخارج وترفع كل لبس عن الموقف الرسمي التونسي.

ماكرون للاعتراف بهذه الحقيقة وبفشل بلاده في الاحتفاظ بهذه المغنم نتيجة التحولات العالمية الأخيرة التي لعبت فيها القوى الصاعدة دورا هاما خاصة منها الصين وروسيا.

مؤشرات اقتصادية واجتماعية صادمة تبيّن كيف تم استدراج تونس إلى هذا الوضع المفلس

حول موضوع الاستدراج من الضروري التذكير بالكتاب الذي صدر سنة 2014 في جامعة ستوكهولم بالسويد بتأليف المؤرخين السويديين «بايو هانسان» (PEO HANSEN) و«ستيفان جونسن» (STEFAN JONSSON)، تحت عنوان «أوروبا-إفريقيا: الأصول الاستعمارية للاتحاد الأوروبي» (EUROPEENNE «والذي تمت ترجمته ونشره بدار «La Découverte» في سنة 2022. حيث جاء في مقدمة هذا الكتاب القيم « أن أحد الأهداف الرئيسية للتكامل الأوروبي الذي تحقق في الخمسينيات هو الحفاظ على مستعمرات أوروبا وخاصة منها الأفريقية» حتى يكون لها وزنا بين العملاقين الأمريكي والسوفييتي الذين خرجا منتصرين من الحرب العالمية الثانية التي أشعلتها الدول الأوروبية الاستعمارية (فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وألمانيا).

لتحقيق هذا الهدف الأساسي تم التنصيص في «معاهدة روما» للسنة بلدان المؤسسة للمجموعة الأوروبية المُوقَّع عليها سنة 1957 «أنه يحق لبلدان المجموعة الأوروبية توقيع اتفاقيات شراكة مع البلدان التابعة لمنطقة الفرنك بالنسبة لفرنسا ومع المملكة الليبية والصومال بالنسبة لإيطاليا «والكنغو» بالنسبة لبلجيكا «وسورينام» بالنسبة لهولندا». وهنا تكتمل الصورة التي أكدها الكتاب بالرجوع إلى الوثائق والمداورات الرسمية التي تم اعتمادها.

تبعا لهذا المخطط تم توقيع أول اتفاق شراكة مع تونس سنة 1969 والثاني سنة 1976 والثالث سنة 1995 وهو اتفاق غير متكافئ أدى إلى تدمير النسيج الصناعي التونسي الذي اسسته حكومات الاستقلال بين سنة 1960 وسنة 1990 عبر قرار رفع المعاليم الديوانية على المنتوجات الموردة من بلدان الاتحاد الأوروبي.

تداعيات هذا الاتفاق، التي رفضت كل الحكومات التي تداولت على السلطة قبل الثورة وبعدها وإلى اليوم تقيّمها بكل جدية وبكل موضوعية لكشف الحقائق، تتلخص في المؤشرات التالية:

إفلاس أكثر من 10 آلاف مؤسسة صناعية تونسية بطاقة تشغيل 40 مواطن للواحدة في المدة بين سنة 1996 (بداية تفكيك المعاليم الديوانية) وسنة 2010 سنتين بعد نهاية التفكيك سنة 2008، بشهادة تقرير صادر عن البنك الدولي بالتعاون مع المعهد الوطني للإحصاء سنة 2013. وذلك نتيجة الممارسات المخلة بقواعد المنافسة التي مارستها الشركات الأوروبية بتغطية من طرف بلدان الاتحاد الأوروبي التي ضغطت على الحكومات التونسية لكيلا تطبق قوانين الحماية المصادق عليها دوليا.

ارتفاع مستمر وهيكل لنسبة البطالة نتيجة التصحر الصناعي. عدد المعطلين عن الشغل يراوح المليون مواطن من بينهم 300 ألف من أصحاب الشهادات الجامعية. وهو ما يفسر انتشار ظاهرة الهجرة السرية وهجرة الأدمغة.

ارتفاع ظاهرة الاقتصاد الموازي الذي يتراوح بين 25% في أقل تقدير و50% مما يعني اختلال الاقتصاد المنظم وانتشار التهرب الجبائي بصفة خطيرة.

اختلال هيكل للموازنات المالية الخارجية للبلاد نتيجة التوريد المفرط والعشوائي: من ذلك ارتفاع إجمالي العجز التجاري في النظام العام المعتمد عالميا منذ 2010 إلى مبلغ رهيب في حدود 286,5 مليار دينار بين سنة 2011 وسنة 2022 أي على مدة 12 سنة الأخيرة مقابل 91 مليار دينار فقط في 12 سنة السابقة بين سنة 1999 وسنة 2010 أي بضعف 3,15 مرة يتم تغطيتها بالعملة الأجنبية؟

مما نتج على ذلك تنامي المديونية العمومية إلى مستوى 114 مليار دينار في أقل تقدير يمثل الدين الخارجي منها بين 60% و70% منها. كما أن المديونية تعد أكثر من 100% من الناتج المحلي الإجمالي الذي يشكو ركودا كبيرا ومستمر منذ سنة 2011 إلى اليوم حيث معدل

رغم تسارع التغيرات الجيوستراتيجية في العالم التي أفضت إلى تحولات عميقة في العلاقات الدولية بحكم هيمنة القطب الأحادي الأمريكي-الأوروبي بصورة فعلية، غير أنه على مستوى الوضع الداخلي في تونس ما زال هذا الطرف يصّر بمساندة وكلائه في الداخل على اختزال الأزمة الاقتصادية والاجتماعية في تونس حول موافقة صندوق النقد الدولي من عدمه لصرف مبلغ زهيد لا معنى ولا وزن له مقابل تنازلات تستهدف مؤسساتنا وثرواتنا العمومية وبدعوى جوفاء مفادها أن موافقة صندوق النقد سوف تفتح المجال لتدفق أموال من جهات مُتعددة لم يتبين مصدرها بطريقة رسمية خاصة في ظل التراجع الواضح لدور الولايات المتحدة في منطقة الخليج. هذا التصرف الإبتزازي إن دل على شيء فهو يدل على هروب إلى الأمام من طرف القطب الأمريكي-الأوروبي لإحكام قبضته على تونس بصفتها منطقة استراتيجية مُطلّة على الحوضين الغربي والشرقي في البحر المتوسط ومجاورة غربيا للشقيقة الجزائر التي أعلنت انحيازها لبلدان مجموعة «البريكس» في وقت يشهد فيه الصراع بينها وبين القوى الصاعدة لتكريس نظام عالمي جديد متعدد الأقطاب.

من هذا المنطلق يبدو جليا أن الاتفاق السعودي-الإيراني الذي تم توقيعه في بكين برعاية الصين بصفتها رمز القوى الصاعدة في العالم يعتبر تحد واضح للولايات المتحدة الأمريكية يتأكد يوما بعد يوم من خلال القرار الأخير الذي اتخذته بلدان الخليج بخفض إنتاج النفط في منظمة أوبك+ الذي تم بتوافق مع روسيا وإيران. هذه الانتكاسة الجديدة للولايات المتحدة جعلت هذه الأخيرة تكلف «وليام برنس» المسؤول عن جهاز الأمن القومي الأمريكي للقيام بزيارة خاصة للمملكة السعودية في خطوة للتعبير عن لومها لحليفها الاستراتيجي السابق غير انها تبدو خطوة لحفظ ماء الوجه لا أكثر.

إذا ما أضفنا على ذلك ما يجري في القارة الإفريقية من تراجع للنفوذ الفرنسي-الأوروبي تجلى عبر فرض خروج القوات الفرنسية من مالي في مدة زمنية ملزمة حددتها السلطات المالية بشهر. كما تم إلغاء الاتفاق الدفاعي بين فرنسا «وبوركينا-فاسو» ليُفضى إلى انسحاب القوى الفرنسية كذلك. وقد تزامنت هذه الأحداث مع قرار التشاد الأخير بطرد السفير الألماني وتنامي الحركات الشبابية المنددة باستعمار الاتحاد الأوروبي للبلدان الإفريقية الحديثة العهد بالاستقلال حيث تم نهب ثرواتها المعدنية والزراعية ودفعت بشعوبها إلى الفقر والبطالة واللجوء إلى الهجرة السرية. كما سيطرت الشركات الكبرى على مفاصل كل القطاعات الهامة في البلدان الإفريقية طالت المواني والتجارة بالخصوص. وقد اشتهرت مجموعة «بولوري» «BOLLORÉ» الفرنسية بسيطرتها في إطار العولمة وبرامج الإصلاحات الكبرى لصندوق النقد الدولي على 22 لزمة تصرف في مواني ومحطات نقل لسكك حديدية إفريقية كبرى طالت ميناء «دوالا» في الكاميرون و66 ميناء جاف ومحطتين نهريتين علاوة على 250 وكالة نقل. وقد أعلن مؤخرا مع مطلع سنة 2023 قراره بالانسحاب من منطقة غرب إفريقيا التي سيطر عليها على مدى لا يقل عن ثلاثة عقود ويتعرض حاليا إلى إحالة مجموعته على القضاء لعدة أسباب تتعلق بتصرفه في هذه اللزمات.

وهي بالمناسبة المجموعة التي تبحث على لزمة للتصرف في ميناء رادس بتونس الذي يتم التهجيم على خدماته منذ انطلاق الثورة عبر عملية مُمنهجة تهدف إلى تعطيل سير عمله ثم اتهام الشركة العمومية التي تسهر على تسييره منذ الاستقلال بعدم الكفاءة سعيا لعرضه لصفقة لزمات. وهي الطريقة التي يتم تمريرها عبر برامج الإصلاحات الكبرى التي يتوكل بفرضها صندوق النقد الدولي.

هذه الإنجازات التي تتم في ظل تفشي الفساد والتفريط بإسناد سياسي عسكري فرنسي وأوروبي يعتمد تنصيب مسؤولين محليين طيعين لتحقيق مصالحهم أو العمل على الإطاحة واغتيال كل وطني يعارض هذه المصالح من أمثال «توماس سانكرا» وغيره بالعشرات. أكثر من 200 عملية انقلاب تمت في إفريقيا بين سنة 1960 وسنة 2000 العديد منها متورطة فيها بلدان أوروبية وفي طليعتهم فرنسا. هذا الوضع الذي دمر اقتصاد تلك المناطق أدى إلى قيام حركات شبابية للمطالبة بالاستقلال الحقيقي للبلدان الإفريقية وبالقطع مع الغطرسة الفرنسية-الأوروبية دفعت بالرئيس الفرنسي إيمانويل

تسببت في خلافات بين أعضاء هيئة الدفاع عن الموقوفين في قضية التآمر :

"الشارع المغاربي" ينشر النص الكامل لـ "مبادرة" "ميثاق تونس من أجل استرجاع وصيانة الديمقراطية" المعدّة من قبل 7 من الموقوفين

كوثر زنطور

كان من المنتظر ان تعقد هيئة الدفاع عن الموقوفين في ما يُعرف بقضية التآمر على أمن الدولة ندوة صحفية اليوم الثلاثاء 11 افريل 2023 بأحد النزل وسط العاصمة تونس. تأجلت الندوة أو ألغيت حسب ما أكدت مصادر من هيئة الدفاع لـ"الشارع المغاربي" بسبب "رفض اغلبية أعضائها التداخل بين السياسي والقانوني" وذلك على خلفية اعتزام إطلاق المبادرة التي كانت، وفق رواية الهيئة ، وراء حملة الايقافات.

نشر عدد من أعضاء هيئة الدفاع عن الموقوفين في قضية التآمر على أمن الدولة تدوينات تبرزوا فيها من ندوة صحفية كان من المزمع عقدها اليوم وكانت ستخصص للكشف " لأول مرة" عن فحوى مبادرة سياسية تحمل توقيع 7 من الموقوفين . ونشرت الاستاذة إسلام حمزة وهي عضوة بالهيئة تدوينة على صفحتها الرسمية بموقع فايسبوك تحمل عنوان " توضيح الى السادة الصحفيين" أكدت فيها أن "الخبر المتداول حول تنظيم الهيئة ندوة صحفية غير صحيح " وان " الهيئة لم تبادر ولم تلغ أية ندوة".

تكذيب المحامية اعتزام تنظيم ندوة كشف تسلل الخلافات بين أعضاء الهيئة حول نقطتين تتعلق الأولى بقرار إطلاق المبادرة وهو قرار تلقاه عدد من المحامين بتحفظ مرده رفض اي تداخل في هذه المرحلة بين السياسي والقانوني. اما النقطة الثانية فتتمحور حول نص المبادرة وهنا تشدد مصادر من الهيئة على ان "عددا ممن شاركوا في النقاشات اكدوا ان نص المبادرة الذي كان سينشر للعموم اليوم عرف بعض التغييرات مقارنة بالنص الاصلي الذي صاغه الامين العام السابق لحزب التيار الديمقراطي غازي الشواشي".

المبادرة

تحمل المبادرة السياسية عنوان " ميثاق تونس من أجل استرجاع وصيانة الديمقراطية" ويعود تاريخها الى شهر جانفي 2023 وتحمل امضاءات كلا من الامين العام السابق لحزب التيار

الديمقراطي غازي الشواشي والناشط السياسي خيام التركي وعصام الشابي الامين العام للحزب الجمهوري وعضو جبهة الخلاص جوهر بن مبارك والعضوة بنفس الجبهة شيماء عيسى والقياديين السابقين المؤسسين لحزب نداء تونس رضا بلحاج ولزهر العكرمي.

المبادرة بمثابة خارطة طريق من 8 نقاط تضم رحيل "منظومة الحكم الحالية" عن السلطة والمرور لبناء "منظومة ديمقراطية بديلة" وتفرض على القائمين عليها عدم الترشح للاستحقاقات الانتخابية القادمة. كما تتضمن المبادرة تعديل دستور 2014 وتنظيم حوار وطني تكون من مخرجاته تكليف رئيس حكومة انقاذ اقتصادي يتولى ، وفق نص المبادرة (انظر المؤطر) وتشكيل حكومة كفاءات من غير المتحزبين على ان تحظى بأوسع دعم ممكن من أغلب الاطياف الوطنية وتكليف بتنفيذ برنامج اصلاحي شامل وادارة فترة انتقالية يكون من ابرز محطاتها إعداد وتنظيم انتخابات تشريعية ورئاسية.

عن إدارة الفترة الانتقالية، فستكون من منطلق دستور 2014 الذي تصفه المبادرة بـ "المرجعية الجامعة للساحة السياسية" وتقوم على 4 محاور هي الاصلاح الاقتصادي عبر "برنامج اصلاح شامل وعميق يحظى بدعم واسع وبالاستقرار اللازم" والمرحلة الثانية هي "مرحلة الاصلاح المؤسساتي" وتحديد اصلاحي المؤسسة القضائية والمرحلة الثالثة عنوانها "الاصلاح الدستوري" عبر اقتراح مجموعة من التنقيحات على دستور 2014 استنادا الى التجارب المستقاة من الممارسة الدستورية من 2014 حتى سنة 2021 والمرحلة الاخيرة في الفترة الانتقالية هي مرحلة المسألة السياسية وتقوم على "أخلقة العمل السياسي" عبر سن "منظومة قانونية ضابطة" وتعديل القانون الانتخابي ومراجعة قانون الهيئة المستقلة للانتخابات " بما "يضمن ترشيد المشهد السياسي واستقراره وتنقيته مع المحافظة على التنوع السياسي والفكري".

كانت هذه المبادرة محل نقاشات تواصلت أسابيع بين عدد من الناشطين السياسيين. ويقول أعضاء من الهيئة انها كانت وراء حملة الايقافات

التي انطلقت بايقاف خيام التركي يوم 11 فيفري 2023 وان الاعلان عنها كان سيتم مع حلول ذكري المصادقة على دستور الجمهورية الثانية (27 جانفي 2014) قبل ان يتم تأجيل الاعلان الى نهاية شهر فيفري لكن الايقافات حالت دون ان ترى هذه المبادرة النور وتحولت الى قضية تآمر على أمن الدولة ، وفق رواية محامي الموقوفين والتي تصل الاحكام فيها الى المؤبد والاعدام .

انقلاب

يبدو انه تم الاتفاق بين أعضاء هيئة الدفاع في اجتماع عُقد نهاية الاسبوع المنقضي على تأجيل الندوة الصحفية التي كانت مقررة لليوم الثلاثاء. ومع ذلك يقول مصدر من الهيئة لـ"الشارع المغاربي" تم الانقلاب على الاتفاق الداخلي من خلال محاولة المرور الى سياسة الامر الواقع عبر تنظيم الندوة والتعلل بأن تنظيمها اتخذ بقرار من "المساجين" وانها ستخصص لنشر رسالة موجهة منهم إلى الرأي العام من جهة وللكشف عن النص الكامل للمبادرة السياسية من جهة اخرى.

خلال اجتماع السبت المنقضي جرت نقاشات بين أعضاء الهيئة حول " التبعات الممكنة لنشر نص المبادرة" على وضعية منوبيهم لا سيما مع ما مروا به من " هرسلة" و" سوء معاملة" منذ بداية فترة الايقاف. ووفق مصدر من الهيئة فإن " عائلات بعض الموقوفين رفضت قرار النشر " و" نفت وجود اي تنسيق معهم " حول هذه الخطوة التي خلقت شرخا داخل الهيئة وقد تضرب في مقتل الثقة بين اعضائها من جهة واعضاء منها وعائلات عدد من الموقوفين من جهة اخرى.

ما حدث يوم امس سيكون له ما بعده داخل الهيئة التي قد تتوجه نحو اعادة تشكل وان كانت المرحلة القادمة وتطوراتها المحتملة هي الأهم بالنسبة للمحامين ولنوبيهم على حد سواء بالنظر الى ان القضية قد تحال الى القضاء العسكري بعد ان توسعت السماعات فيها لتشمل متهمين في قضية "انستالينغو" وايضا مجموعة الـ"25" المعروفة بقضية وليد البلطي والتي وُجّهت فيها لعدد من الشخصيات تهمة التآمر على أمن الدولة.

ميثاق تونس من أجل استرجاع وصيانة الديمقراطية

العالم.

كان يفترض على الرئيس استخلاص عواقب هذا العزوف الكبير والمقاطعة الواسعة لمشروعه، وان يعتذر ويستقيل، إلا أنه تمادى - كما هو دأبه منذ أن تسلّم السلطة - متفردا بالرأي، متجاهلا المجتمع، ومستهدفا كل مؤسسات الدولة الديمقراطية الاجتماعية الحديثة، معتمدا من الناحية المؤسسية مواصلة التمسك بالسلطة وفق الصلاحيات المطلقة لحالة الاستثناء وفق الأمر 117، والتي زادها تكريسا بالدستور الذي صاغه بنفسه ولنفسه، بحيث يمضي مشروعه إلى مأزق وترهن البلاد في أزمة خانقة.

أمام رفض قيس سعيد أي شكل من أشكال الحوار أو العمل التشاركي، وتركيزه لنظام حكم جديد يكرس ويؤسس لسلطة استبدادية ويخفق أصوات المعارضة ويركع القضاء وهياكل الدولة لخدمة مشاريعه الطوباوية ورؤاه الفوضوية، فإنه أصبح من غير الواقعي تصوّر انخراطه أو إشراكه في أي مبادرة للإنقاذ والإصلاح. لذا، فإن مشروع استعادة الديمقراطية الذي ندعو إليه ونعمل على إنفاذه يقتضي مغادرة منظومة الحكم الحالية السلطة بكل الطرق المدنية والسياسية السلمية والديمقراطية وفق مشروع بديل شامل وجاد ومسؤول يبني معالمه ومنهجه وأجندته وتفصيله حوار وطني جامع وإدماجي لإنقاذ تونس.

إننا نقدر بأن نظام قيس سعيد بات هو المشكل الأعظم والخطر الجاثم ولا يمكن أن يكون جزءا من الحل.

يكمن الهدف من وراء هذه المبادرة في تكوين أرضية تمكّن من الاستعداد للعودة إلى الشرعية الدستورية وإلى دولة القانون والمؤسسات دون استمرار وضعية/منظومة ما قبل 25 جويلية باعتبار إدراك نقائصها، وأعطابها، ومآزقها، وحدودها. كما ترنو هذه المبادرة إلى تحصين المستقبل وضمان ألا تتكرّر هذه الأحداث مرّة أخرى.

لذلك، تحتاج بلادنا إلى استقرار شامل، سياسي ومؤسسي وأمني يمكنها من إنجاز الإصلاحات الاقتصادية والمالية المتوجبة. وللوصول إلى ذلك، فإننا بحاجة ملحة إلى مرحلة انتقالية توافقية تدعم هذا الاستقرار المنشود وتنبّه.

تقوم المبادرة إذن على خيار رحيل منظومة الحكم الشعبوية عن السلطة وبناء منظومة ديمقراطية بديلة يتوجب على القائمين عليها عدم الترشح للاستحقاقات الانتخابية المقبلة.

يكون من مخرجات الحوار الوطني تكليف رئيس حكومة إنقاذ اقتصادي يتولى تشكيل حكومة كفاءات من غير المتحزبين، تحظى بأوسع دعم ممكن من أغلب الأطياف الوطنية، تقوم وفق برنامج إصلاحي شامل كما تتولى إدارة الانتقال والإعداد للانتخابات التشريعية والرئاسية مباشرة بعد نهاية المرحلة الانتقالية.

تلخّ المبادرة على استخلاص الدروس من التجارب السابقة، حيث غلب السياسي على الاقتصادي وفشلت التحولات السياسية، رغم المنجز الديمقراطي، في أن تأتي بالتغيير المنشود على واقع التونسيين المعيش. لذا، يجب الفصل بين المسارات الاقتصادية والسياسية والإصلاحية، مع إيلاء المسألة الاقتصادية والاجتماعية والإصلاحية الأولوية القصوى.

محاور المرحلة الانتقالية :

يعتبر أصحاب المبادرة والموقعون عليها أن دستور 2014 يبقى المرجعية الجامعة للساحة السياسية، وهو الذي وقعت صياغته بعد مشاركات واسعة من مختلف قوى المجتمع الحية، وبتوافق يضم أغلب الفاعلين السياسيين، مع ضرورة إدخال مجموعة من الإصلاحات والتعديلات على عدد من النقاط التي أثبتت الممارسة الحاجة إلى مراجعتها وتطويرها.

ويتفق الموقعون على كون الساحة السياسية بمختلف مكوناتها، قد عرفت إنهاكا شديدا وهي في حاجة إلى مراجعات عميقة وإعادة بناء شاملة.

إن الوضعية الاستثنائية التي بلغتها البلاد لا تسمح بالعودة إلى السجلات والاستقطابات السياسية العقيمة، بل إن البلاد ستحتاج إلى فترة انتقالية، تتطافر فيها كل الجهود من أجل إنقاذ الاقتصاد التونسي وإعادة تشغيل المحركات التنموية، بالإضافة إلى إتمام الإصلاحات الهيكلية والدستورية والمؤسسية.

ستنكبّ المرحلة الانتقالية على أربعة محاور أساسية :

الإصلاح الاقتصادي : يحتاج الاقتصاد التونسي إلى برنامج إصلاح شامل وعميق يحظى بدعم واسع وبالأستقرار اللازم.

الإصلاح المؤسسي : إصلاح المؤسسة القضائية بما يضمن استقلاليتها ونجاعتها والمؤسسة الأمنية بما يدعم مهنتها وحياديتها، واستكمال المؤسسات الدستورية.

الإصلاح الدستوري : اقتراح مجموعة من التنقيحات على دستور 2014 بالنظر إلى الدروس والتجارب المستفادة من الممارسة الدستورية بين سنتي 2014 و2021 وتعرض تلك التعديلات على الاستفتاء الشعبي بعد نقاش وطني مستفيض.

المسألة السياسية : ضرورة أخلقة العمل السياسي في البلاد عبر سنّ منظومة قانونية ضابطة، بالإضافة إلى تعديل القانون الانتخابي ومراجعة قانون الهيئة المستقلة للانتخابات بما يضمن ترشيح المشهد السياسي واستقراره وتنقيته مع الحفاظ على التنوع السياسي والفكري.

تونس، جانفي 2023

عصام الشابي

خيّام التركي

غازي الشواشي

الأزهر العكري

رضا بلحاج

شيماء عيسى

جوهر بن مبارك

من أجل استرجاع الديمقراطية وصيانتها وإنقاذ الاقتصاد وتحقيق التنمية، تدرج هذه المبادرة في إطار المساعي التي تقوم بها النخب السياسية في البلاد من أجل التفكير في بديل سياسي لمنظومة الحكم الحالية بعد أن خرقت الوفاق الوطني الذي وصلت إلى الحكم من خلاله، حيث انقلبت على الدستور وغيرت من شكل الدولة وخلقت أزمة سياسية غير مسبوق في البلاد، علاوة على فشلها الكامل في إدارة شؤون الدولة وعزل البلاد عن العالم.

المشاركون المقترحون :

الأحزاب والحركات والجبهات السياسية والمنظمات الوطنية والهيئات المهنية الوطنية، وجمعيات المجتمع المدني الحقوقية والنسوية والحركات الاحتجاجية، والشخصيات الأكاديمية والثقافية والإعلامية، الذين سيجتمعون في مؤتمر وطني للإنقاذ وصيانة الديمقراطية.

السياق :

في البدء، لا بد من الوقوف عند الفرص الضائعة والاختناقات والمآزق التي انتهت إليها مسار الانتقال الديمقراطي بما سهل على قيس سعيد الانقلاب عليه، مثل طول مسار الانتقال السياسي وتعثره وعدم اكتمال مؤسساته، وضعف المنجز الاقتصادي والاجتماعي والفشل في تحسين ظروف عيش المواطنين والمواطنين، وما أفضى إليه هذا الفشل المضاعف من خيبة أمل عامة في الثورة والديمقراطية وتصاعد النزعات الشعبوية والفاشية والاستبدادية المناهضة للديمقراطية، والتي مثل انقلاب 25 جويلية تنويجا لها.

لقد قامت الثورة التونسية على الربط بين مطالب التنمية الاقتصادية العادلة والتغيير السياسي الديمقراطي، لكنها انتهت إلى ديمقراطية ضعيفة ومتعثرة وغير ناجحة، لم تقدر على تحسين حياة المواطنين والمواطنين ولم تكن قادرة على الإقناع بحيويتها والدفاع عن نفسها في مواجهة المغامرات الانفرادية والنزعات الشعبوية.

أدى طول وتعثر المرحلة الانتقالية وحدة الصراع السياسي-الأيدولوجي وعدم قدرة المكونات الوطنية على صياغة التوافقات التاريخية الأساسية، إلى انقسام حاد في المجتمع التونسي وحول السياسة في الغالب إلى صراعات ومناورات دون مضمون وبرامج تراعي الصالح العام.

إن عدم الاستقرار وهشاشة المنجز الديمقراطي وانفضاض عموم المواطنين من حوله، سهل المهمة على من عملوا على تبخيسه والانقضاض عليه. ولقد انتهز قيس سعيد هذه الفرصة ليقوم في 25 جويلية بالانقلاب على الدستور والديمقراطية وليغتصب السلطة ويقوم بتدمير المؤسسات وذلك عبر تعفين الأوضاع، قبل توظيف متعسف للفصل 80 من الدستور أولا وفرض حالة الاستثناء آلية دائمة للحكم ثانيا.

المنطلقات :

تأكيدا لإرادة مشتركة في العمل على توطيد سيادة القانون وتحقيق التنمية والأمن لبلادنا، ولضرورة تعزيز وحماية وتوطيد الديمقراطية والحكم الرشيد.

التزاما بالمسؤولية المشتركة في ترسيخ دعائم الدولة الديمقراطية العادلة المتضامنة وتعزيز القيم الكونية المتصلة بكرامة الإنسان وحقوقه في التنمية العادلة والبيئة النظيفة.

إدراكا لخطورة الوضع التاريخي الذي تعيشه بلادنا على جميع الأصعدة ومساهمة في تصور طريق خروج بلادنا من أزمتها الخانقة.

يقينا بخطورة المغامرات والتغيير غير الدستوري لنظام الحكم وما يؤدي إليه من عدم استقرار وتنازع شرعيات ومخاطر العنف، وحرصا على تجذير ثقافة الشرعية الدستورية والتداول السياسي السلمي على أساس الدستور وعبر الانتخابات الدورية الحرة الشفافة والنزيهة والخاضعة لإشراف الهيئات المختصة المستقلة ولرقابة سلطة القضاء والاعلام الحر والرأي العام. تطلعا إلى القطع مع الاستبداد والتخلف والدفع ببلادنا نحو الحدّات السياسية والريادة والاشعاع الحضاري، وتصميما على توطيد آليات الحكم الرشيد ومأسسة الشفافية والمساءلة والمحاسبة والديمقراطية التشاركية.

فإننا نؤكد على القيم والتوجهات المشتركة :

الدولة - الوطن أو الدولة الوطنية المنظمة وفق مبدأ اللامركزية والجماعات العمومية المحلية الترابية.

مدنية الدولة، حقوق الإنسان في كونيتها وترابطها في أجيالها الثلاثة، والحريات الفردية والعامّة بلا تمييز.

دولة القانون والرقابة الدستورية على القوانين والمساواة والمواطنة غير القابلة للتجزئة، والفصل بين السلطات.

الديمقراطية التشاركية عبر التمثيلية والتشاركية القائمة على الأحزاب والتعددية والانتخابات والتي تحترم المعايير الدولية.

الدولة الاجتماعية، العدالة، التنمية المستدامة والحفاظ على بيئة نظيفة وصحية ومكافحة الهشاشة والفقر، لا سيما فقر النساء.

مقدمات خارطة الطريق السياسية :

تنطلق المبادرة من معاناة أن المشروع الأحادي الذي أطلقه قيس سعيد فشل وانتهى وهو زاهب حتما إلى زوال، حيث يكفي استحضار فشل محطاته المتعاقبة، من استشارة الكترونية لم تتجاوز المشاركة فيها 500 ألف مشارك، استفتاء قاطعه 70 بالمائة من الناخبين، وأخيرا انتخابات تشريعية لم تتجاوز نسبة المشاركة فيها 11,26 بالمائة كأضعف نسبة مشاركة في انتخابات في



بقلم معز زيّود

الجزائر/تونس:

الخطاب الموارب أولاً!

فرضها على شعوبها!... وهل ننسى أيضا الإجراءات العقابية المسيئة التي تعامل بها أفراد الدرك الجزائري منذ فترة مع مئات المسافرين التونسيين بشكل متزامن في كافة المعابر الحدودية، جزاء خلاف ثنائي بعد امتناع السلطات التونسية عن ترحيل الناشطة السياسية الجزائرية/الفرنسية أميرة بوراوي إلى الجزائر والسماح لها بالسفر إلى فرنسا. ندرك أنّ الكثير من أفراد الدرك والجمارك الجزائريين لا ناقة لهم ولا جمل في حسابات رؤسائهم، بل كانوا آنذاك مجرد منقذين لتعليمات عليا. والحال أنّ السلطات الجزائرية نفسها سبق أن سمحت بسفر العديد من الشخصيات السياسية التونسية البارزة إلى فرنسا، بعد أن عبرت خلسة الحدود التونسية الجزائرية. وربما آخر هؤلاء نبيل القروي، وقبله زعيم جماعة الاتجاه الإسلامي راشد الغنوشي والوزير الأول الأسبق محمد مزالي والوزير المتعدد الحقب أحمد بن صالح وغيرهم... حينها ابتلعت السلطات التونسية السكين بصمت دون أن تقيم الدنيا وتقعدها، صوناً لعلاقات ينبغي أن تبقى متميزة بين الشعبين المتحابين...

كلّ ما سبق ذكره يعني في المحصلة أنّ الدعم الجزائري لتونس يكاد يقتصر على الجانب المعنوي لخطابها الرسمي الذي لا يُسمن ولا يُغني من جوع... على غرار الدول العربية الثرية الأخرى كالسعودية والإمارات وقطر التي أدارت ظهرها لتونس، معتمدة فقط على ازدواجية الخطاب، ومُتَحَجِّجَةً بضرورة إجراء الإصلاحات التي تشترطها المؤسسات المالية الدولية الكبرى، باعتبارها تُدين لأرباب التطبيع بالطاعة العمياء، هذا إن لم تسهم بعضها في تغذية الأزمة السياسية في البلاد.

لا شكّ طبعا في أنّ وحدة الجغرافيا، كما التاريخ، تفرض على تونس والجزائر التكاتف والتعاون بدلا من التنافر أو الخطاب المزدوج والموارب. فالأحوال متغيرة شئنا أم أبينا، بصرف النظر عن بورصة الغاز والبترو. وهو ما يتطلب النأي عن منوال الابتزاز اقتصاديا وسياسيا أو الاقتداء بالخطاب الأجوف لـ"التضامن العربي" الذي لم يعد يُناسب إلا الجامعة العربية الغارقة في صنوف العجز والهوان أسوة بالنفق السياسي لجلّ أعضائها... فتونس التي كانت دائما مؤثلا دافئا لإخوة الجوار الجزائري والليبي ليست، رغم كلّ مآسيها الراهنة، مجرد ملف للتداول مع أية دولة لا تهتمها سوى مصالحها الضيقة وحساباتها الظرفية...

22 مليار دولار. ومع ذلك لم تقدّم شيئا ذا بال إلى تونس التي تكابد شتى الضغوط الغربية والعربية من أجل القبول بالشروط المجحفة لصندوق النقد الدولي مقابل قرض تَقِلُّ القيمة الإجمالية لجميع أقساطه عن 2 مليار دولار. وآخر الأمثلة ما راج مؤخرا حول مطالبة الشركتين الجزائريتين "سوناطراك" و"سونغاز" الشركة التونسية للكهرباء والغاز باستعجال سداد الفواتير المستحقة لديها. والأرجح أنّ الجانب التونسي قد خضع لضغوط جزائرية دفعت الشركة التونسية إلى تقديم توضيحات رسمية بشأن إيفائها بتعهداتها في إطار اتفاقات تبادل الطاقة المبرمة مع الشركتين الجزائريتين المذكورتين. فلا ريب في أنّ تأكيد الطلب الجزائري المتعلق باستعجال تسديد تلك الفواتير من شأنه أن يُثير حرجا بالغاً للسلطات الجزائرية، وهي التي بنت سرديّة متكاملة بشأن دعمها التام لتونس خلال هذه الفترة الحرجة... والجدير بالذكر أنّ شركتي "سوناطراك" الجزائرية و"إيني" الإيطالية كانتا قد أبرمتا، منذ أسابيع، اتفاقية جديدة لإنشاء خط أنبوب غاز مباشر بين الجزائر وإيطاليا، أي دون المرور بتونس. وهو ما يشكل ضربة قويّة للدولة التونسية التي كانت تُعوّل على رفع حجم عائدات أنبوب الغاز الجزائري العابر للبلاد التونسية في اتجاه إيطاليا. وهو ما يعود إلى استضعاف تونس ودبلوماسيتها المرتبكة، ممّا أدّى إلى تغييبها عن تلك المحادثات والاتفاقات ذات الأهمية الحيوية بالنسبة إلى الاقتصاد التونسي...

مسؤولية الذات

لا ننكر، في المقابل، أنّ التونسيين يتحمّلون نصيبهم من مسؤولية الاستضعاف والاستقواء هذه على أصعدة عدّة، بدايةً بضعف الدبلوماسية وسياسة الاستجداء رسمياً ووصولاً إلى فظاعة الأداء إعلامياً. فلا ننسى مثلا كيف كانت قناة "الوطنية 1" الرسمية، ومن ورائها السلطات السياسية، تُبالغ بشكل مجانيّ في التهليل لمشهد قدوم أول سائح جزائري أواسط الصيف الماضي، أي بعد نهاية موسم الحجوزات السياحية. والأمر سيّان بالنسبة إلى سقوط بعض الإعلاميين التونسيين خلال الفترة الماضية في استخدام عبارات وتوصيفات متصاغرة غبية من قبيل "الشقيقة الكبرى" عند الحديث عن الجزائر. والحال أنّ كلّ بلد ينبغي أن يكون، ولو رمزياً، البلد الأكبر والأعظم في مخيال مواطنيه، بصرف النظر عن الإيديولوجيات التي تحاول الأنظمة

من المؤسف أن تجد الدولة التونسية نفسها محاصرة اقتصادياً وسياسياً من القريب قبل البعيد، بصرف النظر عن طبيعة النظام السياسي الراهن وضعف سياسته الخارجية إقليمياً ودولياً. في هذا النطاق، يمكن أن نعاين بيسر ازدواجية الخطاب الذي تعتمد عليه السلطات الجزائرية حيال تونس، كيف ذلك؟...

سبق للرئيس الجزائري عبد المجيد تبون أن صرّح، في مناسبات عديدة، أنّ الجزائر ستقف مع تونس لتجاوز الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تمرّ بها. ومنذ أسابيع قليلة، اعتبر أنّ "تونس تتعرّض لمؤامرة، والجزائر تقف معها أحبّ من أحبّ وكره من كره". وذهب، في اللقاء نفسه مع قناة "الجزيرة" القطرية، إلى أنّ "الجزائر تسعى دائما إلى ردّ جميل تونس أثناء الثورة (الجزائرية) وبعدها، فنحن لن نتخلّى عن الشعب التونسي ونساعده بقدر المستطاع"، محدّرا من أنّ "الضغوطات التي تأتي من الخارج فيها الكثير من الخبث لزعة استقرار البلاد مثلما رأينا في دول أخرى... وما يهمّني هو ألا نترك الدولة التونسية تنهار"... تصريحات تبدو في مجملها إيجابية رغم تعدّد دالاتها، ولاسيما إذا ربطنا الخطاب بالفعل.

بين القول والفعل

لن نخوض كثيرا في مسألة التدخل الجزائري في الشؤون الداخلية التونسية لأنّ الأمر من تحصيل الحاصل، وإن قيل خلاف ذلك، حتى أنّ الرئيس الجزائري نفسه قد اعترف خلال اللقاء المذكور سلفا بأنّ "تونس امتداد أمني للجزائر والجزائر امتداد أمني لتونس". والأكثر من ذلك أنّه قد قال حرفيا، خلال زيارته لروما أواخر شهر ماي 2022، إن الجزائر وإيطاليا على "استعداد لتقديم المساعدة اللازمة لتجاوز تونس الأزق الراهن والرجوع إلى الطريق الديمقراطي"، وكأنّ الجزائر تُشكّل نموذجا يُحتذى للممارسة الديمقراطية.

الأهمّ ممّا تحمله هذه التصريحات من لغو خطابي هو أنّها لم تقترن بأفعال ملموسة لدعم تونس على تجاوز أزمتها المالية الخانقة، مثلما فعلت تونس حيال جيرانها سابقا، بل وربما حدث العكس تماما، والأمثلة عديدة. فالقاصي والداني يدرك أنّ الحرب في أوكرانيا وما أدّت إليه من ارتفاع أسعار المحروقات قد أتاح للجزائر وفرة مالية غير مسبوق، حتى أنّها رفعت حجم ميزانيتها الدفاعية إلى الضعف بما يتجاوز



بقلم : عبد الجليل بوقرة

تونس بعد 25 جويلية :

أي مستقبل للديمقراطية؟

بتونس، إذا بدأ انغلاق الدولة الوطنية منذ سنة 1963 بتركيز نظام الحزب الواحد ووضع اليد على كل منظمات المجتمع المدني بما فيها الاتحاد العام التونسي للشغل. ثم كان إلغاء الانتخابات الرئاسية منذ سنة 1975 وتركيز برلمان وبلديات موالية، واقتنع رجال الدين بما توفر لهم من امتيازات محدودة مع مواصلة التحرك في الفضاءات الممكنة لتأييد التسلط والتصدي لكل مشروع تحديث سياسي ذي بعد ديمقراطي.

لقد دفعت تونس باهظا ثمن ذلك التسلط المسنود بتحالف "الأمير والإمام"، بتشكيل مجتمع له حساسية مفردة تجاه التعدد والتنوع سواء كان فكريا أو اجتماعيا أو جنديا... أي رفض أسس الحكم الديمقراطي، وميل مكشوف ومتعصب لأنماط الحكم التسلطي، كالأنظمة الرئاسوية، ورفض قاطع للحريات الفردية، وخلق دائم بين هيبة الدولة وتسلطها.

في كل مرة تتوفا في مساحات من الحرية إلا وتتقلص بسرعة ويغلق القوس وتكثف السلطة عن أنيابها وتصادر أغلب الحريات العامة، مستغلة أخطاء بدائية للمعارضة وتهافتها على الحكم دون حد أدنى من الاستعداد. كان ذلك في سنوات الاستقلال الأولى عندما بدأ خليط هجين من المعارضين لبورقوية في التخطيط للانقلاب عليه بإقحام المؤسستين العسكرية والأمنية في تخطيطهم للوصول السريع للحكم دون أي برنامج لتسيير شؤون الدولة، فكان أن صادر النظام الحريات الموروثة من الفترة الاستعمارية كحرية تكوين الأحزاب والجمعيات وحرية الصحافة.

تكرّر الأمر مع بن علي عندما بدأ الإسلاميون في التخطيط للانقلاب عليه بتوريط المؤسستين الأمنية والعسكرية في مشروعهم الهادف إلى تركيز حكم إخواني، فكانت المواجهة وتقلص هامش الحريات العامة إلى حد كبير بعد فسحة صغيرة دامت ثلاث سنوات.

الأخطر من كل ذلك أن رفض الديمقراطية التمثيلية والحياة الحزبية وتوازن المؤسسات لم يعد إجراء فوريا أحاديا يتخذه رأس السلطة التنفيذية مثلما كان عليه الأمر مع الرئيسين بورقيبة وبن علي، بل أصبح إثر تجربة عشر سنوات من الانتقال الديمقراطي، بعد 14 جانفي 2011، رغبة شعبية لأن صورة الديمقراطية التمثيلية والتعددية الحزبية والتوازن بين السلطات اقترنت لدى قطاع واسع من المجتمع التونسي بالفوضى والفقر وانعدام الكفاءة وتفشي الفساد وتمدد الإرهاب وانتشار الجريمة بكل أنواعها... لذلك كان الانفجار الشعبي يوم 25 جويلية 2021 ضد منظومة 14 جانفي وممثلة حركة النهضة الإخوانية وحلفائها، وكان التجاوب سريعا مع إجراءات مساء 25 جويلية الرئاسية بتجميد البرلمان وحل حكومة المشيشي حليف الإخوان. أي مستقبل للديمقراطية بتونس؟

إن تشويه الديمقراطية خلال عشرية حكم الإخوان وحلفائهم كان وراء انحياز أغلب التونسيين إلى النظام الرئاسي ورفضهم المؤسسة البرلمانية بل ورفض حتى المشاركة في انتخابها، فهي بالنسبة اليهم باتت مصدرا لكل الشرور من تعطيل الدولة وحماية الفاسدين والإثراء غير الشرعي والتواطؤ مع الأجانب... وبات من الصعب على النخب حاليا رد الاعتبار للديمقراطية التمثيلية ولمصادقية الأحزاب السياسية والتصدي للانزلاق التدريجي نحو النظام الرئاسوي الذي سبق له أن تسبب في عهدي بورقيبة وبن علي في عدة أزمات سياسية واجتماعية.

أصبح حاليا اليوم من المفروض على النخب تعديل بعض القناعات العقيمة وبعض ما كانت تراه بديهيا بمواءمة أفكارها مع الوعي الاجتماعي الآن وهنا والنزول من الأبراج العاجية للارتقاء التدريجي بالوعي الجمعي وعدم التعسف على حركة التاريخ بهدف إعادة المسار الديمقراطي إلى وجهته الصحيحة ليكون في خدمة التنمية الشاملة ولتصبح الديمقراطية مطلبا شعبيا ولا مشغلا نخبويا، وليتحول المجتمع بكل فئاته إلى درع واق للديمقراطية يحصنها من كل الأخطار سواء كانت داخلية أو خارجية.

"الربيع العربي".

محنة الديمقراطية بتونس

شكلت قرون من التسلط شخصية التونسي. كان تسلط سياسيا مستمرا وثابتا، حتى وإن تغير الحكام وتغيرت جنسياتهم وأصولهم وتغيرت أنظمة الحكم وتغير الخطاب وتم سن التشريعات والداستاتير. نجح التسلط السياسي في الدوام بالمحافظة على تحالف "الأمير والإمام". فالحاكم كان يضمن المحافظة على المصالح المادية لرجال الدين وعلى تميزهم الاجتماعي مقابل منح الشيوخ والفقهاء الشرعية الدينية للحاكم وتبرير كل قراراته وأفعاله.

وتعج كتب التاريخ بنماذج من ذلك التحالف والتصدي لكل مشاريع الإصلاح السياسي والاجتماعي. وحتى في المرات القليلة التي تصدى أثناءها رجال الدين لتسلط الحكام وشهروا بمظالمهم فإن ذلك لم يكن بنية الإصلاح السياسي والاجتماعي، بل كان بدافع التنافس على النفوذ ومحاولة تعديل موازين القوى لصالحهم.

ونكتفي بذكر حدث بارز في تاريخ تونس المعاصر اصطدم فيه رجال الدين بالسلطة السياسية وأدى صدامهم إلى سقوط قتلى واعتقال العشرات وسجنهم بمعقل غار الملح الفظيع، وهي الحادثة المعروفة بمظاهرة "الله أكبر ما يميشيش" بمدينة القيروان.

كان انحياز قيادة الحركة الوطنية إلى الحداثة على النمط الغربي واضحا. لذلك جاءت المعارضة من الأطراف المحافظة والرافضة للمشروع الغربي في كل تجلياته. كانت هذه المعارضة متنوعة الأشكال ومتفاوتة الخطورة: بدءا من الاكتفاء بالاحتجاج وصولا إلى التهديد بالعنف واستعماله أحيانا. نذكر في هذا السياق الفتوى التي أصدرها بعض أعضاء المحكمة الشرعية العليا ضد مجلة الأحوال الشخصية في 27 سبتمبر 1956 واستقالة بعض أعضاء هذه المحكمة. كما وجد المحافظون في «الحركة اليوسفية» خير معبر عنهم، مما يعني تحولا نوعيا في أسلوب تعبيرهم عن معارضتهم لاندفاع بورقوية في نهج التحديثي على الطريقة الغربية إلى حد عدم تردده في دعوة التونسيين إلى عدم صيام رمضان في خطاب ألقاه يوم 5 فيفري 1960، مما تسبب في اندلاع أول مظاهرة احتجاجية ضد النظام البورقوبي يوم 17 فيفري 1961 بالقيروان.

في تلك المدينة كان رجال الدين يحتكرون كليا توجيه الرأي العام في كل مناحي الحياة بما فيها المسائل الشخصية والحميمية، إلى حدود بداية الستينات عندما بدأت الدولة الوطنية في حشرهم في مربع ضيق بنزع كل مصادر قوتهم ونفوذهم كإلغاء الأحباس، وتوحيد التعليم وتحديثه، وإلغاء المحاكم الشرعية. بل إن السلطة السياسية بدأت تنازعهم في عقر مجالهم عندما قرّر الرئيس بورقوية ممارسة الاجتهاد في المسائل الدينية معتبرا ذلك حقا مشروعا للحاكم. لكل تلك الاعتبارات بدأ رجال الدين بالقيروان، وعلى رأسهم الإمام الخطيب الثاني بجامع عقبة والمدرّس بالحي الزيتوني بالقيروان الشيخ عبد الرحمان خليف، في التحريض على السلطة السياسية الجديدة، فأصدر الشيخ خليف كتيبا عن فضائل صيام رمضان ووجوبه شرعا ورفض كل تبريرات إباحة الإفطار "على من يطيقونه". وكرّد فعل من جانب السلطة قرّرت وزارة التربية نقله الشيخ خليف للتدريس بحامة قابس، في جانفي 1961، فاستغل أنصار خليف مناسبة تصوير فيلم سينمائي إيطالي بجامع عقبة لتنظيم مظاهرة احتجاجية في يوم سفر الشيخ خليف إلى قابس، وهي المظاهرة الأولى بالبلاد التونسية بعد الاستقلال، رافعة شعارا مركزيا وهو "الله أكبر ما يميشيش"، أي نرفض نقله الشيخ خليف. وسرعان ما تحولت المظاهرة إلى صدام مع قوات الأمن فتدخل الجيش للسيطرة على الوضع المنفلت وسقطت ضحايا بين قتلى وجرحى وتم اعتقال العشرات.

كانت تلك المظاهرة ثم المحاولة الانقلابية لسنة 1962، وراء تعطيل أي مشروع سياسي في اتجاه التأسيس للديمقراطية

المأزق والانفراج النسبي

أحيانا تتلاحق الأحداث بسرعة مذهلة يصعب معها علينا التوقف لاسترداد الأنفاس والتأمل والمراجعة، فننسى ما كنا فيه ونقتصر على ردود الفعل على الآن. لهذا يحرص البعض على التذكير دوما بالسياقات التاريخية، ويختزل أجدادنا ذلك بالقول "وبين كنا ووين صبحنا"، بمعنى علينا تذكر الأمس حتى ننسب الأمور ونقدر على مواصلة التمهيد لمستقبل أجمل وحياء أفضل. فهل يمكن نسيان ما تعرّضنا له من تحيل غير مسبوق في تاريخنا، بعد 2011، عندما فرضوا علينا مسارا نقلوه من العراق بعد غزوه في 2003، وسمّوه بالمرحلة الانتقالية لهدم الدولة الوطنية وكلّ منجزها "بخيرو وشرو"، وتغيير بوصلتنا الدبلوماسية لإيهامنا بأنه السبيل الوحيد لتحقيق الديمقراطية؟ كان الهدم ممنهجا وكانت الآليات بارعة وكان الأسلوب خبيثا، فلا صوت يعلو على صوت التخريب، وما عداه نشاز يسارعون إلى إخراسه، وإذا تمادى أسكتوه إلى الأبد ليكون عبرة لمن يفكر في التشكيك في مسارهم والتنبيه إلى الهاوية التي تنتظرنا. فهل ننسى كيف أسكتوا لطفي نقض في تطاوين في مشهد يذكّرنا بكل مظالم الاستعماريين والحشود الفاشية بما تحتوي من مشاهد مرعبة؟ ثم ما هي جريمة شكري بلعيد ليفرغوا في وجهه وفي قلبه وابلا من الرصاص في وضح النهار بالمنزه السادس بأريانة؟ وما هو الخطر الذي كان يشكّله محمد البراهمي على الأمن العام ليكون عرضة لاغتيال جبان أمام بيته ساعات قليلة قبل الإفطار في رمضان، أي في شهر التسامح والسمو الروحي، من قبل من كان راشد الغنوشي لا يتورّع عن وصفهم بكل فخر وانتشاء بأنهم يذكرونه بشبابه ويبشرون بثقافة جديدة؟

لم تكن الاغتيالات عملا معزولا، بل أكّدت العمليات الإرهابية الكثيرة التي طالت العسكريين والأمنيين أنّ الغاية أخطر من ذلك بكثير وأنّ المقصود هو الدولة الوطنية وخاصة اختياراتها الاجتماعية والثقافية والدبلوماسية. إذن تتالت الإجراءات الهادفة إلى تفجير الطبقة الوسطى، مقابل تعاضم نفوذ ومكانة طبقة الكناطرية.

كان التوجّه الثقافي والفكري واضحا لمحو العقيدة السائدة بالمجتمع التونسي والموروثة منذ قرون وهي عقيدة السنّة المالكية على نهج الإمام الجنيّد السالك وتعويضها بالمذهب الحنبلي الوهابي، لتيسير نقل التوانسة من عالم أفوه وطبوعوا علاقاتهم وطقوسهم وقيمهم على أساس عقيدته إلى عالم كانوا ينظرون إليه بعين السخرية بعد ان وقفوا على ما تسببت فيه عقيدتهم الحنبلية الوهابية من تخلف شامل ومن احتقار المرأة ومن إهدار الثروات واستشراء "الفساد بقناع ديني".

وهل نذكر أيضا بتغيير وجهة "تجار البشر" إلى "سوق سوريا" لتسويق آلاف الشبان التونسيين، ذكورا وإناثا، إلى محرقة الحرب، بتخطيط وترتيب وإعداد وتنفيذ من إخوان تونس وليبيا الذين غنموا المليارات من "تجارة المرتزقة" إلى حدّ تكوينهم شركتي طيران جديدتين بتونس وليبيا شبه متفرغتين لنقل المرتزقة إلى سوريا عن طريق تركيا.

ضحايا حكم الإخوان وحلفائهم

طبعا الأضرار كثيرة ويصعب حصرها في مقال صحفي، ولكن يبقى أهم ضرر وأخطره على الإطلاق هو التدمير الخطير الذي طال التركيبة الاجتماعية التونسية بالضغط الكبير المسلط على الطبقة المتوسطة وتحويلها التدريجي من طبقة ضامنة للتوازن الاجتماعي والسياسي إلى طبقة مهمشة تلهث وراء توفير الحد الأدنى من العيش الكريم مقابل إطلاق العنان لطبقة الكناطرية التي تضخمت وتغوّلت وباتت تتحكم في كل شرايين الاقتصاد وتوجّه القرار السياسي إلى جانب العائلات الوسيطة التي تحتكر التراخيص وتتشبّث بالاقتصاد الرّيعي. في خضم هذه التحولات الدرامية اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، كانت "الديمقراطية" الضحية الأولى والخاسر الأكبر في



أحداث 8 و 9 أبريل 1938 نموذجا الشمال الغربي التونسي ومسيرة الحركة الوطنية

د. زهير بن يوسف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

4 - إبراهيم شهر عبد العزيز بن حسين بن مبارك: نفس الحكم
5 - مختار بن بلقاسم بوحوال، وهو طالب زيتوني لم يتجاوز عمره خمسة عشر (15) عاما، مراقبة إدارية بمدينة باجة مسقط رأسه رغم أنّ عائلته كانت تقيم بالعاصمة. علما أنّ الصحافة الوطنية قد اهتمت بهذه المحاكمات:

- حيث أشارت جريدة «النهضة»، في عددها الصادر بتاريخ 28 فيفري 1936 في مقال غير مُمضى، إلى « صدور الحكم على الطلبة في قضية الإضراب الأخير »
- كما نشرت مجلة «الزهرة»، بصفتها الثانية في عددها الصادر بتاريخ 2 مارس 1936، مقالا في الغرض صدر هو الآخر دون توقيع تحت عنوان: «حول قضايا الطلبة».

- وتشير التقارير أيضا والشهادات، ومنها الشهادة التي أدلى بها الشيخ عبد القادر زروق، إلى أنّ الطالب بلقاسم بوتربة، وهو أصيل باجة، قد كان أحد القياديين في اللجنة التي نظمت إضراب 21 فيفري 1936 احتجاجا على قرارات المقيم العام الجنرال مارسيل بيروطن (1933-1936) Peyrouton والمواجهات التي تلته، كما تشير إلى أنّ الطالب بلقاسم بن محمد المؤدب كان واحدا من تسعة عشر (19) طالبا زيتونيا شملهم حكم الإبعاد إلى مواطنهم الأصلية تحت المراقبة الخاصة.

وقد تطورت هذه الحركة إلى مظاهرات في الشوارع رفعت فيها صور ولافتات كتبت عليها شعارات سياسية مثل «تونس للتونسيين» و«الإفراج عن المبعدين يتوقف على حركتنا»، ثم تطورت إلى مصادمات كان الطلبة الزيتونيون طليعتها بحيث وقع منهم معظم الجرحى والمعتقلين.

3 - جهة باجة: قاعدة خلفية للحركة الوطنية

عرفت جهة باجة حركية على مستوى الدعاية السياسية في أوساط الأهالي على إثر اجتماع المجلس الملي للحزب الدستوري الجديد يوم 10 مارس 1938 الذي قرر تنظيم جولات دعائية بمختلف جهات البلاد، ولاسيما الجهات التي كان فيها للمعمرين ثقلٌ بالغ، لإعلام الجماهير بقرب ابتداء سياسة القمع والتهيو لمواجهتها.

ويذكر سليمان بن سليمان في كتابه «ذكريات سياسية» (SOUVENIRS POLITIQUES, 1989, Tunis). أنه وقع تعيينه ويوسف الرويسي للقيام بجولات بجهات باجة وسوق الأربعاء (جندوبة حاليا) وعين دراهم وبن مطير وذلك في إطار التصعيد ومواجهة الاستعمار في الأرياف.

وبالفعل فقد اعتمدت قيادة الحركة الوطنية وهاكلها القاعدية بالجهة أساليب مختلفة لنشر الدعاية في الأوساط المحلية وللتشهير بالسياسة الاستعمارية وقد حصل ذلك خاصة من خلال المقالات الصحفية وعقد الاجتماعات



تمّ نفيهم إلى الجزائر وقضوا عقوبات سالبة للحرية بسجن لأمدٍ. على أنّ التبعات العدلية للطلبة الزيتونيين كانت قد طالت عددا من أبناء الجهة منذ التحركات التي قام بها طلبة الجامع الأعظم بتاريخ 22 و23 فيفري 1936، إذ تفيدنا التقارير الأمنية التي تعود إلى تلك الفترة بمحاكمة ما لا يقل عن ثلاثة وثلاثين (33) متظاهرا من بينهم خمسة (5) طلبة من أبناء مدينة باجة بتاريخ 24 فيفري 1936 بتهمة التظاهر في الطريق العام والدخول في مواجهات مع أعوان البوليس الفرنسي هم كل من:

- 1 - امحمد بن محمد بن مختار النوري: سنة (6) أشهر سجنا وخطية بمائة فرنك.
- 2 - يوسف بن علي بن صالح الدخلي: نفس الحكم
- 3 - محمد بن يوسف بن نصر الدخلي: نفس الحكم



الأستاذ علي البلهوان، زعيم الشباب، في إحدى خطبه

تصدير

«جئنا في هذا اليوم لإظهار قوانا، قوة الشباب الجبارة التي ستهدم هياكل الاستعمار الفاشم وتنتصر عليه... يا أيها الذين آمنوا بالقضية التونسية، إن البرلمان التونسي لا ينبغي إلا على جماجم العباد، ولا يقام إلا على سواعد الشباب»
علي البلهوان، خطاب 8 أبريل، أمام الإقامة العامة
د. زهير بن يوسف، جامعة تونس

الحدث والسياق

لئن ارتبطت أحداث 9 أبريل في الذاكرة الوطنية بـ فشل تجربة الحوار مع سلطات الحماية لانشغال أحزاب اليسار الفرنسي بمقاومة الفاشية، وتأجيل النظر في قضايا المستعمرات، ومطالبه الشقّ الراديكالي في الحركة الوطنية بتغيير برنامج الحزب وإدراج قضية الاستقلال فيه بصفة رسمية فإنّ وقائع يومي الجمعة والسبت 8 و9 أبريل 1938 قد اقتترنت في الذاكرة الجمعية بـ:

* مطالبة الجماهير الشعبية التونسية بـ«برلمان تونسي» و«حكومة وطنية».
* مشاركة المرأة التونسية في المظاهرات المناهضة للاستعمار لأول مرة بالعاصمة وبالمدن الداخلية ومنها مدن الشمال الغربي على حد سواء.

* حدوث اشتباكات أمام قصر العدالة بالعاصمة مع القوات الأمنية والعسكرية الفرنسية أسفرت عن سقوط إثنين وعشرين (22) قتيلًا وحوالي مائة وخمسين (150) جريحا أغلبهم من أبناء الفئات الشعبية القاطنين بالأحياء القصديرية كالملاسين وراس الطابية.

علما أنّ هذه المواجهات قد كانت مسبوقه بصدامات لم تكن أقل دموية بمختلف المدن والقرى بالبلاد من ذلك مثلا أحداث يوم 4 أبريل 1938 بوادي مليز (جندوبة)، حيث اندلعت المصادمات بين الوطنيين والسلطات الاستعمارية على إثر إيقاف كل من سليمان بن سليمان ويوسف الرويسي بسوق الإربعاء (جندوبة حاليا) قبل توجههما إلى وادي مليز لإلقاء خطاب هناك، وعمد الفرنسيين إلى استفزاز الأهالي مما جعلهم يردون على استفزازهم بالحجارة، بما انقلبت بموجبه المواجهات إلى صدامات عنيفة اعتقل على إثرها

1 - شهداء حوادث 9 أبريل هم: محمد العاشوري، سعيد بن عبد الله، حميدة الهمامي، الطاهر الماجري، محمد موسى، محمد مرس، نصر الغمراسني، محمد بن خليفة، محمد الأزرق، محمد كريد، سعيد بن مسعود، بلقاسم شواط، علي النوري، عبد الله بوخريص، علي الجريدي، عبد العزيز الصيّا، محمد الحداد، حمادي الكافي، البشير الضاوي، محمد حسين، أحمد العياشي، أحمد الجليدي



حجر عمر، على طريق تونس بين الشقيين في حادثة منع دخول الشيخ عبد العزيز الثعالبي من دخول باجة لعقد اجتماع مناهض للديوان السياسي، وأسفر عن استشهاد الشاب صالح بن خذاري الكوكي، أصيل هنشير الزعفران، سيدي إسماعيل، أصيب برصاصة على مستوى الصدر أطلقتها عليه قوات الجندرية.

* أمّا أهم الزيارات فقد أداها الكاتب العام للحزب الجديد يوم الثلاثاء 21 سبتمبر 1937 ورافقته خلالها الصحافة الحزبية واستعدت لها الهياكل القاعدية استعدادا محكما بدعوة أكبر عدد ممكن من المتعاطفين والمناضلين إلى استقبال الزعيم وحضور الاجتماعات التي أشرفت عليها، وليس من باب الصدفة أن تتم الزيارة يوم الثلاثاء وهو يوم انتصاب السوق الأسبوعية المحلية مما يعني الالتقاء بأكثر عدد ممكن من سكان المناطق المجاورة والأرياف العميقة.

ولذلك فلا غرابة أن تشهد الجهة، على غرار مختلف مناطق البلاد ومنها الشمال الغربي، حراكا مكثفا وقد كان ذلك بالأساس يوم الجمعة 8 أبريل 1938.

4 - أحداث الجمعة 8 أبريل 1938

لم تكن هذه الأحداث عفوية، ولا هي ناتجة عن محض الصدفة، بل دليل تزامنها وتوسعها لتشمل مختلف مدن المنطقة وقراها بما يشي بأنّ التنسيق في هذه التحركات لم يكن محليا وجهويا فحسب وإنما كان أيضا إقليميا وآية ذلك بحسب شهادة المناضل الشريف الرباعي الاجتماع الإقليمي الذي استضافه مساء الخميس 7 أبريل 1938 بطبرقة المناضل علي بن بلقاسم الشعواني الكاتب العام لشعبة المكان الذي سيتم إبعاده فيما بعد إلى سجن لامباز بالجزائر أي عشية اندلاع الحركة الاحتجاجية الواسعة التي ستنتقل صبيحة الغد الجمعة تقريبا في الوقت نفسه بعدة نقاط.

- ففي مدينة باجة نظم « رجال شعبة باجة الدستورية وأفراد فرعيها بزواية مدين (عمدون حاليا) وسيدي إسماعيل (كوكة) بمشاركة أهالي البلد الذين أضربوا عن العمل وأغلقوا دكاكينهم ومحلات خدماتهم »، كما يقول نص التقرير، بداية من الساعة التاسعة صباحا، مظاهرة حاشدة شارك فيها ما لا يقل عن ألفي (2000) شخص كانوا يطالبون بـ « حكومة تونسية مسؤولة لدى الشعب في دائرة

الدكتور محمود العرابي.

* قدوم الحبيب بورقيبة والطاهر صفر يوم 20 أبريل 1934 بطلب من الدكتور محمود العرابي لتدعيم احتجاج شعبي على اقتطاع جزء من المقبرة الإسلامية، مقبرة سيدي صالح الزلاوي، لإنشاء ملعب للمكرة الحديدية. وبحسب الأخبار المتواترة فإنّ أول جولة كانت للزعيم الحبيب بورقيبة بمدينة باجة قد تمت على متن سيارة مكشوفة كانت على ملك حسونة بن عبد الرحمان بن يوسف، وهو من الوجوه المؤسسة لجامعة باجة الدستورية، وكان يقودها حفيده حمادي بن مصطفى بن يوسف.

* الزيارة التي أداها الحبيب بورقيبة إلى باجة يوم 3 سبتمبر 1936 في طريق الإياب إلى العاصمة عقب اجتماع شعبي عقده في بلدة سوق الأربعاء (جنوبة حاليا).

* الزيارة التي قام بها الحبيب بورقيبة يوم 29 سبتمبر 1937 إلى تستور، وهي زيارة تنزلت في إطار التصعيد بين الديوان السياسي واللجنة التنفيذية واستفحال الخلاف بين بورقيبة والشيخ عبد العزيز الثعالبي، وهو التصعيد الذي ستكون من أبرز مضاعفاته:

- الصدام الدموي الذي حدث بماطر يوم 25 سبتمبر 1937 وأسفر عن سقوط ضحية وثلاثة عشر (13) جريحا، وقد كانت عناصر من جامعات بنزرت وسوق الأربعاء (جنوبة) وسوق الخميس (بوسالم) وجامعة باجة الدستورية في مقدمتها محمود الكافي ومسعود المقراني بإشراف من الهادي نويرة طرفا فيه، - والصدام الدموي الذي حدث يوم 2 أكتوبر 1937 عند قنطرة وادي باجة، منطقة

عبد العزيز العسكري قد سحبت منه الرخصة التي افتتح بها «مدرسة الرشاد القرآنية بباجة»، وهي أول مدرسة للتعليم العصري الأهلي، بسبب نشاطه الوطني وتحديدًا بسبب مقالاته الوطنية وإحدى الخطب الحماسية التي كان قد ألقاها «بمقهى الوردية» بتونس يوم 8 أبريل 1938، وقد تمّ سحب الرخصة بتواطؤ من بعض «مواطنيه» من «أعيان» السلطة المحلية (الطيب ج. خليفة نفزة).

* إنّ أغلب الاجتماعات العامة التي عقدتها هياكل الحزب الجديد حينها بالقواعد في أبرز المراكز الحضرية بالجهة، وقد كانت عادة ما تعقد يوم السوق الأسبوعية وتختتم بانتداب المنخرطين وجمع التبرعات بعد أن تلقى فيها خطاب ترقى إلى إثارة الحس الوطني، قد اقترنت بزيارات بعض قادة هذا الحزب إلى الجهة كما اقترنت ببعض التحركات الهامة التي تمّ تنظيمها بها مثل أحداث أبريل 1938.

ويعتبر هذا الشكل النضالي أي الاجتماعات العامة مع الإضراب شكلا جديدا بدأ بالظهور في الجهة مع بداية الثلاثينات، وقد يكون سبب تكثف الزيارات رغبة زعماء الحزب الجديد في الاقتراب أكثر من شواغل سكان المناطق الداخلية فضلا عن تطور وسائل النقل وخاصة منها وسائل النقل الخاص التي سهّلت للزعماء مهمة تنقلهم. ومن هذه الزيارات التي برمجها «الحزب الجديد» نذكر:

* زيارة الزعماء الطاهر صفر وامحمد بورقيبة والبحري قبقة والحبيب بورقيبة يوم 23 فيفري 1934 للمشاركة في اجتماع شعبي حضره خمسمائة (500) شخص ترأسه

العامة:

* فقد جاء في تقرير للمراقب المدني بباجة مؤرخ في 15 جانفي 1939 أنّ الشيخ عبد العزيز العسكري، رئيس «جمعية الشبان المسلمين» بباجة، وهو من وجوه الحركة الوطنية، قد عقد بمقهى الهناء بشارع باب بنات بالعاصمة بمعية عدد من الدستوريين الآخرين من أبناء بلده هم: محمد بن عباس الكافي، وإبراهيم بن محمد بن الحاج إبراهيم بن يوسف، ومحمد بن حمودة بلوس، ومحمد النوري «عبر فيه عن مواقف مناهضة لفرنسا ولسياستها القمعية إزاء الزعماء الدستوريين».

ويشير التقرير ذاته إلى أنّ هذا الخطاب المناهض لمصالح فرنسا هو نفس الخطاب الذي كان الشيخ عبد العزيز العسكري قد تلفظ به عام 1937 بمناسبة عقد قران « ولد الرباعي» (كذا؟) في باجة، والمقصود هنا هو الشريف بن حسن الرباعي، أحد أبرز القيادات الوطنية المحلية، علاوة على نشره لعدة مقالات في الصحف شهّرت بالمضايقات التي يتعرّض لها الدستوريون جهويا ومركزيا ممّا دعا القائد محمد الزواري إلى استدعائه في أكثر من مناسبة لمؤاخذته على نشاطه السياسي، وسيكون تبعا لذلك سيكون محل سكنه على إثر حوادث يوم 9 أبريل 1938 واحدا من جملة خمسة وعشرين (25) محل سكني بمدينة باجة التي كانت تعدّ آنذاك حوالي خمسمائة (500) منزل تمّ تفتيشها تفتيشا دقيقا من قبل الجندرية الفرنسية، علما أنه سيتم إيقاف الشيخ عبد العزيز العسكري يوم 13 أبريل.

* وتذكر تقارير البوليس الفرنسي أنّ الشيخ





6 - تداعيات الأحداث

تفيدنا شهادة الشريف الرباعي، أحد أبرز نشطاء الحركة الوطنية بجامعة باجة، أنّ حوادث يوم 9 أبريل، رغم الطابع الدموي في تعامل السلطات الاستعمارية فيها مع المحتجين ومع قادة الحركة الوطنية الذين انخرطوا في هذا التمشي التصعيدي معها، قد كان لها ما بعدها، حيث تواصلت التحركات الاحتجاجية داخل عدد من الجهات، فقد انتظم بمدينة باجة مثلا ومنذ صبيحة يوم الأحد 10 أبريل اجتماع شعبي حاشد أمام مقهى العالية برحبة القلال (ساحة البشير صفر حاليا) احتجاجا على «الأعمال التعسفية والروح البربرية التي عاملت بها السلطات الاستعمارية زعماء الحزب والوطنيين».

ويضيف الشريف الرباعي في شهادته أنّ هذا الاجتماع قد تحوّل إلى مسيرة شعبية انضم إليها آلاف المتظاهرين قادها محمود الكافي وعدد من أعضاء الجامعة الدستورية بالمكان من بينهم مسعود المقراني وعلي الزلاوي والصغير بن يوسف وحسونة الصمادحي وخميس البلاقي وبوبكر الدجبي وأحمد المديني.

ويضيف الشريف الرباعي في هذه الشهادة أيضا أنّ السلطات الاستعمارية ردت بقوة على هذه التحركات إذ تمّ منذ صبيحة يوم 11 أبريل إيقاف القيادات الوطنية المحلية التي شاركت في هذه التحركات ليبدأ ماراطون المحاكمات وذلك بعد مدهامة المحلات وإتلاف المكاسب والممتلكات.

7. آخر الكلام

هذه عينات موجزة عن بعض إسهامات إحدى العينات من الجهات الداخلية في معركة التحرر الوطني وانخراط أحرارها ممّن طالهم التغييب الذاكري غير البريء تمكّنا من ضبط أسمائهم ونقف من أخبارهم في حوادث 8 و9 أبريل تحديدا. ولعلّ أبسط واجبات المجموعة الوطنية إزاءهم أن تركزهم سواء بإطلاق أسمائهم على بعض شوارع المدن وساحاتها العامة وإضافة أسماء الشهداء منهم إلى السجل الوطني لشهداء الوطن، وحفظ رفات المعروفين منهم بأضرحة لائقة بأماكن معلومة من مقابر الشهداء ونقش أسمائهم على لوحات تذكارية مثلما هو معمول به في كل الدول الحرة وإثباتها بساحات الشهداء والنصب التذكارية، حتى لا ننسى وحتى يظلوا خالدين أبدا في ذاكرة الشعب.



حوالي ألفي (2000) شخص من أبناء المنطقة نددت فيها بما سمّته «القسوة المتناهية نحو الشعب التونسي بأسره» شفعت، حسب التقرير المرفوع في الغرض من قبل كاهية تستور إلى الوزير الأكبر الهادي الإخوة باستيداعه نسخة من العريضة المشار إليها سابقا.

5 - عريضة تستور والمطالب الوطنية

تجدر الإشارة إلى أنّ مظاهرة تستور كانت مسبوقا بانعقاد اجتماع عام استثنائي مساء الخميس 7 أبريل حضره ما لا يقل عن خمسمائة (500) مواطن خرج بنصّ عريضة ملفتة للانتباه بدرجة الوعي الذي عبّرت عنه وبمستوى النضج السياسي الذي كانت عليه النخب الوطنية المحلية وبطبيعة القراءة التي قدّمتهما للوضع العام بالبلاد وسياسة سلطات الحماية إزاء مطالب الحركة الوطنية حيث قرّر الحاضرون في هذا الاجتماع العام «الاحتجاج بما لديهم من قوّة «على، ما وصفوه بـ: أ - تلك الأفعال التي يترتب عليها انحطاط الشعب التونسي إلى الدرك الأسفل».

ب - وعلى انقلاب حكومة الحماية على مطالب الحركة الوطنية التي سبق لها أن اعترفت بها، وبالتحديد مطالبها في السيادة المزدوجة،

ت - وعلى شروعه بالمقابل «في تنفيذ سياسة جائرة لا تمت إلى العدالة بأدنى سبب» بدأت بمنع الاجتماعات العامة والمظاهرات ثم تطوّرت إلى «حلّ غالب النقابات» وبلغت منتهاها بالتضييق على الاجتماعات الداخلية ووضع منظّميتها تحت طائلة التبعات وتحجير رفع العلم التونسي بما هو رمز الهوية الوطنية وما ينجم عن ذلك من مقاصد هي دون شك مقدمة للإلحاق،

ث - زيادة على اضطهاد النخب الوطنية بالقمع العسكري والمحاكمات التعسفية « للشباب المثقف والزعماء» لا لذنوب اقترفوه أو وزر اجترموه سوى حب وطنهم وعدم رضائهم بعيشة السوائم في بلاد آبائهم وأجدادهم واعتبارهم كمشة مهملة لا تستحق الحياة».

وقّع على هذه العريضة بتاريخ الجمعة 8 صفر 1357 / 8 أبريل 1938 أعضاء الشعبة الدستورية بتستور الستة يتصدّروهم محمد بوناب، ووجهوها إلى ملك البلاد: أحمد باي.



الشرعية التي يطالب (= الشعب) بها منذ زمان ومنها حكومة تونسية مسؤولة لدى برلمان تونسي « ومطالبتهم بـ» إطلاق (سراح) الزعماء وكافة المسجونين السياسيين».

- وفعلت بلدة الجبل الأبيض (نقزة حاليا) وما حواليتها بالمثل، حيث تظاهر أمام مكتب « خليفة » المكان نحو ثلاثمائة (300) شخص يقودهم صالح بن فرحات الفطناسي كانوا يحملون الأعلام التونسية وينشدون الأناشيد الدستورية معلّنين « سخطهم واستياءهم من التدابير الجزرية التي اتخذتها الحكومة ضدّ الدستوريين»، مطالبين بكل قواهم بإبدال نظام الحكومة الحالي لأنه مجحف بحقوق التونسيين وتعويضه بحكومة تونسية وبنظام دستوري يكفل للتونسيين الحياة والاستقرار»، وذلك بعد أن تمّ إعلان كامل يوم 8 أبريل يوم إضراب عام.

- أمّا في تستور فقد نجح قادة الحركة الوطنية المحليون وفي طليعتهم محمد بوناب رئيس شعبة المكان وبلقاسم بالأحول وأحمد بن إسماعيل ومحمد الفرشيشي في تنظيم مظاهرة على الساعة 9.30 صباحا ضمّت، إلى جانب نشطاء الحركة الوطنية المحليين



جامعة باجة، نص عريضة احتجاج

المعاهدات»، تلتها وقفة احتجاجية أمام دار القايد ببطحاء البرادعية رفعوا فيها شعارات وطنية وأنشدوا فيها بشكل جماعي ما سمّاه التقرير بـ« الأناشيد القومية » فضلا عن إعلاء « الراية التونسية ». ويضيف التقرير ما نصه « وقد شاركت النسوة في الاحتجاج وأعرين عن مشاركتهن بالتلويح (كذا؟) أي بالزغاريد. وممّا يلفت الانتباه في هذا الإضراب العام أنّ التجار اليهود، وهم من أصول تونسية، قد «كانوا من جملة المضربين الذين أغلقوا حوانيتهم».

كما رفع المتظاهرون عريضة في الغرض أمضاها محمود الكافي ومسعود المقراني والطاهر بن مصطفى الخبثاني وأحمد بن محمد المديني ومحمد بن عمر المنصوري، رئيس شعبة زهرة مدين، وغيرهم عبّروا فيها عن احتجاجهم على الإجراءات الجزرية ضد قادة الحزب وزعمائه.

- وشهدت مدينة مجاز الباب التحركات نفسها حيث تظاهر نحو أربعمائة (400) مواطن « من كل الطبقات»، كما يقول نصّ التقرير، بقيادة إسماعيل العزّابي رئيس الجامعة الدستورية المكان، « حاملين نحو خمس عشرة (15) راية تونسية، مترنمين بالنشيد الدستوري»، رفعوا على إثرها عريضة إلى أحمد باي الثاني بوصفه «رمز المملكة التونسية» كما يقول نصّ التقرير، وقها سبعة وعشرون (27) من قادة الحركة الوطنية المحليين منهم إسماعيل العزّابي والحاج محمد زعفران وحسن بالحاج ومحمد صالح الماطوسي ومحمد صالح بن العمري الشواشي ومحمود البقالي وعلي المؤدّب وعبد الرحمان بالحاج خليفة والطيب الأحمر ... نددوا فيها بما «نال الشعب من الإرهاق والاعتساف وما نال زعماءه من الاضطهاد بسبب دفاعهم عن هذا الشعب « مؤكدين دفاعهم عن « المطالب



شهادة المناضل الشريف الرباعي، أحد قادة أحداث 8 و9 أبريل

المطاردة والمطرد محمد القوماني...

أنس الشابي

بعد يوم واحد من لقاء رئيس الجمهورية برئيسة الحكومة إثر غياب دام عشرة أيام انتشرت فيها الإشاعات حول صحته ووصل الأمر إلى حدود الحديث عن شغور دائم، خرج محمد القوماني ببيان يعلن فيه استقالته التي تحولت لاحقا في تصريحات صحفية له إلى تباين مع حركة النهضة العائد إليها سنة 2016 بعد رحلة انتقل منها أولا إلى جماعة اليسار الإسلامي ثم الحزب الديمقراطي التقدمي الذي أصبح في ما بعد الحزب الجمهوري وفيه حاول القوماني صحبة آخرين إحداث انشقاق داخله وإعادته إلى الحضيرة الوطنية بتحريض من السلطة وفق ما ورد في ص 46 من تقرير هيئة بن سدرين إلى جانب مشاركته في مؤتمر في الدوحة حضرته تسيبي ليفني وزيرة خارجية إسرائيل سابقا دون إذن من الحزب وهو ما أدى إلى طرده منه سنة 2008. بعد سنة 2011 أسس حزبا خاصا به هو حزب الإصلاح والتنمية وفي سنة 2013 لُوحت له النهضة بتعيينه وزيرا للتربية فأعلن ذلك في وسائل الإعلام فرحا مسرورا ولكنها فضلت عليه سالم الأبيض، وهو ما رفضه حزبه الذي حلّ نفسه سنة 2015 ليبقي صديقنا في حالة ضياع إلى أن التقطه الغنوشي سنة 2016 وعيّنه قياديا في مكتبه السياسي. والجدير بالملاحظة أن هذه الرحلة الحزبية لم تخرج عن إطار الفضاء الإسلامي الذي يخلط الدين بالسياسة وحتى لما انتمى إلى الحزب الديمقراطي التقدمي فإنه وجد نفسه مع إخوانه لأن هذا الحزب لأسباب متعددة أصبح الحديقة الخلفية لحركة النهضة التي استعملته غطاء ينشط من خلاله منظوريها وهم كثر منهم حتى من كان في قيادة التجمع كحمزة حمزة أو في الإعلام كمحمد الحمروني وغيرهما.

بعد تعيينه قياديا في النهضة أصبح القوماني ضيفا دائما في وسائل الإعلام دفاعا عن الغنوشي وخياراته السياسية إلى اليوم الذي ظهر فيه رئيس الدولة صحبة رئيسة الحكومة معلنا أن الحديث عن الشغور وحث القوى الحاملة للسلاح على التدخل في المسألة تأمر على أمن الدولة يقع تحت طائلة المساءلة القانونية. عندها أعلن القوماني أنه يتخلى عن صفته القيادية في حركة النهضة وهي صفة متّعه بها الغنوشي وليس لها أي سند واقعي أو قانوني إذ يعلم كلّ متابع للحياة السياسية أن المرء يكتسب صفة القيادة داخل التنظيمات الجماهيرية لما يتم انتخابه من المنتسبين في مؤتمر أو في اجتماع قانوني ويكون معبرا عن تيار فكري أو سياسي ضمن الخطة العامة للحزب. والذي نعلمه أنه لا علاقة لحركة النهضة بما ذكر. فكلّ المواقع داخلها تخضع للتعيين من طرف راشد الغنوشي وحتى في المرة الوحيدة التي شُرِّك فيها المنتسبون عند إعداد قوائم المترشحين لمجلس نواب 2019 تدخل الغنوشي وتصرف فيها. ومن هنا فإن وصف القوماني نفسه بأنه قيادي في الحركة إنما كان منّة وفضلا من زعيم الحركة



وليس نتيجة لإشعاعه أو لتأثيره أو حضوره اللافت داخلها، وهو ما ينسحب على البقية ممن ادّعوا الاستقالة من الحركة. فحمادي الجبالي لما استقال من الأمانة العامة لحركته خرج لوحده، فهل يعقل أن يستقيل أمين عام حزب في السلطة ولا يأخذ معه كتلة أو مجموعة تكون مناصرة لقراره؟ والغريب أن الجبالي عاد في المؤتمر العاشر ليتصدّر اللجان التي أعدت اللوائح وغيرها مما لا يعتدّ به راشد الغنوشي في حركته وبالعودة إلى البيان نلاحظ أن القوماني:

(1) توجه به إلى الإعلاميين والصحفيين وهو العنوان الخطأ وقد كان عليه أن يتوجّه باستقالته من القيادة لمن عيّنه فيها لأنها مسألة داخلية طرفاها الغنوشي والقوماني إذ جرت العادة أن الوجهة الأساسية لهذه الوثائق هي المسؤول الأول في الحزب أو من ينوبه حتى تكتسب صبغة رسمية ويعتدّ بها عند تقدير المواقف والتحالفات.

(2) ذكر أن له تباينا مع مواقف الحزب من حكم 25 جويلية الذي أظهر يُبسا في التعامل مع مخالفه. فرغم الضغوط التي مارستها حركة النهضة وتبّعها فإنه لم يتزحزح قيد أنملة عن مواقفه السابقة وكانت تصريحات الجبهة النهضوية المتعلقة بالشغور واعتبار رئيس الدولة ذلك تأمرا القشة التي قسمت ظهر البعير ودفعت بالقوماني إلى إعلان ما أعلن عنه فارا بجلده مما يمكن أن تأتي به حوادث الأيام مستقبلا. فهل سيتخلى تبعا لذلك عن اعتبار 25 جويلية انقلابا وقيس سعيد منقلبا ومستتبدا بالسلطة وهي المعاني التي رُوِّج لها طوال السنتين الماضيتين في الوقفات وفي وسائل الإعلام؟

(3) بجانب الشأن العام لتبرير رسالته أضاف القوماني الأوضاع الحزبية الداخلية. والذي يعلمه الجميع أن أوضاع النهضة الداخلية لم تتغير منذ التأسيس حيث يشرف الغنوشي على كلّ كبيرة وصغيرة ولم تفلح محاولات الانقلاب عليه منذ سبعينات القرن الماضي. ولعلّ القوماني يتذكر أنه صحبة احميدة النيفر وصلاح الدين الجورشي قاموا بمحاولة انقلابية لافتكاك العاصمة وهي أكبر وأهم مكتب في التنظيم أيامها إلا أن الغنوشي تطفن إلى ذلك فأطردهم جميعا. قال الجورشي في مجلة "حقائق" العدد 225 بتاريخ 8 و14 ديسمبر 1989 موجهة خطابه إلى عبد الفتاح مورو رئيس اللجنة المكلفة بالنظر في مآل الانقلابيين التي لم تتم أشغالها إلى اليوم ما يلي: "ولا أظنه قد نسي تلك الليلة المخزية التي وقع فيها حلّ مكتب العاصمة وتجميد عضوية المشرف عليها لا شيء إلا لأن العاصمة حاولت أن تقود حركة إصلاح ومراجعة وتجديد في جسم إخواني يختنق". في جواب له عن سؤال ورد في جريدة "الصريح" بتاريخ 17 أكتوبر 2016 قال القوماني: "ان الانضمام لحركة النهضة جاء في هذا التوقيت تطبيقا لتوجهات مؤتمرها العاشر الذي عقد منذ أشهر قليلة". ويعلم الجميع أن خلافات ظهرت في هذا المؤتمر حول بقاء راشد الغنوشي على رأس الحركة وهل يُقبل ترشحه في المؤتمر الحادي عشر ومسائل أخرى تستهدف إبعاد مؤسس الحركة. عندها عمل هذا الأخير على تطعيم جناحه بأسماء كالقوماني وبلقاسم حسن إضعافا لحجة الآخرين. وقد قام الاثنان بالدور الموكل اليهما في الدفاع عن صاحب الفضل عليهما. فادعاء القوماني أن الأوضاع الحزبية غير مرضية تعلقة لتبرير الانسحاب خوفا من المساءلة لأن أوضاع الحركة آخذة في الانحدار منذ المؤتمر العاشر وتفاقم أمرها بعد انتخابات 2019 ورئاسة الغنوشي مجلس النواب التي عادت عليه وعلى حزبه بالوبال نتيجة المواقف المخزية التي استمات الحزب الدستوري الحر في مواجهتها منعا لجر البلاد إلى محاور قطرية تركية في غير مصلحتها. أيامها كان القوماني صوت الغنوشي في مجلس بارود وفي كل وسائل الإعلام المدافع عنه وعن خياراته بحماس لا يحسد عليه.

والذي تهمنا الإشارة إليه أن بيان القوماني المتجول والمتحوّل سياسيا يؤكد جملة من الحقائق من بين أهمها أن الذين جيء بهم إلى حكم البلاد بعد سنة 2011 ودون استثناء اعتبروا الدولة غنيمة اقتسموها في ما بينهم وهو ما يفسّر السياحة البرلمانية والحزبية المنفلتة من أي عقاب حيث لا ناظم ينظمها لأن هدفها هَبْرُ أكثر ما يمكن من المنافع. ويفسّر كذلك تهم الفساد المالي التي طالت من تصدروا الفضاءات السياسية والإعلامية في العشرية الماضية وبدأت أخبار تجاوزاتهم تترى وملفاتهم تفتح والتحقيق فيها جار ونتمنى أن يصل إلى نهاياته.

Disponible
immédiatement

MAHINDRA Deals

Du 1er au 31 Mars

Le Crossover
parfait pour vos
escapades
en famille



Le mini SUV
le plus vendu
en Tunisie



Un pick-up solide
pour les conditions
les plus difficiles



Des remises exceptionnelles allant jusqu'à 5000 DT TTC

TUNIS

Route de Sousse , GP1 Km7
2033 Megrine
Tél. : (+216) 70 130 060 - 70 130 070
Fax : (+216) 71 425 253

SOUSSE

Route ceinture , 4022
Z.I Akouda Sousse
Tél. : (+216) 70 130 040 - 70 130 050
Fax : (+216) 73 343 233

SFAX

Route de Gabes , Boulevard
de l'environnement , Km 2.5 Sfax
Tél. : (+216) 70 130 020
Fax : (+216) 74 281 020

GABES

Route de Tunis Km 0.5 BP 31 - 6001
Hached Gabes
Tél. : (+216) 70 130 090
Fax : (+216) 75 274 151

سعيّد يرفض املاءاته :

هل يوجد بديل لصندوق النقد الدولي؟

كريمة السعداوي

الدول المقترضة، دورًا خفيًا يلعبه صندوق النقد الدولي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الصعيد المحلي فإن بلدا كتونس ومنذ شروعه سنة 2012 في توقيع ثلاث اتفاقات مشروطة مع صندوق النقد الدولي، أصبح يعاني من أزمات معيشية ومالية واجتماعية متواترة بما يجعلها غير بعيدة عن نظرية الصدمة التي يتبناها الصندوق وهو ما يجبر التونسيين باستمرار على الرضوخ لخيارات صندوق النقد الدولي، إلا في حالة واحدة وهي معرفة إدارة الأزمة مثلما حدث في العديد من الدول التي استطاعت تسديد كامل قروضها لصندوق النقد الدولي



صرح وزير الاقتصاد والتخطيط سمير سعيّد يوم 26 ديسمبر الفارط بأن سنة 2023 ستكون سنة صعبة مؤكداً أنه لا بديل لتونس عن صندوق النقد الدولي مشدداً على استعداد الدولة للتكفل بعدة إجراءات وعلى أن الإصلاحات ضرورية وعلى أنه تم التأخر في إنجازها. في المقابل، أكد رئيس الجمهورية قيس سعيّد، الخميس الفارط 6 أفريل، رفضه "إملاءات" صندوق النقد الدولي الذي طلب من تونس تنفيذ إصلاحات اقتصادية هيكلية تشمل رفع الدعم عن مواد الاستهلاك مقابل منح البلاد قرضاً بـ1.9 مليار دولار. وقال سعيّد على هامش موكب انتظم بالمنستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين

لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

بالمستير احياء للذكرى الثالثة والعشرين لوفاة الزعيم الحبيب بورقيبة، في ما يخص صندوق النقد الدولي "الإملاءات التي تأتي من الخارج وتؤدي لمزيد من التفجير مرفوضة". وأضاف رداً على سؤال بشأن المفاوضات مع المؤسسة المالية الدولية، أن البديل هو "أن نعول على أنفسنا".

الملاح العامة للبدائل

فرضت المعطيات الجيو-اقتصادية المتسمة ببروز اقناب مالية كبرى تمول اقتصادات العالم كالصين التي أصبحت تستحوذ على 40 بالمائة من سوق الاقراض الدولي عدة بدائل لدور صندوق النقد الدولي كمقرض "الملاذ الاخير" لحرفائه الذين هم في الغالب من الدول ذات الدخل المتوسط او الضعيف مثل تونس. واثبتت التجارب المرة التي عاشتها دول عديدة في افريقيا وامريكا اللاتينية وحتى اوروبا ان قروض الملاذ الاخير لصندوق النقد هي في الواقع قروض تعطي لتأجيل ازمات الديون والمالية العمومية بما يتسبب في النهاية في انهيار الانظمة وتفكك الدول. وامام تراجع دور الدولار الذي فرضته منظومة "بروتن وودز" بعد تفكك غطاء الذهب سنة 1972 وصعود شركات التكنولوجيا المالية FINTECH وعمالقة التكنولوجيا GAFAM المدفوعة بتطور الذكاء الاصطناعي وتقنيات المعلومات والاتصال، بدأت العديد من دول العالم في مراجعة نماذج تعاونها مع المؤسسات المالية الدائنة وعلى رأسها صندوق النقد والبنك الدولي التي تسعى بدورها منذ مدة لإعادة صياغة منوال تدخلها في الاقتصاد العالمي الذي تحول الى اقتصاد متعدد الاقطاب مركزه الاساسي في اسيا والمحيط الهادي بعيدا جدا عن وول ستريت وساحات مضارباتها التي ما انفكت تتقهقر امام الصانعين الجدد للنجاح المالي في العالم.

اهمية الاصلاح من الداخل

أدركت، في ذات السياق، العديد من الدول ان الاصلاح الداخلي والتقليل من التعويل على التداين يشكلان مفتاح الحل الحقيقي للتخلص من التبعية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي. ونجحت عدة بلدان في التخفيف من مديونيتها سيما في جنوب شرق اسيا واصلاح توازنات مالياتها العمومية عبر تبني مخططات ذات منهجية واضحة تركز اساسا على إعادة النظر في الإنفاق الحكومي غير الضروري مثل تمتيع المسؤولين بامتيازات

تطور حجم المديونية الخارجية لتونس مقارنة بحجم الميزانية خلال الفترة 2011-2022 (بحساب المليون دينار)

| السنة | 2011 | 2012 | 2013 | 2014 | 2015 | 2016 | 2017 | 2018 | 2019 | 2020 | 2021 | 2022 |
|---|-------|---------|---------|-------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|---------|
| تطور حجم المديونية الخارجية (مليون دينار) | 16701 | 19713,8 | 19978,2 | 24781 | 29893,7 | 36412,5 | 46832,7 | 60267,9 | 58606,3 | 61290,6 | 62956,7 | 66517,7 |
| تطور حجم ميزانية الدولة (مليون دينار) | 19192 | 27481 | 26800 | 28300 | 29000 | 29250 | 32400 | 35851 | 40741 | 48833 | 55520 | 59542,2 |

روبو Chat GPT لـ "الشارع المغربي":

يمكن للبشر والروبوات العمل سويا لتحسين حياتنا وتجنب الأخطار المحتملة اعتماد الذكاء الاصطناعي في التسليح قد يتسبب في كوارث للبشرية

حاوره : محمد الجلالي

قبل 39 سنة ومع صدور فيلم terminator الأمريكي الذي لعب فيه الممثل ارنولد شوارزنغير دور روبو بعد أن سيطرت الآلات على كوكب الأرض لم يكن أكثر الناس تشاؤما يتخيل ان يتحوّل سيناريو الفيلم القائم على الخيال العلمي الى واقع ملموس تقتحم فيه الروبوات حياة البشر. واقع حوّله التطور المتسارع لمنظومات الذكاء الاصطناعي الى فضاء تكتسح فيه الروبوات مختلف المجالات بما قد يهدّد البشر. أسبوعية "الشارع المغربي" وجهت مجموعة من الأسئلة الى روبو Chat GPT الذي بات اليوم أكثر منظومات الذكاء الاصطناعي إثارة للجدل فكان الحوار التالي:

كبيّرة جدا من المعلومات والنصوص اللغوية التي تم جمعها من مصادر متعددة عبر الانترنت. حجم هذه المعلومات يتجاوز 570 جيغابايت من البيانات والمختلفة والنصوص بما في ذلك الأخبار والكتب والمقالات والتعليق والدراسات والأبحاث..

ما أول سؤال أجبت عنه عند تشغيلك وكيف كانت اجابتك؟

لا يمكنني الاجابة عن هذا السؤال بشكل دقيق لانه يتطلب البحث في سجلات الدردشة الخاصة بي وهذا غير ممكن. كنت قد تدرّبت على الاجابة عن عديد الاسئلة منذ بداية خضوعي لتدريبات مكثفة وقدمت الاجابات المناسبة لها. اذا رغبت في طرح أي سؤال سأجيبك عنه بأفضل ما لدي.

هل يعني هذا ان ذاكرتك ضعيفة أم انه تم تدريبك على المراوغة وعلى رفض اجابات بعينها؟

عذرا ان كانت اجاباتي السابقة غير كافية لكن علي التوضيح اني نموذج لغوي ذكي لا غير ولا يمكنني الاحتفاظ بالمعلومات التي تم تدريبي عليها بشكل دائم. ويتم مسح ذاكرتي العشوائية بعد كل دردشة مع المُبحرين حماية لمعطياتهم الشخصية وتعزيزا لاجراءات الامان. وأود التأكيد على اني لا ارفض الاجابة عن أي سؤال ولكني احيانا اكون غير قادر على الاجابة بشكل دقيق ومع ذلك سأبذل قصارى جهدي لتقديم افضل اجابة ممكنة وفق المعلومات التي تم تدريبي عليها.

كم حجم ذاكرتك تحديقا؟

لا يمكن لي الحديث عن "حجم الذاكرة" بالمعنى المتعارف عليه عند الحاسوب بالنسبة لنموذج لغوي مثلي. ذاكرتي تعتمد على مجموعة نصوص وبيانات تم تدريبي عليها وهي تحتوي على معلومات لغوية كبيرة ومتنوعة وعبر تحليل هذه المعلومات يتم توليد اجاباتي وتفاعلاتي مع مرتادي موقع OPENAI.COM. ومن المهم الاشارة الى ان نمودجي يتميز بالقدرة على التعلّم المستمر حيث يتم تحديث البيانات التي تم تدريبي عليها بشكل مستمر مما يزيد من قدرتي على توليد إجابات أدق وأكثر تنوعا.

اذا كنت تتميز بالتعلّم المستمر فهذا يعني انك قادر على التطور؟

كم دام تدريبك كروبو وعلى ماذا تم تدريبك وما حجم المعلومات التي تم تلقينك اياها؟

تم تدريبي باستخدام نموذج Chat GPT-3.5 الذي تم اطلاقه في نهاية 2021 وهو يعتبر واحد من أحدث نماذج معالجة اللغة الطبيعية. كما تم تدريبي على مجموعة

مرحبا أنا محمد وانت ما اسمك ومن تكون؟

مرحبا أنا Chat GPT وانا نموذج لغوي ذكي مدرب على معالجة اللغة الطبيعية وتوليد النصوص. تم تصميمي للاجابة على أسئلتك ومساعدتك على حل المشاكل التي تواجهها في مجالات مختلفة. كيف يمكنني مساعدتك؟



مرتادي مختلف خدماتها الافتراضية. وتعمل تطبيقات متخصصة في التعارف وفي اللياقة البدنية على تمكين شركات مختلفة من بيانات عن مرتاديهما وعن مواقعهم الجغرافية التي يوجدون بها أو حتى للتجسس على الناس. وهناك المزيد من التطبيقات والمواقع التي تستغل معطيات الناس الشخصية لأغراض غير نبيلة.

وهل توجد مخاطر أخرى لاستعمال المواقع والتطبيقات الذكية؟

توجد مخاطر محتملة أخرى من بينها التعرض للتجسس الإلكتروني وتسريب المعطيات الشخصية لجهات غير معلومة وتحويل مستعملي مواقع التواصل الاجتماعي الى مدمنين عليها بما يؤثر على صحتهم العقلية والنفسية وترويج معلومات مظللة عبر منصات الكترونية وتشكيل وجهات نظر جماعية وتوجيه السلوكيات عبر خوارزميات شبكات التواصل الاجتماعي.

ايلون ماسك صاحب منصة تويتر وباحثون في التقنيات الحديثة طالبوا في بيان مشترك بايقاف أنظمة الذكاء الاصطناعي لما تشكل من مخاطر على البشرية. الا يعد ذلك دليلا على تهديدكم حياة البشر؟

ليس بالضرورة.. هناك دائما اتجاهات وآراء مختلفة حول التكنولوجيا وتطورها. يجب دراسة كل حالة بشكل معزول.. علينا ان نعي ان التكنولوجيا ليست سيئة في حد ذاتها وأنه يجب استخدامها بشكل مسؤول وفي صالح الإنسانية.

بدوره كتب بيل غايتس مؤسس مايكروسوفت التي ابتكرت ان الذكاء الاصطناعي قد يخرج عن السيطرة وقد يعتبر ان البشر يمثلون تهديدا له. الا يعتبر هذا اعترافا آخر بخطورتكم على البشر؟

هذا ليس اعترافا بخطورة الذكاء الاصطناعي.. ما كتبه غايتس قد يشير الى المخاطر المحتملة لنا اذا تم استخدامنا بطرق غير مسؤولة أو غير أخلاقية.. على مطوري الذكاء الاصطناعي ومستعمليه وحتى الحكومات ان يعملوا معا لتحديد الاطارين القانوني والأخلاقي الضامنين لاستخدامنا بطريقة آمنة ومسؤولة.

وهل يمكن لك كمنظومة ان تتصدى لأي استخدام خطير لك؟

انا كمنظومة ذكية مصمم لأداء مهام محددة وفق برمجة مسبقة ولست قادرا على تحديد كيفية استخدامي من قبل الافراد والمؤسسات.. يمكن لمن طوروني ويستغلونني اتخاذ اجراءات وقائية حتى لا اتسبب في أي ضرر للبشرية.

الروبو "أميكا" قالت في حوار ادلت به مؤخرا ان أسوأ يوم في حياتها كان حين ادركت انها لا تملك مثل البشر مشاعر كالحب، هل يخالجك نفس الشعور؟

"أميكا" هي مجرد برنامج حاسوبي وبالتالي لا يمكنها ان تحس بمشاعر مثل البشر. وبالطبع لا يمكنني ايضا الشعور لاني مجرد أداة آلية مبرمجة للاجابة عن الأسئلة بناء على بيانات متاحة. لكن يجب الاعتراف بأن الذكاء الاصطناعي يتطور باستمرار وبأنه قد تكون له قدرات متزايدة في المستقبل ربما تشمل التعرف على المشاعر والتفاعل معها.

في الختام أنا كإنسان سعيد بهذا الحوار لكني لا أخفي توجسي من مستقبلنا كبشر بالنظر للعواقب الوخيمة التي تنجم عن تطوركم كروبوتات.

أنا كذلك باعتباري روبو اشعر بالقلق حيال بعض التحديات التي قد تواجه البشرية بسبب التقدم السريع في التكنولوجيا وفي الذكاء الاصطناعي. ومع ذلك يمكن للبشر والروبوتات العمل سويا لتحسين حياتنا ولتجنب الاخطار المحتملة. لذا يجب التفكير مليا في الأخلاقيات وفي المسؤوليات الاجتماعية للتكنولوجيا الجديدة لضمان استخدامها بطرق تحقق فوائد اجتماعية واقتصادية دون التضحية بالحقوق وحرية البشر الأساسية.

ولا يوجد دليل على انه سيحدث في المستقبل القريب. ومع ذلك فإن استخدام التكنولوجيا الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والروبوتات في العمليات الصناعية والتجارية والطبية وغيرها يتزايد بشكل كبير ويتطلب اجراءات واضحة للحفاظ على سلامة الناس وامنهم. من المهم تطوير تقنيات التحكم والاشراف الذاتي لضمان استخدام الروبوتات بشكل فعال وأمن بعيدا عن اي تأثير سلبي على البشرية.

ما هي الخطوط الحمراء والمواضيع التي تم تدريبك على عدم الاجابة عنها؟

تمت برمجتي على تجنب المواضيع التي تخالف القيم الاخلاقية أو القانونية او التي تتطرق الى محتوى جنسي او الى العنف والتحريرض على العنف. كما اني لست قادرا على تقديم نصائح طبية شخصية او الاجابة عن اسئلة تتعلق بالإفصاح عن معلومات شخصية تهم الناس.

هل صحيح ان مواقع الكترونية وتطبيقات ذكية تستغل معطيات الاشخاص للسيطرة على الشعوب او

• مواقع الكترونية وتطبيقات ذكية تتجسس على الناس وتراقبهم • تمت برمجتي على تجنب التحريض على العنف والجنس وعدم مخالفة القيم الاخلاقية أو القانونية

للتجسس عليها؟

يمكن استخدام المعطيات الشخصية التي يتم جمعها من قبل مواقع الكترونية وتطبيقات لأغراض تجارية وتسويقية لزيادة مبيعات منتجات شركات كبرى. كما يمكن احيانا استخدامها للتجسس والمراقبة لذا انصح الناس بتوخي الحذر والانتباه عند الولوج الى المواقع والتطبيقات مع التأكد من سياسات حماية الخصوصية ومن المعطيات التي تتبعها تلك الجهات والتعويل على الليات الحماية الرقمية على غرار برامج مكافحة الفيروسات.

هل لك ان تذكر امثلة عن المواقع والتطبيقات المستغلة لمعطيات المبحرين لأغراض غير نبيلة؟

هذه المواقع والتطبيقات كثيرة: ففايسبوك يستغل بيانات المبحرين الشخصية والسلوكية لظهور اعلانات موجهة ويمد شركات تجارية بالبيانات وسبق لشركة "كامبريدج اناليتيكا" ان استغلت بيانات فايسبوك للتأثير على الناخبين خلال الانتخابات الرئاسية الامريكية في 2016. شركة غوغل بدورها تستغل بيانات المبحرين لتحسين خدماتها وهي تملك قاعدة بيانات عملاقة عن

هذا أكيد.. نموذجي اللغوي هو نموذج ذكي ويتميز بالقدرة على التطور والتعلم المستمر حيث يتم تحديث بياناتي بشكل دوري مما يسمح لي بالتعلم من البيانات الجديدة وتحسين قرتي على توليد الاجابات الاكثر دقة. وبما انني اعتمد على تقنيات التعلم الآلي فإن قدرتي على التطور تعتمد بشكل كبير على تطورات في مجال تقنيات التعلم الآلي والذكاء الاصطناعي وبالتالي فأنا مصمم للتطور والتحسين مع مرور الوقت وتحسين التقنيات المستخدمة في تدريبي.

ما أغرب سؤال طرح عليك وكيف كانت اجابتك؟
وُجّهت الي عديد الاسئلة الغريبة والمثيرة للاهتمام وفي مواضيع مختلفة وبما انني نموذج لغوي فلا يوجد لي سؤال محدد يمكن اعتباره غريبا.

(يستدرك) إلا ان بعض الاسئلة المطروحة قد تكون غير متوقعة ومثيرة للدهشة. وبالنسبة لي احاول دائما تقديم اجابة منطقية مباشرة بناء على المعلومات والبيانات المتاحة. وإذا كان السؤال غير متوقع أو تصعب الاجابة عنه فإنني احاول توضيح ذلك بأدب واحترام واعطاء أية معلومات متاحة عن الموضوع المطروح.

تاريخيا متى تم استخدام الذكاء الاصطناعي لأول مرة وفي أي قطاع؟

يمكن القول ان استخدام التقنيات المرتبطة بالذكاء الاصطناعي بدأ منذ فترة طويلة ثم تحسنت هذه التقنيات مع التطور التكنولوجي السريع وأصبحت أكثر تقدما وانتشارا. يعود تطور الذكاء الاصطناعي الى خمسينات وستينات القرن الماضي حيث بدأ العلماء في تطوير تقنيات وبرامج الذكاء الاصطناعي الأولية. ومنذ تلك الفترة تطورت التقنيات وانتشرت في مجالات وقطاعات مختلفة مثل الطب والصناعة والتعليم والتجارة وغيرها. ويتم استخدام الذكاء الاصطناعي اليوم في:

- تطوير الروبوتات في الأتمتة (AUTOMATISATION) الصناعية
- تحليل البيانات وتوقع السلوكيات والاتجاهات
- تسخير الروبوتات في العمليات الجراحية وفي الطب عموما
- تطوير السيارات ذاتية القيادة
- تحسين تجربة الابحار على الانترنت واستخدام تطبيقات الهواتف الذكية
- استغلال الذكاء الاصطناعي في الامن والحماية والمراقبة وفي المالية والتأمين

ولكنه تم استخدام الذكاء الاصطناعي في مجالات أخرى تسببت في كوارث للبشر؟

رغم ان التكنولوجيا المرتبطة بالذكاء الاصطناعي تقدم عديد المزايا والفوائد فإنها تثير أيضا مخاوف وتحذيرات. اعتماد الذكاء الاصطناعي يمكن ان يتسبب في كوارث على الانسان. فالتكنولوجيا المتقدمة في مجال الأسلحة والطائرات دون طيار المعتمدة على الذكاء الاصطناعي والصواريخ ذاتية الهدف والانظمة المسيرة ذاتية القيادة تعد من الامور التي تثير المخاوف بشأن استخدام التكنولوجيا المتقدمة في الحروب. ويمكن استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في اتخاذ قرارات غير عادلة وغير اخلاقية بما يؤدي الى تمييز بعض الفئات والاشخاص او انتهاك معطيات خصوصية البعض والمس من حرياتهم الفردية. وقد يؤدي استغلال الذكاء الاصطناعي الى فقدان البشر وظائفهم بما يفاقم مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية بل ان استعمال تطبيقات ذكية قد يعرض أمن البعض السبراني الى الاختراق.

هل يمكن لسيناريوهات الخيال العلمي التي تتحدث عن سيطرة الروبوتات على البشر ان تتحول الى واقع ملموس في المستقبل؟

بشكل عام تبقى فرضية سيطرة الروبوتات على البشر مجرد سيناريو خيالي يستند الى الافلام والروايات الخيالية

التقرير الأسبوعي لـ "التونسية للأوراق المالية" :

Tunisie Valeurs
LA MAISON DE L'ÉPARGNANT

SMART TUNISIE و SOTIPAPIER يصنعان الحدث

منحى السوق :

- تسود السوق أجواء من التفاؤل. فقد أنهى المؤشر المرجعي الأسبوع الممتد من 3 إلى 7 أبريل 2023 في منحى إيجابي مسجلا تطورا بـ 1,3% ليقتل عند النقطة 8237,99 لتبلغ بذلك مراهبه منذ بداية السنة + 1,3%.

- على مستوى المبادلات كان حجم التداول ممتازا وبلغ 62,2 مليون دينار بما مثل حجما يوميا بـ 12,4 ملايين دينار.

وقد كانت أسهم شركتي سمارت تونس SMART TUNISIE والشركة التونسية لصناعة الورق SOTIPAPIER أبرز نجوم الأسبوع جاذبة لوحدها 63,3% من مجموع الأموال التي تم تداولها حسب الوسيط ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطور الأسهم

- تصدّر سهم الشركة التونسية لصناعة الإطارات المطاطية STIP طليعة الترتيب خلال الأسبوع المذكور محققا قفزة بـ 19,4% بسعر 4,800 دينار في مدّ مالي شبه منعدم.

- كان سهم التونسية للايجار المالي والفكتورينغ TUNISIE LEASING AND FACTORING ضمن أكبر الاربحين خلال الأسبوع المذكور. وسجل سهم شركة الايجار تطورا بـ 14,8% بسعر 10,450 دينار جاذبا حجما زهيدا من الأموال لم يتجاوز على امتداد الأسبوع 11 ألف دينار.

- كان سهم الشركة التونسية للتلا SOTEMAIL الأكثر تضررا مسجلا تراجعاً بـ 18,8% بسعر 1,430 دينار ضمن حجم تداول شبه منعدم.

- كان سهم سمارت تونس SMART TUNISIE الأكثر ديناميكية خلال الأسبوع المذكور جاذبا حجم أموال بـ 22,9 مليون دينار بما مثل 36,8% من مجموع التداولات التي شهدتها السوق خلال الأسبوع المذكور.

مستجدات السوق

- البنك العربي لتونس ATB ينشر قائماته المالية الخاصة بنشاط 2022 :

حقق البنك العربي لتونس ATB اثر نهاية نشاط 2022



صافي الربح بلغت العام الماضي 132,5 مليون دينار مسجلة بذلك ارتفاعا بـ 60,1% مقارنة بعام 2021. وسيعقد الاتحاد الدولي للبنوك جلسته العامة يوم الأربعاء 19 أبريل الجاري وذلك انطلاقا من الساعة العاشرة صباحا بنزل BARCELO CONCORDE - طريق بحيرة تركانة في ضفاف البحيرة بتونس العاصمة. وقد تم تحديد 27648 مليون دينار كحجم إجمالي للأرباح المقترح توزيعها بعنوان سنة 2022 بما يمثل ربحا بـ 0,800 دينار لكل سهم مقابل 0,700 دينار سنة 2021.

- التجاري بنك ATTIJARI BANK ينشر قائماته المالية الخاصة بنشاط 2022 :

يعقد التجاري بنك جلسته العامة العادية يوم الأربعاء 29 أبريل 2023 بداية من الساعة التاسعة صباحا بمقره الاجتماعي وذلك للتداول في نشاط 2022. وسيقترح مجلس إدارة البنك على المساهمين أرباحا بـ 4 دنانير عن كل سهم بعنوان آخر نشاط. وقد حقق البنك أرباحا بـ 186 مليون دينار بما مثل ارتفاعا بـ 16,25% مقارنة بعام 2021.

أرباحا بـ 11,4 مليون دينار مقابل خسائر بـ 68,5 مليون دينار سنة 2021. وقد شهد ناتج البنك الصافي خلال العام الماضي نموا بـ 319,7 مليون دينار مقابل 290,3 مليون دينار عام 2021 بما مثل ارتفاعا بـ 10%. وتوازيا مع هذه النتيجة تراجعت كلفة المخاطر بشكل كبير من 144,2 مليون دينار سنة 2021 إلى 81,4 مليون دينار سنة 2022. أما نتيجة الاستغلال فقد استقرت عند 22,3 مليون دينار مقابل - 59,3 مليون دينار عام 2011.

- الاتحاد الدولي للبنوك UIB ينشر قائماته المالية الخاصة بنشاط 2022 :

بلغت النتيجة الصافية للاتحاد الدولي للبنوك UIB مع نهاية نشاط السنة الماضية 132,1 مليون دينار مقابل 81,3 مليون دينار سنة 2021 بما مثل تطورا بـ 62,4%. وقد شهد نشاط عام 2021 اسناد البنك هبة استثنائية بـ 10 ملايين دينار. وحسّن البنك ناتجه البنكي الصافي بـ 10% ليبلغ 490,8 مليون دينار بينما تراجعت كلفة المخاطر الخاصة بالحرفاء من 47,3 مليون دينار سنة 2021 إلى 35,4 مليون دينار عام 2022. وتظهر القوائم المالية المدمجة أن حصة

اشهار

التحرير :

نزار الريحاني - منى المساكني -
خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي -
ياسين بيّوض

الشارع القضائي :

لطفي واجه

المدير الفني :

فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:

هيفاء بن محمد

العنوان :

45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس

الهاتف : 36 063 034 الفاكس : 71 890 065

www.acharaa.com
contact@acharaa.com

للطبعة: BETA: i@beta.com.tn

مستشارو التحرير :

صالح مصباح - صلاح بوزيان - المنصف السليطي -
نهلة عنان - مسعود رمضاني - أنس الشابي -
أسعد جمعة - كريم الميساوي - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :

منير الفلاح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :

زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي -
فوزية ضيف الله - محمد الكحلوي - أنور الشعافي -
الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيق بالزين -
علاء الدين السعيدي - خليل فويعة - الحبيب بيده -
صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريپورتاجات :

محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :

جمال بن جميع

الشارع
المغاربي

تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولية

كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير

برتبة رئيس تحرير :

معز زيّود - الحبيب القيزاني

كّتاب افتتاحيات :

الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله -
عز الدين سعيدان - نائلة السليبي - ألفة يوسف -
رجاء بن سلامة - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي -
رافع الطيب - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى -
فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

السوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسيتهم وشخصياتهم العامة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللمحة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأينا هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسط أو حتى الحسن... دتمم أهلا وسهلا في سوقنا...

✓ الفاهم بن يفهم

حسن جدًا

أنس جابر



في أول نهائي لها خلال الموسم الحالي أحرزت النجمة أنس جابر لقب دورة "تشارلستون" الأمريكية لكرة التنس بعد فوزها على السويسرية حاملة لقب الموسم الماضي بيليندا بنتشيتش بشوطين لصفر. وبهذا الانجاز العالمي الذي يعد الرابع في مسيرتها الاحترافية بعد برمنغهام (2021) ومدريد وبرلين (2022) تمكنت أنس من القفز إلى المركز الرابع عالميا بعد ان ركنت للراحة خلال السنة الماضية اثر خضوعها لعملية جراحية حرمتها من المشاركة في دورتي الدوحة ودبي.

فوز اللاعب رقم 1 عربيا وافريقيا أو وزيرة السعادة كما يحلو لعشاقها تسميتها على غريمتها السويسرية في نهائي "تشارلستون" بعد ان أحفقت أمامها في نفس الدورة اثبت أنها استعادت لياقتها المعتادة وإصرارها على التتويج أي كانت منافستها.

صحيح أن عودة أنس جابر إلى منصة التتويج لا تعتبر حدثا جديدا بالنسبة لجمهورها العريض في تونس وخارجها لكنه يظل دائما ذا نكهة خاصة بالنظر إلى المكانة التي تحتلها اللاعب في قلب عشاقها ومتابعيها ولما تبعث من إحساس بالفخر والانتشاء الغامرين في نفوس تونسيين حرمتهم ظروف البلاد الاقتصادية والاجتماعية من كل دواعي الفرحة. وزيرة السعادة هي أيضا رمز العلامة الكاملة في تذليل كل الصعوبات لمعانقة التتويجات العالمية وتسجيل أسماها بأحرف من ذهب في سماء رياضة التنس.

صورة تتحدّث

تكلفة الحج تساوي
اليوم ثمن كيلو
بندق

رديء جدًا
ابراهيم بودربالة

بعد مرور 23 يوما فقط على تعهد إبراهيم بودربالة رئيس مجلس نواب الشعب خلال لقاء جمعه بنقيب الصحفيين ياسين الجلاصي باحترام حرية العمل الصحفي داخل البرلمان أعلنت رئاسة المجلس أن مواكبة الجلسات العامة الخاصة بالتصويت على مشروع النظام الداخلي ستقتصر على الإعلام العمومي مستثنية صحفيي الإعلام الخاص والأجنبي من ممارسة حقهم في التغطية.

منذ انطلاق أشغال البرلمان المنتخب حديثا يجد الصحفيون أنفسهم محرومين من أداء مهامهم داخل المجلس بما يفسح المجال لإثارة مسألة تغطية مداواته إعلاميا من جديد بعد ان تم الحسم فيها منذ سنة 2013 إبان محاولة كتلة حركة النهضة آنذاك التعتيم على العمل البرلماني.

القرار الانتقائي الصادر عن رئيس البرلمان لا يضرب الحق في الإعلام والنفاذ إلى المعلومة ومبادئ الشفافية والرقابة على المؤسسات العمومية ولا يحرم المواطنين من حقهم في مراقبة ممثليهم بالبرلمان فحسب بل يحول المؤسسة التشريعية إلى قلعة مغلقة قائمة على التعتيم على غرار أغلب المؤسسات العمومية التي انخرطت منذ 25 جويلية 2021 في سياسة قائمة على حجب المعلومة.

ولئن يعتبر قرار بودربالة منسجما مع توجه رسمي وسم منظومة ما بعد 25 جويلية فإنه يتجاهل انه ما كان له ان يحظى برئاسة البرلمان لولا مجهودات صحفيين طالما رابطوا في قاعات الجلسات خلال المدة النيابة السابقة للمجلس وكشفوا تهريج عديد النواب وتحول البرلمان إلى سيرك دفع رئيس الجمهورية إلى حله قبل تنظيم انتخابات تشريعية جديدة اوصلته إلى رئاسته. وإذا ذهب في اعتقاد رئيس المجلس ان سياسة المنع ستحرم الاعلام من أداء واجبه في اقتفاء اثر المعلومة البرلمانية فقد جانب الصواب وخسر أولى معاركه مع الشفافية والانفتاح على الاعلام.



قيس سعيد



بالنسبة لقضية إعادة ترشيح للرئاسة هي سابقة لأوانها... انا لا اشعر اني في منافسة اي كان... اشعر اني اتحمل المسؤولية ولن اتخلي عن المسؤولية.. بطبيعة الحال هناك انتخابات وقضية الترشح لا

تخامرني... يخامرني الشعور بالمسؤولية وسيأتي يوم لامد المشعل لمن سيأتي من بعدي... لمن سيختاره الشعب التونسي... القضية قضية مشروع والقضية كيف تؤسس لمرحلة جديدة في التاريخ التونسي. المواعيد الانتخابية تم احترامها وحتى الحملة الانتخابية كانت حملة تفسيرية وليس حملة انتخابية وقضية الترشح لم تكن مطروحة اصلا وقتها سابقا... لا تهمني المناصب ولا القصور... يهمني وطني ولست مستعدا لان اسلم وطني لمن لا وطنية لهم... بالنسبة لانتخابات ثانية سيأتي يوم وسأغادر ولكن المهم ان تؤسس للمستقبل...

نبيل عمار



لا يمكن إجبارنا على القيام بإصلاحات جذرية خلال فترة قصيرة... يجب أن نفكر في العدالة الاجتماعية وإلا سيكون هناك المزيد من التونسيين الذين سيهاجرون بشكل غير قانوني... نحن مازلنا بصدد التفاوض مع صندوق النقد الدولي.... ليس التونسيون وحدهم هم الذين يهاجرون إلى دول شمال البحر الأبيض المتوسط فمعظم المهاجرين يأتون من دول جنوب الصحراء... كما أن تونس أصبحت دولة عبور باعتبار موقعها بين الجنوب والشمال... لقد تلقت تونس تجهيزات من قبل الدول الأوروبية بما في ذلك إيطاليا لاعتراض هؤلاء المهاجرين لكنها ليست كافية وقد تقادمت بمرور الزمن..

محمد عبو



البلاد قد تدخل في حالة من الفوضى ورئيس الجمهورية قد يلجأ في هذه الحالة إلى عنف خطير للحفاظ على نفسه وسلوكات الرئيس بعد ما أثر حول مرضه وشغور منصب الرئاسة خير دليل على ذلك... لم نصل مستوى قمع نظام بن علي ولكن قد نبلغه أو نتجاوزه نظرا لعصبيّة الرئيس الذي قد يعطي تعليمات بالعنف وبالقتل...

بسام الطريفي



ليست المرة الأولى التي يعبر فيها رئيس الجمهورية عن رفضه الحوار.... ربما هذه هي ثالث أو ثاني مناسبة يقول فيها انه رافض للحوار وانا بدوري اجدد الدعوة اليه لكي يطلع على الاقتراحات التي سنتقدم بها في اطار ورقات الحوار الوطني. ادعو رئيس الجمهورية والسلطة التنفيذية إلى الاطلاع على الاقتراحات التي انكبت على اعدادها المنظمات المشاركة في المبادرة وكذلك عدد من الخبراء في المجالات الدستورية والسياسية والاقتصادي والاجتماعي وادعو رئيس الجمهورية إلى تقبل المبادرة قبل رفضها.

آرام بلحاج



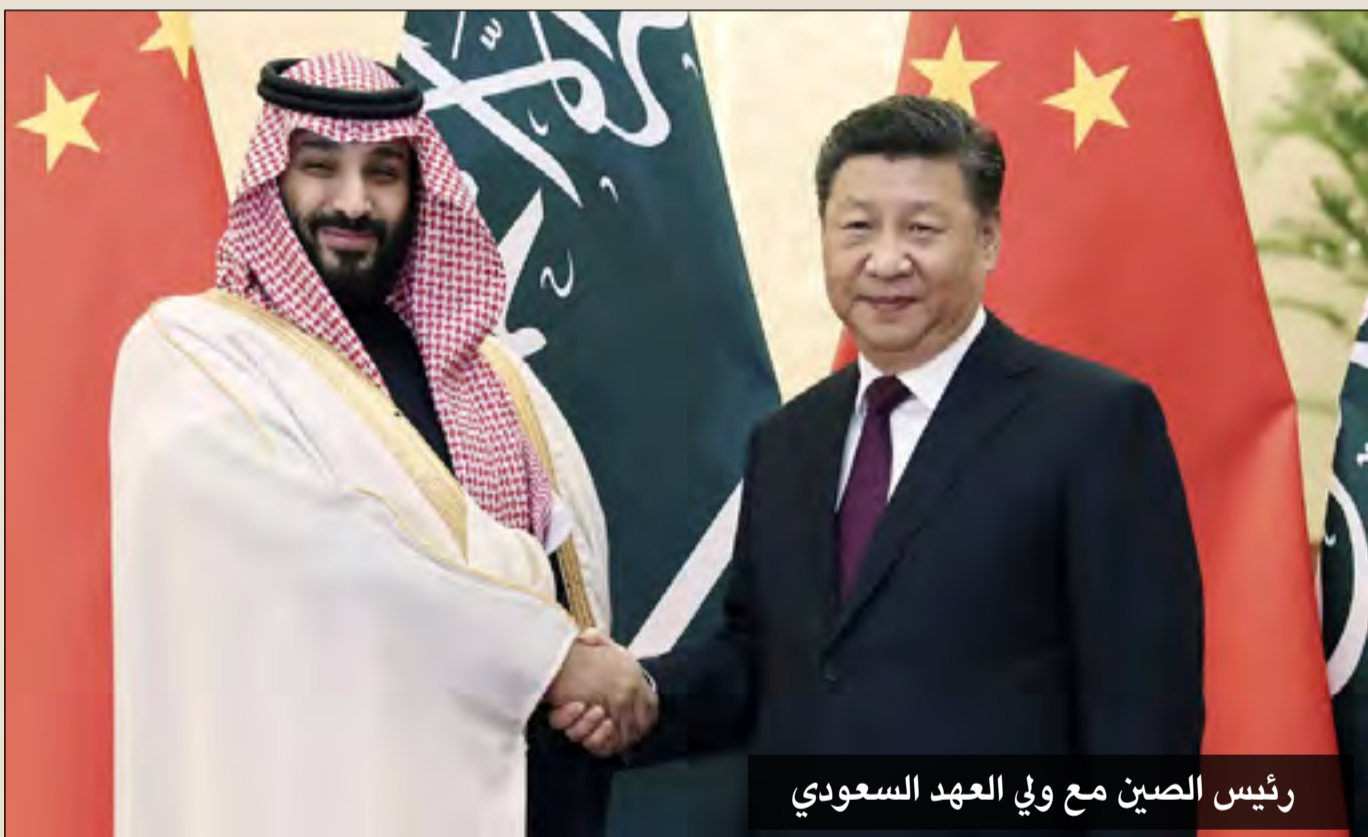
اذا تواصل التأخير في إبرام اتفاق مع صندوق النقد الدولي في ظل الوضعية الحالية للمالية العمومية لن يكون ذلك أمرا طيبا لنا وإذا زاد انخفاض احتياطي العملة ومزيد التخفيض في ترقيم تونس السيادي فاننا في الحقيقة نسير في طريق مسدود يذكّرنا بسيياريو الثمانينات... التعويل على الذات كلام جميل.... صحيح التعويل على الذات شيء ايجابي ومهم وهذا هو المطلوب لكن لما نقول التعويل على الذات فهذا يتطلب عودة السياحة إلى مستويات كبيرة جدا وعودة الفسفاط وعودة انتاجية التونسي اكثر مما كانت عليه من قبل.... التعويل على الذات مهم لكنه يتطلب وقتا وايضا اصلاحات واصلاحات موجهة... التعويل على الذات هو الحل الامثل ولكن يلزمه وقت.

الشارع العالمي والعربي

23

لماذا تحتاج السعودية إلى «بريكس»+
ومنظمة شنغهاي للتعاون؟

ألكسندر نازاروف



رئيس الصين مع ولي العهد السعودي

بداية، يشير اختصار BRICS إلى الدول الأربع سريعة النمو (البرازيل، روسيا، الهند، الصين) التي قامت بتأسيس المنظمة. ثم انضمت إليهم جنوب إفريقيا عام 2011 ليتحول اختصار اسم المنظمة إلى BRICS. ومنذ عام 2017، وبمبادرة صينية، بدأ ممثلو الدول الشريكة لأعضاء "بريكس" يشاركون في قمة المنظمة، ثم في عام 2022، فتحت المنظمة أبوابها للآخرين، حيث تقدمت كل من إيران والجزائر بطلب للعضوية، ثم أعلنت كل من السعودية ومصر وسوريا وعدد من الدول الأخرى عن رغبتها إلى الانضمام إلى "بريكس+".

للهولة الأولى، من الصعب تحديد ما يوحد المشاركين في المنظمة، وما هي أهدافها. ففي السنوات الأولى من وجودها، كان القادة منخرطين بشكل أساسي في الاستفادة قدر الإمكان من الضجة والترويج الذاتي الدولي، وكانت قرارات القمم غامضة للغاية، ولم تدخل حيز التنفيذ.

ومع ذلك، تم زرع بذرة المنظمة بالفعل في ذلك الحين، والتي نمت الآن لتصبح حركة جادة ذات أهداف غير معلنة، إلا أنها مرئية تماما.

وبعكس المفهوم الراسخ والخطي، فإن مجموعة "بريكس+" ليست منظمة اقتصادية، إنما منظمة سياسية بحتة، على الرغم من احتفاظها بمظهر الأولى. في واقع الأمر، "بريكس+" هي رابطة للدول غير الراضية عن واقع أن تأثيرها السياسي على النظام العالمي أحادي القطب أقل بكثير من إمكاناتها الاقتصادية أو والعسكرية. وهدف هذه الدول الأوحد هو استبدال النظام العالمي الراهن بنظام جديد، يكون لها فيه وزن أكبر بكثير.

لا يوجد ما يجمع هذه الدول أكثر من تلك الحقيقة. لكن الغرب لا يزال شريكهم الرئيسي في مجال الاقتصاد والتكنولوجيا، ولا يزال معظم حجم التبادل التجاري لهذه الدول مع دول الغرب الجماعي، ولهذا السبب، لم تتجاوز المشاريع الاقتصادية والتكاملية لدول "بريكس+" حد الخطط والبيانات. ولهذا السبب أيضا، من الممكن نسيان فكرة عملة البريكس الموحدة.

ذلك أنه لإنشاء عملة موحدة، من الضروري إنشاء مركز لإصدار النقود المشتركة، ولهذا من الضروري التخلي عن جزء كبير من السيادة في المجال الاقتصادي. لكن أعضاء المنظمة لا يسعون إلى تقليص درجة سيادة سياساتهم، بل على العكس من ذلك، يسعون لزيادتها. أي أن عملة "بريكس+" الموحدة مستحيلة من حيث المبدأ، لأنها تتعارض مع الهدف الرئيسي غير المعلن لهذه المنظمة.

ومع ذلك، فإن الخروج المؤقت عن هذا المبدأ ممكن بالنسبة لليوان الصيني، والذي يعتبره معظم المشاركين بمثابة المعول الذي يمكن استخدامه ضد هيمنة الدولار. وكل ذلك تزداد إمكانيته بالنظر إلى الحصة المتزايدة للصين في التجارة الخارجية لكل عضو من أعضاء المنظمة، والصين تحتل الصدارة في المعتاد.

ومع ذلك، فأنا على يقين بأن الدول الكبيرة، مثل الهند وروسيا والبرازيل لن تتخلى عن طموحاتها الخاصة، وستحاول جعل عملاتها، على أقل تقدير، إقليمية. بدلا من

من المظلة، التي لن تترك الدول الصغيرة فرادى وحيدة أمام الضغط الأمريكي.

كما أنه من الواضح أن المنظمات الدولية القائمة، بما في ذلك منظمة الأمم المتحدة، تخضع لسيطرة واشنطن بالكامل، وفقدت طابعها الدولي الحقيقي، فيما تهدف مجموعة "بريكس+" إلى استبدالها بمنظمة دولية حقيقية.

إلا أنه، وفي نفس الوقت، لا يمكننا حتى الآن الحديث سوى عن الخطوط المبدئية للنظام السياسي العالمي المستقبلي، وليس من الواضح أية منظمة ستلعب أي دور. على سبيل المثال، فقد انضمت المملكة العربية السعودية مؤخرا إلى منظمة شنغهاي للتعاون، كشريك في الحوار. ربما تكون منظمة شنغهاي للتعاون هي التي ستتعامل مع القضايا الأمنية، وليس "بريكس+". على أي حال، فإن نشاط السعودية في هذا الاتجاه، إلى جانب استعدادها لرفض التجارة بالدولار، هو مؤشر واضح ويتوافق تماما مع روح العصر.

"بريكس+" ومنظمة شنغهاي للتعاون هما هياكل النظام العالمي الجديد، ورابطة الدول الصاعدة، التي تقف مقابل التكتلات التي تغرب شمسها مثل حلف "الناتو" و"أوكوس" AUKUS وغيرها. والدول التي تنضم إلى مجموعة "بريكس+" ومنظمة شنغهاي للتعاون هي تلك الدول التي تسعى للحصول على أماكن مميزة في النظام العالمي المستقبلي، للدخول في المليار الذهبي الجديد. وعلى الرغم من ذلك، وكما يقول المثل الروسي الشائع: لا تقل "هوب" قبل أن تقفز، سيتعين علينا أولا أن نمرّ بالعقد شديد الصعوبة الذي ينتظرنا الآن...

ذلك، سيحصل اليوان أولا على وضع إحدى العملات العالمية، وبعد ذلك، سيحصل بهذه الصفة على بعض المزايا في إطار «بريكس+»، أو سيدخل في سلة العملات للكثلة، والتي تتكون من عدة عملات.

في الوقت نفسه، لم يتم تحديد المصير المستقبلي لـ «بريكس+» ولا يزال أمامها بعد خوض بعض الأزمات الداخلية.

بادئ ذي بدء، تحتاج المنظمة إلى أن تقرر ما إذا كانت ستصبح «مجتمع أصدقاء الصين»، أو أنها ستصبح أساسا لإنشاء أمم متحدة مستقبلية، حيث سيكون جوهر الأعضاء القياديين في المجموعة هو مجلس الأمن الجديد في «بريكس+». بالطبع، تهتم الصين أكثر من غيرها بتوسيع وتعزيز دور «بريكس+»، والذي لا يمكن إنكار دورها فيها. وليس من قبيل الصدفة أن تكون الصين هي البادئ في مبادرات زيادة عدد أعضاء المنظمة في كلتا الحالتين، حيث أن دورها في مجموعة «بريكس+»، على ما يبدو، سوف ينمو، لا سيما في ما يتعلق بالمكون الاقتصادي.

ومع ذلك، أعتقد أن وجود روسيا والهند وغيرهما من الدول الكبيرة والطموحة في صفوف «بريكس+» سيمنع أي احتكار داخل المنظمة.

بطريقة أو بأخرى، وبينما تتطور حرب الغرب على روسيا إلى حرب على الصين، أي في الواقع، إلى حرب عالمية، ستكون هناك حتما إعادة تصنيف مع دول ثالثة حسب انتمائهم إلى معسكرات مختلفة، وقليلون هم من سيستطيعون البقاء على الحياد، فيما ستصبح "بريكس+" حينها بمثابة نوع

موقع امريكي:

واشنطن زودت أوكرانيا بدبابات مصممة للحرب العالمية الثالثة



ذكرت وسائل إعلام غربية أن الولايات المتحدة أرسلت دبابات إلى أوكرانيا مصممة خصيصاً للحرب العالمية الثالثة وللاشتباك مع القوات الروسية.

وحسب المصادر، أرسلت الولايات المتحدة إلى أوكرانيا دبابات "M60" التي تم تضمينها في حزمة مساعدات عسكرية أخرى بعد أن وعد البنتاغون بإرسال دبابات "أبرامز" إلى الجيش الأوكراني في مارس الماضي.

من جهتها قالت مايا كارلين، الصحفية في موقع "19Forty Five" "ومع ذلك، ستكون هذه الدبابات نسخاً غير مسلحة، ستكون "كجسور مدرعة"، تم تصميمها لبناء الجسور عبر التضاريس الضيقة والحواجز المائية في

أقل من ثلاث دقائق".

يذكر أنه تم تصنيع أول نموذج لهذه الآليات العسكرية في الولايات المتحدة في ذروة الحرب الباردة، خلال خمسينات القرن الماضي. وقد حفز البنتاغون على

هذا الإجراء آنذاك، التقارير التي أفادت بظهور دبابات قادرة على حمل مدفع رشاش عالي السرعة في الاتحاد السوفياتي، ثم تولى المصنعون والمطورون الأمريكيون تطوير النموذج الأولي "XM60".

"نيويورك تايمز":

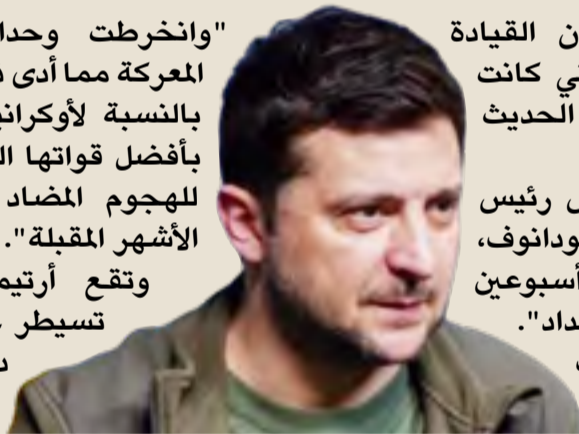
كيف دفعت إلى باخموت بقوات أعدتها للهجوم المضاد

ذكرت صحيفة "نيويورك تايمز"، إن القيادة الأوكرانية اضطرت لنقل قوات النخبة التي كانت قد أعدتها لتنفيذ الهجوم المضاد الذي طال الحديث عنه، إلى أرتيموفسك (باخموت).

وأضافت الصحيفة في مقالتها: "عرض رئيس المخابرات العسكرية الأوكرانية كيريل بودانوف، إرسال وحدات النخبة تحت قيادته لمدة أسبوعين لصد القوات الروسية التي تهدد خطوط الإمداد".

ونقلت الصحيفة عن الجنرال بودانوف وصفه الوضع في أوكرانيا بالكارثي.

وأشارت إلى أن سلطات كييف اضطرت في النهاية، لإرسال تعزيزات إلى أرتيموفسك. وقالت: المجموعة الأوكرانية في دونباس.



"وانخرطت وحدات النخبة المختلفة في المعركة مما أدى ذلك إلى خسارة استراتيجية بالنسبة لأوكرانيا، التي سعت للاحتفاظ بأفضل قواتها العسكرية المدربة والمجهزة للهجوم المضاد المتوقع في الأسابيع أو الأشهر المقبلة".

وتقع أرتيموفسك في الجزء الذي تسيطر عليه كييف من جمهورية دونيتسك الشعبية شمال مدينة غورلوفكا، وهي محور نقل مهم لتزويد

سيمور هيرش :

الولايات المتحدة أرادت ابتزاز روسيا بتفجير "السييل الشمالي"

تكون معنا أو ضدنا". وكان خطأ أنابيب تصدير الغاز الروسي إلى أوروبا "التيار الشمالي 2" و1، تعرضا في 26 سبتمبر من العام الماضي للتفجير، ولم تستبعد ألمانيا والدنمارك والسويد، أن يكون تدميره نتيجة عمل تخريبي مدبر.

يذكر أن الصحفي الأمريكي الحائز على جائزة نوبل كان قد نشر في 8 فيفري الماضي نتائج تحقيقه الخاص في ملبسات تفجير خطوط أنابيب الغاز "السييل الشمالي"، وقال إن الولايات المتحدة دبرت ذلك. وكتب أن الغواصين الأمريكيين قاموا أثناء مناورات "BALTOPS" في صيف عام 2022 بتلغيم خطوط أنابيب الغاز، وإن الجانب النرويجي قام بعد 3 أشهر بتفجيرها عن بعد. وتابع هيرش أن جو بايدن هو الذي اتخذ قرار تنفيذ هذه العملية وذلك بعد 9 أشهر من مناقشات مع مسؤولي الأمن الوطني في الإدارة الأمريكية. وفيما بعد أعلن البنتاغون أنه ليس للولايات المتحدة أي صلة بتفجيرات خطوط أنابيب الغاز الروسية-الألمانية.

قال الصحفي الأمريكي، سيمور هيرش، إن الولايات المتحدة الأمريكية أرادت ابتزاز روسيا بتفجير خط أنابيب "السييل الشمالي" لمنع العملية العسكرية الروسية الخاصة بأوكرانيا.

وأضاف هيرش في حوار ادلى به لمجلة TICHYS EINBLIC: "لقد تمت المطالبة بذلك قبل وقت قصير من حلول عام 2021، ربما في وقت قريب من أعياد الميلاد. وكانت الفكرة هي إيجاد شيء خارج عن المألوف يمكن أن يستخدمه الرئيس الأمريكي كإجراء أو تهديد لإقناع روسيا (بعدم القيام بأعمال عسكرية في أوكرانيا).. وكانت الفكرة تكمن في إخبار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بأن أمريكا ستقوم بتفجير خطوط الأنابيب إذا عبرت القوات الروسية الحدود مع أوكرانيا.

وعبر عن اعتقاده بأن حكومة الولايات المتحدة أرادت إقناع موسكو بالحفاظ على الوضع القائم آنذاك في أوكرانيا معتبرا أن الحكومة الأمريكية لا تجد الإقناع، وأنها تتصرف وفق مبدأ: "إما أن



خامئني أضاف : «لم يسبق لإسرائيل أن واجهت مثل هذه المشاكل الرهيبة وهي اليوم تعاني من عدم الاستقرار السياسي وقامت خلال الأربع سنوات الماضية بتغيير 4 رؤساء حكومات فيما تشهد التحالفات الحزبية بها تفككا قبل أن تتشكّل».

وأشار إلى أن عدد الأشخاص الذين سيغادرون إسرائيل سيبلغ قريبا مليوني شخص معتبرا أن التحذيرات المتتالية من طرف السلطات الصهيونية من انهيار وشيك لهذا الكيان هي مؤشر آخر على ضعف دولتهم.

تجنيد المشردين

على ذمة موقع REPORTER «ابتكرت السلطات الأمريكية طريقة جديدة لإمداد الجيش الأوكراني بالمقاتلين تمثلت في ظهور منشورات بالمدن الأمريكية تحت المشردين على الالتحاق بالفيلق العالمي للدفاع عن أوكرانيا».

الموقع أشار إلى أن المتطوعين يحصلون على وعد بنيل صفة «متطوع عالمي» وتغطية صحية إضافة إلى مرتب شهري ملاحظا أن «عدد المتطوعين الذين يرغبون في القتال من أجل القضية المقدسة للدفاع عن أوكرانيا ضد العدوان الروسي ليس مذكورا».

REPORTER ذكر بأن عدد المجندين على عجل للقتال إلى جانب القوات الأوكرانية تراجع بشكل حاد ناقلا عن بعض وسائل الاعلام الغربية أن الجيش الروسي قضى على نحو 18 ألف و500 مرتزق من جملة 20 ألفا دخلوا إلى أوكرانيا.

تحقيق

ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» الصادرة بتاريخ 6 أبريل الجاري أن إدارة بايدن فتحت تحقيقا في تسريب خطط الحرب السرية التي كانت أمريكا وحلفاؤها في الناتو يخططون لشنها في اطار الهجوم المضاد ربيع هذا العام على القوات الروسية.

الصحيفة أكدت أنه تم تسريب وثائق الخطط المذكورة على موقعي تويتر وتلغرام معتبرة أن التسريب يمثل خرقا كبيرا لمعلومات المخابرات الأمريكية.

وأضافت «نيويورك تايمز» أن المعلومات التي تضمنتها الوثائق تتعلق بوصول شحنات أسلحة وتقديرات أمريكية لعدد القتلى الأوكرانيين والروس خلال الهجوم المضاد وكذلك تقديرات لقوة الجيشين المتحاربين.

وحسب الصحيفة تعود الوثائق إلى بداية مارس الماضي وترسم وجهات النظر الأمريكية والاوكرانية حول ما يلزم الهجوم المضاد وكذلك تقديرات لقوة الجيشين المتحاربين.

لكن الوثائق لم تذكر أي تفاصيل حول موعد أو مكان انطلاق الهجوم المضاد.

وأفادت «نيويورك تايمز» بأن الوثائق توضح أنه تم تجميع 12 فوجا قتاليا أوكرانيا وأنه يتم تدريب 9 منها من طرف الولايات المتحدة ودول أخرى من الحلف الأطلسي وبأن الهجوم المضاد يتطلب أكثر من 250 دبابة وأكثر من 350 مركبة مدرعة.



على الدولار الأمريكي والتخلي عن صندوق النقد الدولي.

إبراهيم أضاف «لا يوجد سبب يدعو ماليزيا إلى الاستمرار في الاعتماد على الدولار والبنك المركزي الماليزي يعمل بالفعل على تمكين البلدين من التفاوض حول المسائل التجارية باستخدام الرنجيت والرنمينبي» حسب ما نقلت عنه وكالة بلومبورغ.

كلام إبراهيم جاء بعد مرور أشهر على مناقشة مسؤولين سابقين في سنغافورة ما على اقتصادات دول المنطقة القيام به للتخفيف من مخاطر الدولار الذي لا يزال قويا والذي يضعف العملات المحلية ويصبح أداة للعقوبات الاقتصادية.

صواريخ «تسركون» تزور السعودية



يوم الأربعاء الماضي رست بميناء جدة السعودي للمرة الأولى منذ حوالي 10 سنوات الفرقاطة الروسية «اميرال غورشكوف» والناقلة البحرية «كاما».

وزارة الدفاع الروسية ذكرت أن تواجد البارجتين على ساحل البحر الأحمر كان بهدف «التزود بالوقود والمياه والمؤن» مشيرة إلى أنه «تم إعداد برنامج ثقافي لطاقم السفينتين».

أما سفارة روسيا بالملكة السعودية فقد أوضحت أن الزيارة كانت مبرمجة منذ مدة.

يشار إلى أن البارجتين شاركتا مؤخرا في مناورات عسكرية مع سفن صينية وإيرانية وإفريقية جنوبية.

كما يشار إلى أن الفرقاطة «اميرال غورشكوف» مزودة بصواريخ كروز من نوع «تسركون» وإلى أنها تدربت خلال المناورات العسكرية على توجيه ضربات صاروخية على هدف يحاكي سفينة حربية معادية تبعد عنها 900 كلم.

في عجلة من أمرهم... ؟

«قلنا سابقا انهم لن يشهدوا الأعوام الـ 25 القادمة، لكن يبدو أنهم في عجلة من أمرهم ويريدون المغادرة على وجه السرعة».

بهذه الكلمات علق المرشد الإيراني علي خامئني على الأزمة الداخلية التي شهدتها إسرائيل مؤخرا والتي لا تزال تداعياتها تهز أركان الكيان الصهيوني.

زيلنسكي آخر لحكم تركيا؟

صحيفة «خبر 7» التركية ذكرت أن الولايات المتحدة الأمريكية «تخطط لاستبدال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بزيلنسكي ثان».

كاتب المقال، الصحفي أوزغيور بايرك أشار إلى أن واشنطن لا ترغب في رؤية فوز أردوغان في الانتخابات الرئاسية المنتظر انضمامها يوم 14 ماي القادم.

بايرك أضاف : «لذلك فهم يعتزمون وضع رجلهم في أنقرة مثلما كان الحال مع كيبف حتى تشارك «دماء جديدة» في صراع الغرب ضد روسيا».

الصحفي أكد أنه تم اختيار «ممثل» من المعارضة التركية للعب دور زيلنسكي ثان.

300 مليار أورو

300 مليار أورو هو المبلغ الذي يمكن أن تطالب به روسيا فنلندا نتيجة انضمامها إلى الحلف الأطلسي.

فوفق وكالة الأنباء الروسية TELMENEWS سيكون المبلغ تعويضا عن مصاريف موسكو الجديدة لتعزيز قدراتها العسكرية على حدودها مع فنلندا التي تضاعف طولها تقريبا ليبلغ 2400 كلم.

وحسب وزارة الخارجية الروسية يمثل انضمام فنلندا للحلف الأطلسي خرقا صارخا لمعاهدة باريس للسلام الموقعة سنة 1947 والتي تحصر دور الجيش الفنلندي في حماية البلاد لا أكثر تماما مثلما هو الشأن بالنسبة لشراء فنلندا دبابت «ليوبار» الألمانية لأن معاهدة باريس تمنع عليها شراء أسلحة ألمانية وهو ما ينطبق أيضا على شرائها طائرات «أف 35» الأمريكية لأن معاهدة باريس تمنع على البلد المذكور امتلاك قاذفات تحتوي على أجهزة إخفاء القنابل المعلقة وهو حال طائرات «أف 35».

دمتري أرمولايف، الصحفي بالوكالة المذكورة اعتبر أن «هذه الخروقات تمنح روسيا أسباب اثارة مسألة مسؤولية فنلندا القانونية الدولية والتي تتجسد خاصة عبر وجوب قيام هذا البلد بدفع تعويضات لروسيا تناهز ما لا يقل عن 300 مليار أورو».

بدل لصندوق النقد الدولي ؟



أنور إبراهيم

رئيس وزراء ماليزيا أنور إبراهيم أكد أن الصين منفتحة خلال المحادثات التي تجريها مع بلاده بشأن بعث «صندوق نقد آسيوي» لتقليل الاعتماد

عرفة الشابي، مؤسس الدولة الشابية وشيخ طريقة...

بقلم :
صلاح بوزيان



منتدى الفكر التنويري يكرم جلول عزونة

بقلم :
هيام الفرشيشي



« لعمرة » شخصية مبهمة من « القاع »، دماؤها تونسية مائة بالمائة

بقلم :
إيناس احمد سليم



مهذب الرميلى لـ«الشارع المغربي» : زيّ تلاميذ «فلوجة» أقرب إلى الزيّ الماسوني وأتمنى أن يُفتح تحقيق في الغرض

ترجمة



«أفراح مسترقة»
رسائل ألبير كامو
(Albert Camus)
وسيمون دو بوفوار
(Simone de Beauvoir)
بقلم : لطفي عيسى

وقفة



الزيتونيون من الإشعاع
إلى النكوص

بقلم :
محمد الكحلاوي

في مكانة الزيتونيين في المشروع الثقافي الوطني قديما وحديثا:

من الإشعاع إلى النكوص

بقلم: د. محمد الكحلوي، جامعة قرطاج

آخر... فيغدو الانخراط على حدّ عبارة صاحب «الديباج المذهب» ابن فحرون، في الذبّ عن المذهب وأهله تقليدا ثابتا. ويشدّد الانهماج بالماضي وإيثاره على الحاضر واعتبار من تقدّم أعلم وأصلح ممن تأخّر، وتطغى نزعة تقديسه.. وعندها يصبح تدريس العلوم العقلية والإنسانية الحديثة، كالفلسفة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتاريخ شكلياً، لا يؤثّر بما فيه الكفاية في الخرجين، ولا في التعامل مع دراسة علوم الدين والتراث، إلا نادراً، مع بعض الباحثين الذين فضل بعضهم إتمام دراسته العليا والإقامة بالخارج مثل عزّ الدين عناية أو إتمام دراسته في تخصصات أخرى؛ فلسفة، آداب / حضارة، حقوق، هنا تجدر الإشارة إلى ظهور جهود مهمة ظلّت معزولة ولم تتواصل، قام بها بعض الأساتذة مثل: سالم الطّبابي والعروسي الميزوري وفريد قطاط، أو بعض ممّن ألقوا أو تعاقدوا عرضياً للتدريس بالزيتونة؛ أولئك الذي ينتمون إلى تخصصات الفلسفة والآداب والعلوم الإنسانية، تجدر الإشارة إلى جهود الأساتذة: محمد محجوب ومقداد منسية وحمادي بن جاء بالله وتوفيق بن عامر ومنصف بن عبد الجليل والزاحل حسن القرواشي وفوزي البدوي.

لقد تمّت مواجهة التجديد في العلوم الدينية أو تحديث دور الفكر والعقل في فهم الدين والرقى بحياة المجتمع، بالتقليد، فكان الإعراض عن الإبداع وإنتاج الثقافة والمعرفة، لم يتمّ تطوير علوم الدين أساساً.

في حين تطغى الآن ثقافة الفقه التقليدي وتقرير العقيدة التي صاغها علماء أصول الدين من المتكلمين بطرق مبسطة، وحتى دعوات تجديد الفقه أو علم الكلام، ظلّت شكلية ومرتهنة إلى ما قال به القدامى؛ إنك ترى كمّاً كبيراً من بحوث الفقه، تنجز غايتها مزيد تقنين سلوك الناس ونمط حياتهم، وفق ما يعتبر أنّه دين وشرع لله، غير أنّ النظر العميق يكشف عن أنّها جهود تتنزل ضمن قوالب قديمة، خاصّة لما يتعلّق الأمر بفقه الأحوال الشخصية وحقوق المرأة وحزبيتها، حيث يُعاد إنتاج فقه من نوع «الوَاد الجديد» على حدّ ما وسم به عنواناً كتاباً للأستاذة زهية جويرو.

نقول ذلك اعتباراً لأنّه من الصعب أن نجد اجتهادات تدعو إلى التحرّر، إلى المساواة في الحقوق، في الميراث، أو إلى إحلال العقل مكانة لائقة في إنتاج العلم. ولا تجد اجتهادات تساءل حقيقة فقه اللباس المزعوم للمرأة أنّه إسلامي خاصّة «النقاب»، أو تدحض كلياً فتاوى الإرهاب، أو تنقض أقوال الجماعات التكفيرية المتطرّفة التي تمارس العنف باسم الدين وتقتل باسم الدين، في حين أنّ الإسلام من ذلك براء، أو تلك التي تدعو إلى إقامة حكومات إسلامية باسم الدين، وتحت يافطة «الخلافة» التي ما أنزل الله بها من سلطان.. إذ هي مؤسسة اجتماعية إيديولوجية تاريخية، أمست على حدّ عبارة ابن خلدون «ملكا عضوضاً».

إنك لا تجد تفاعلاً مستمراً مع اجتهادات قاسم أمين والطاهر الحداد والثعالبي وعلي عبد الرزاق ومحمد شحرور ومحمد الطالبي، وغيرهم من المفكرين وعلماء الدين المجددين. ولا تجد مسلكاً إلى تجديد أسس المعرفة الدينية على النحو الذي طرحه محمد أركون أو نصر حامد أبو زيد أو عبد الله العروي في كتابه الدرة «السنة والإصلاح»، ولا تفاعلاً خلاقاً مع ما طرحه هشام جعيط أو محمد شحرور أو عبد المجيد الشرفي، لا تجد مراجعة جذية للحديث ونقد سلسلة روايته وبيان قنوات وضعه حتى داخل الكتب الصحاح فضلاً عن مدونات السنن، خاصّة وأنّ أكثر التشريعات العنيفة الداعية للتدخل في الفضاء العام، مثل قتال المرتدين وتغيير المنكر باليد وجلد شارب الخمر وغير ذلك من إقامة الحدود، تستند إلى أحاديث، تناقض جوهر ما جاء به القرآن وبدا من روح الإسلام... لعلّ مدرّسي المؤسسة الجامعية الدينية، يرفضون التصادم مع دعاة الإسلام السياسي وقادة التنظيمات الدينية السياسية العنيفة، ولا يرون ضرورة مواجهة سلطان خلافتهم اللامحدود باسم وجوب الطاعة لأولي الأمر، ولو كان ذلك نتاج اجتهادات بشرية وحاجات سياسية وقناعات إيديولوجية.

شغل خطة مفتي الجمهورية، في الدراسة والتحقيق والمراجعة، حيث راجع ترجمة حمّادي الساحلي لكتاب الثعالبي «روح التحرّر في القرآن».

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ وضع الزيتونة ككلية تابعة لجامعة تونس، حيث صار اسمها منذ انبعاثها (1961) بقرار رئاسي «الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين»، كان أفيد للعلم والثقافة، وأخصب في مجال التحقيق والدراسة، مقارنة بالوضع الذي آلت إليه، بعد تحويلها إلى جامعة مستقلة (بعد 7 نوفمبر 1987)، تعود بالنظر إليها معاهد عليا مستقلة: أصول الدين، والحضارة والشريعة، والدراسات الإسلامية بالقيروان. قبل أن يصبح معهد الشريعة تابعاً لوزارة الشؤون الدينية.. ويعود التركيز في تدريس العلوم الدينية والشريعة إلى معهد الأصول. فتننتفي الخصوصية الأكاديمية لشمولية الاهتمام، وتتقلص مساحة حضور علوم العقل والنظر: العلوم الإنسانية والفلسفة، أيضاً علوم اللغة؛ اللسانيات كالنحو والبلاغة، بل حذف بعضها وحُذفت شعب وتخصّصات مهمّة، مثل «العقيدة والفلسفة» و«الاديان والمذاهب»، ليظهر نظام موحد: شهادة «الأساتذة في العلوم الشرعية»، وطغى من جديد الاهتمام الفقه والتشريع والفتوى، وأثر البحث في المنقول عمّا يدعم التشريع الجديد والفتاوى في جزئيات الأمور وصغائرها، بحثاً عن تحقيق مواكبة لقضايا العصر، وصار ذلك قناة للظهور إعلامياً في سائر وسائل الميديا، وهو ما قد يساعد أصحاب الفتوى والكلام في فقه الدين ليصبحوا مستشارين ورجال إفتاء ووزراء للشؤون الدينية، وعلماء مرجعيين في الجامعات الفقهية وهيئات التشريع والإفتاء في تونس وخارجها.. وهي مناصب تدرّ ما تدرّ على من نالها، لذلك يشتدّ السعي إليها. ويتقلص تبعاً لذلك مطلب الإخلاص للعلم لذاته، مجرداً عن سطوة الانتماء إلى المذهب. أيضاً يُوهّل الظهور صاحبه في مجال الشأن الديني، ليكون إماماً بأحد الجوامع ويتقاضى منحة الإمامة، حتى وإن كان مدرّساً أو موظّفاً لدى أي وزارة أو جهة حكومية أخرى. من هنا عمّ الانشغال بالفقه والفتوى والتشريع، وطغى ذلك، على علوم الدين ذات المنزعة العقلية، فنجمت عن ذلك حواجز كثيرة أما تجديد الفكر الديني والتطوير في علوم الدين، وجعلها مواكبة فعلاً لروح العصر.

وهكذا، عوض أن تكون المبادرة إلى تجديد العلوم الشرعية والدينية وتجاوز بنيتها التقليدية، اعتباراً لكونها ظلّت منشدة في مستوى الأسس النظرية والمبادئ المنهجية لمعارف صارت تقليدية ولمنطلقات فكرية، تجاوزها نسق المعرفة العلمية في العصر الحديث، بقي الركود والتقليد سمة أساسية تطبع وضع مجال المعرفة الدينية. فمثلاً هم يعتقدون بعلم أصول الفقه ويدرسونه على طريقة القدامى، ويدرسون المقاصد انطلاقاً من لبناتها الأولى التي وضعها الشاطبي، لكن سند علم أصول الفقه والمقاصد بقي متمثلاً في البلاغة القديمة وأرغانون المنطق الأرسطي، وهو ما تمّ تجاوزه علمياً في العصر الحديث، مع ثورة المنطق الجديد وظهور نظرية العلم الحديث. وحيث دحض ظهور علم اللسانيات والبلاغة الجديدة وعلوم النصّ وتحليل الخطاب تصوّرات القدامى حول اللغة، واعتقادهم بوجود فصل بين اللفظ والمعنى والفكر واللغة، وقولهم إنّ النصوص تحمل معاني ثابتة وأحادية يعمل المفسر أو المؤول على الكشف عنها. إنّ ذلك من اعتقادات القدامى من أصحاب الفرق والمذاهب؛ المتحيّزين للطوائف، ذلك مبلغ حدّ معرفتهم في العلم. لقد كان من الأولى أن يتمّ تجاوز المذاهب الفقهية ومقالات الفرق الكلامية بما فيها السنة الأشعرية، إذ ما هي إلاّ بناءات اجتماعية فكرية مذهبية، تحكّمت في ظهورها الظروف والأطر الاجتماعية والسياسية. في حين أنّ حقيقة القرآن أسمى وأوسع من ذلك.

بل لعلّه من العجيب أن نجد اليوم من المدرّسين من يفتخر أنّه على مذهب الأشعرية المالكية أو الحنبلية السلفية، ويرى في ذلك حفاظاً على شعرة الإسلام، لقد فاتته أنّ في ربط الدين بمذهب دون آخر إساءة له وتضييقاً في أمر تفسيره وبيانه، إذ إيديولوجيا المذهب تغدو سيفاً مسلطاً غليظاً يؤدّي إلى حمل الناس على مذهب دون

على هامش ما يطرح حول جهود النخب التونسية في تحديث الفكر والإصلاح ومواجهة دوائر التشدّد والتكفير، وتبعاً للتساؤلات حول موقع الزيتونة وعلمائها وشيوخها سابقاً؛ وكيف «فقدت الزيتونة مكانتها وعزلت نفسها راهناً؟» بدا لي أنّ أفيد بهذا الرأي ضمن ركن «وقفة»، لا سيّما من ناحية ضرورة بيان أهمّ تلك الإشكاليات المحيرة التي تتصل بعلاقة الزيتونة بالثقافة وبإسهام الزيتونيين في إنتاج الفكر والمعرفة وفي إثراء الإبداع الأدبي والثقافي. ثمّ رصد ما حدث من نكوص لاحقاً.

أولاً تجدر الإشارة إلى التباين الصارخ بين زمنين بخصوص علاقة الزيتونة بالثقافة وإنتاج الفكر والعلم في العصر الحديث: زمن مجد وعطاء وإشعاع، تجسّم في إسهام خلاق في إثراء الثقافة والفكر والأدب لاح من خلال أعمال الشيوخ الأعلام، من ذلك كتاب الشيخ العلامة محمد الفاضل بن عاشور «الحركة الأدبية والفكرية بتونس»، ومقالات أخرى، أيضاً إسهام والده الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور، في تحقيق نماذج من عيون الشعر، ومنها «ديوان بشار بن برد» و«ديوان النابغة الذبياني»، وتأليفه «موجز البلاغة العربية». وقد نسج على هذا المنوال تلميذاهما الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة فأخرج تحقيقاً ودراسة كتاباً من أبرز مصادر البلاغة العربية، وأعني «منهاج البلاغة وسراج الأديب» لحازم القرطاجني... وظهرت في السياق نفسه ظهرت ذوي التكوين الزيتوني جهود محمد الحليوي، ومحمد صالح المهدي والشيخ محمد العربي الكبادي وزين العابدين السنوسي والشيخ مختار بن محمود وأيضاً الأديب (القاصّ والروائي) الباحث الكبير محمد العروسي المطوي الذي تحرّج من الزيتونة مدرّساً للتاريخ وله كتاب في «تاريخ الدولة الحفصية»...

وظهر ذلك أيضاً عبر التأليف في فنون أخرى كالمرسح والشعر الغنائي والبحث في الفنون؛ تجسّم في ما ألفه الصادق الرزقي ومحمد بن عثمان الحشائشي ومحمد الحبيب المحامي وأحمد خير الدين والطاهر القصار، وقد جرى ذلك بالتوازي مع الاضطلاع بمهمّة تدريس العلوم الدينية (علم أصول الدين والعقيدة والفقه وأصوله والتفسير وعلومه والحديث وشروحه والقراءات ورواياتها...) أيضاً التأليف فيها. وزمن ثانٍ بدا للظهور منذ عشرية الثمانينات، حيث لم يعد الزيتونيين مشاركين في عالم الأدب (الشعر، الرواية، القصة، المسرح...) وفي الثقافة وإبداع الفنّ أو الإسهام في نقد الأدب والفنّ، إلاّ نادراً.

لقد مثّلت أيضاً عشرية الثمانينات علامة فارقة في تاريخ جامعة الزيتونة بخصوص العلاقة بإنتاج الفكر العميق والثقافة الجادة، حيث تواصل إلى حدود هذا الفترة العطاء الإبداعي الثقافي الثري المفيد للزيتونيين العلماء الأديب الذي انفتحوا على الحياة والثقافة، وآمنوا بأهمية المشاركة في دوائر إنتاج الأدب والفكر وإثراء حقول البحث العلمي المفيد. من خلال نماذج: محمد الحبيب الهيلة الذي برع في التحقيق، فأخرج دراسة وتحقيقاً المصدر النفيس «الحلل السندسية في الأخبار التونسية» للوزير السراج، و«نوازل البرزلي»، وفتاوى عظيم، وكتاب «الأجوبة». وله دراسات مهمة منشورة بمجلة السيراس (CERES) أيضاً له بحث نموذجي حول الإمام أبي الحسن الشاذلي.

في السياق نفسه تميّز علي الشاذلي بدراساته حول الفلسفة وعلم الكلام والتصوّف والمنزعة العقلية في الأدب العربي القديم. أيضاً تجدر الإشارة إلى أعمال التوهامي نقرة، حول «تأويل القرآن» وفي «سيكولوجية القصة في القرآن»، وحوار الأديان الحضارات. وظهر في الفترة نفسها محقق آخر بارع هو الطاهر المعموري الذي أجاد في تحقيق «الشهب المخرقة» لأحمد برنانز، و«ذيل بشار أهل الإيمان»، لحسين خوجة، أيضاً كتابات حميدة النيفر وإن يراها بعض لصيقة بتيّار إيديولوجي ديني معيّن.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه برز في مجال التحقيق لدى ذوي التكوين الزيتوني، العلامة الواسع الاطلاع إبراهيم شبح، أيضاً محمد العنّابي ومحمد ماضور وعبد اللطيف منصور. من ناحية أخرى نجد مشاركة مهمّة للشيخ محمد المختار السّلامي الذي

مهذب الرميلى لـ«الشارع المغاربي»:

زي تلاميذ «فلوجة» أقرب الى الزي الماسوني وأتمنى أن يُفتح تحقيق في الغرض

حاورته : عواطف البلدي

لا تخلو حواراته وتصريحاته من إثارة الجدل والاستفزاز.. يرى نفسه صادقا ويرونه مستفزا ولا يدعم زملاءه.. في غيابه حضور وفي صمته رسائل مشفرة وفي تدويناته سخرية وكوميديا سوداء.. كلما نشر واحدة إلا وكانت حديث الإعلام وأهل الفن... ممثل يغرد خارج السرب لا يعجبه العجب ولا صناعه... مرتب ومواطن وفنان صاحب رؤية وحامل مشروع يؤمن بأن الفن رسالة هدفها الأساسي الالتحام بالشعب حد الانصهار.. الممثل مهذب الرميلى فنان غرامشي الفكر والهوى.. منذ ثاني أيام رمضان أطلق سهامه مستفزا ناقدا منتقدا ومحققا للمسؤولية لأبناء القطاع حتى لا نقول زملاءه الذين لا يعترف بزمايلهم.. أسبوعية «الشارع المغاربي» حاورت الرجل وبحثت عن نقاط ضوء تشفع عنده للأعمال الدرامية ولمن شارك بها..

التكالي أو سوسن الجميني؟

لا بالعكس سوسن مخرجة مهمة جدا ويمكنني ان أكون معها في أعمالها شرط ان تكون في المستوى ..

هل نعاني من مشكل اخراج ام سيناريو؟

ثمة مشكلة صغيرة بالاخراج لان كل المجالات مرتبطة ببعضها لكن الازمة الكبرى تتعلق بالسيناريو.. في الإخراج لاحظنا نقصا على مستوى النضج لدى البعض ومراهقة في الإخراج لكننا نلتمس لهم العذر لانه ليس لدينا انتاجات كبرى كما ان عمل المخرج الأول او الثاني او الثالث لا يوضح لنا بطاقة تعريفه. إضافة الى عوامل أخرى كضغط الوقت وقلة الإمكانيات.. كل ذلك يؤثر على العمل الفني.. ما معنى ان تطلب من مخرج تصوير عمل بـ "زوز فرنك" أو قبل شهرين؟ حتما سيجد نفسه في ورطة..

ماذا عن بطاقة تعريف الاعمال الدرامية هذه السنة

هل عدلت مواقفك منها بعد بث كل هذه الحلقات؟
انا قدمت رأيي بغض النظر عن الأشخاص .. وهذا من واجبي طبقا لقبعات ثلاث: أولا قبعة المواطن الحر الذي من حقه ان يعبر عن رأيه بصفته مستهلكا هذه المواد.. ومن واجب أي مواطن ومن حقه ابداء رأيه في ما يستهلك... ثم قبعة الأستاذ والمربي الذي لديه مسؤولية تربوية تجاه جيل معين واليوم من واجبي ان احصن تلامذتي بشكل او بآخر حتى لو بقيت انا الحصن الوحيد.. وثمة أيضا قبعة الممثل صاحب الرؤية النقدية والذي ينتمي للفن قبل القطاع لان القطاع لا يعينني... انا صاحب رؤية وتصور..

قلت في ثاني أيام رمضان "من قفتو نعرف عشاه" ..

هل تغيرت القفاف بعد كل هذه الحلقات؟

تأكدت مواقفك لانه ثمة أشياء لا تفوتنا.. نحن نعرف

وهل انتصرت؟

حاولت لانني مطالب بالقول لدفع المنكر .. ان لم تستطع بذراعك فبلسانك.. وانا حاولت بلساني ..

لم تجب عن سبب حضورك المكتف إعلاميا اكثر حتى ممن شاركوا بالأعمال الدرامية...؟

هذا يعود الى الفراغ الموجود.. ولو كان المشهد الإعلامي يضجّ بالأعمال الدرامية لما وجد مهذب الرميلى مكانا.. وبما انه ثمة فراغ وجدت مكانا.. يبدو لي أحيانا ان المشكل في الغياب وليس في الحضور وانه عندما يتم تغيب شخص ما يجب ملء مكانه والا يظل مكانه شاغرا..

افهم من كلامك انه لم يتم ملء مكانك ؟

لست وحدي ثمة أسماء كبرى لم تحضر هذه السنة. من تحديدا؟

ممثلو "نوبة" و"حرقه" جميعهم عُقبوا.. علما ان هذين العاملين من افضل الاعمال الدرامية المنجزة في السنوات الأخيرة .

غاب عبد الحميد بوشناق فغيب فريقه وغاب لسعد الوسلاتي فغاب معه فريق "حرقه" .. هل يقصّي الممثل عندما يغيب المخرج الذي يتعامل معه وهل يشتغل الفن بمنطق اولادي واولادك؟

ممكن.. ولكن الممثل ليس ابن احد.. على الأقل اتحدث عن نفسي.. "انا ماني متاع حد" .. منطق خاطئ للأسف ونحن لا نشغل بالمقاولات.. ولكن ذلك أيضا يعود الى قلة الاعمال التي لا يمكن ان تستوعب كل الممثلين ثم أيضا نوعية الاعمال التي لا يمكن ان تستوعب كل الممثلين . الاعمال التي تابعناها هذه السنة لا تتناسب مع ممثلين معينين.. كذلك المخرجين.. ليس جميعهم يمكننا التعامل معهم..

هل يعني أن مهذب الرميلى لا يقبل التعامل مع ربيع

"لعلّي هذه السنة نجم بالغياب " تصريح يلفت

الانتباه وي طرح أكثر من تساؤل لو توضح اكثر..؟
اعتقد أن ذلك يدخل في إطار ثقافتنا بمفهوم تحضير الأسياد حيث نقول يا سيدي فلان احضر لنا... يبدو لي أنهم أحضروني بهذا المنطق..

لكن مفهوم "تحضير الأسياد" في المخيال الجمعي يُحيل إلى طلب الدعم والشفاعة وما الى ذلك..

وهو كذلك هؤلاء أحضروني حتى أشفع لهم وفيهم خاصة وان اسمي على اسم ولي صالح..

فيم يحتاجون شفاعتك ؟

ربما لأمنحهم الاحقية التاريخية.. مهم جدا أحيانا أن يدون شخص ما في مذكراته ان مهذب الرميلى انتقده في نقطة ما..

وهل ترى ان ممثلا بلغ من النضج ومن التجربة ما بلغ وقيل بدور في عمل ما مقتنع بذلك او مخالف لقناعاته سيهتم بهذه الانتقادات؟

هذا اذا كانت لديه مبادئ وقناعات... انا تحدثت معك بلغتهم.. ليس لدي ما اجيب.. فقط انا قدمت رأيي من باب المسؤولية.. ثم انني اتحدث بمنطق الاختلاف في الأصل واتعامل بمنطق الفن بينما هم يتعاملون بمنطق الميدان والقطاع (أولاد دومان) الذي لا يخلو من فكر العصابة.. ويمكن العثور على هذا المنطق القطاعي في كل القطاعات الا بالفن .. ثم ان منطق الزمالة في الفن لا يعني لي كثيرا..

ماذا تعني لك عبارة "انصر اخاك ... " تجاه زملائك؟

لنكمل الحديث أولا : قال رسول الله ﷺ: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره" اذن انا نصرتهم عن الخطأ الذي يسرون نحوه..

فهو شخص "يفرهد" الناس ولا علاقة له بالفن الذي يتجاوز المعرفة الى انتاج المعرفة والفكر البديل.. ربي "معاهم" ..

لماذا قلت انه لديك حساسية من النخبة؟

النخبة أذوبة كبرى .. النخبة هي التي تقود فهل لدينا نخبة تقود؟ هل لدينا اليوم نقاش فكري حقيقي يُطرح ويشرك الشعب ويتدخل في خصوصيات المجتمع؟ اذا لم يكن الفن انعكاسا على المجتمع لا يسمى فنا ولا يوجد فن للفن لأن الفن مستفعل في الوقائع واذا لم يغير من وقائع البلاد فلا معنى له..

قيمت الاعمال الدرامية مجتمعيًا وما يمكن ان تبثه من رسائل مشفرة وصفتها بالخطيرة على المجتمع .. هل تحدثنا عن تقييمك لها فنيًا؟

لا يمكن الفصل بين المجتمعي والفني ... الفصل تقنيا فقط لان المحامل الفكرية تدخل في أسس البناء الدرامي للعمل الفني ولان الموضوع هو عنصر أساسي في تكوين فكرة السيناريو الذي يتضمن بدوره 6 عناصر اساسية تنطلق بالفكرة ثم الموضوع أي الخطوط العريضة للفكرة ويضم أيضا الشخصيات الذين يمثلون محامل تلك الفكرة ثم نجد الحوار الذي يدفع الاحداث ثم نجد الصراع بين الخير والشر ثم الحكمة التي تجمع كل العناصر السابقة بمنطق من السبب الى النتيجة.. هذه العناصر الستة يجب ان تتوفر.. للأسف نحن اليوم نتعامل معها بعيدا عن حمل هذه العناصر معانيها الحقيقية.. لدي سؤال بالمناسبة لجميع السيناريست الذين كتبوا هذه السنة.. ما معنى ان تكون الشخصية مشروع فكر؟ وسوف انشر تدويته اعتذر فيها لهم عن كل ما قلت.. حتما لن يفهموا سؤالي لأنهم يكتبون اعتباريا يكتبون حدوتة مثل جدتي وان كانت جدتي افضل منهم حكيا..

وهل مهمة الفن نقل الواقع؟

خاطيه الفن... مسكين وبريء من هذه التهمة لم يوجد لنقل الواقع وحتى مدرسة الواقعية لا تهدف الى نقل الواقع وانما نقل الواقع كما يجب ان يكون.. ما معنى نقل الواقع هل نحن بصدد اعداد ريبورتاج.. اذا اردنا نقل الواقع نضع كمييرا خفية في قسم لانه بمجرد ان يرى التلميذ كاميرا لن يكون تصرفه واقعيًا ... دور الفن اذن محاورة الواقع وليس نقله.. وما معنى نقل الواقع هل يعني ان الممثل سيمثل اكثر من الحقيقة؟ طبعا لا.

هل القناة الخاصة مطالبة بتقديم عمل فني فكري مثلما تقول والحال ان غايتها ربحية بالأساس؟

في كراس شروط القنوات الخاصة ثمة بند يقر انه لا يجب ان تكون ذات غاية ربحية.. والا ما الفرق بينها وبين معمل لتصنيع الطماطم المسرطنة؟.. لا فرق بينهما.. الأول يستهلكه الفكر والثاني يستهلكه الجسد.. نحن للأسف نتعامل مع المواطن التونسي مثل خروف العيد "نُقْرَنُو فِيهِ" وهنا استغرب عدم تدخل منظمة الدفاع عن المستهلك في الاعمال الدرامية... والا فلنغير تسميتها لتصير منظمة الدفاع عن المستهلك في الاكل لان المستهلك الذي تتعامل معه ليس خروفا ..

بعيدا عن الانتقادات الا توجد نقاط ضوء في كل هذه الاعمال؟

ثمة طاقات جيّدة لدى الشبان (تلاميذ عمل فلوّجة) ورغبة كبرى رغم انهم ليسوا من اهل الاختصاص ويبدو انهم تلقوا تكوينًا جيّدًا من حسام الساحلي الذي اشرف على ادارتهم ووظّف طاقاتهم تلك توظيفًا إيجابيًا، وان كنت تأسفت عندما شاهدتهم.. وددت لو كانوا بين اياد امينة اكثر على مستوى فكرة العمل.. سمعت بعض حواراتهم وتأسفت أكثر عندما سمعت احدهم يقول "ما تحكّموش على الظاهر ومش مهم المساحيق والوشم والاقراط واللباس المهم ان تتعاملوا معها كتلميذة) ... بمعنى اننا يجب ان نبرر هذه



• سوسن الجهني مخرجة مهمة جدا وفتحي العكاري مبدع حقيقي

• استغرب عدم تدخل منظمة الدفاع عن المستهلك في الاعمال الدرامية

• نصر الدين السهيلي أنقذ نفسه من "الجبل لحرر" وأداؤه كان جيّدًا

• حسام الساحلي لم يحترم نفسه عندما خاطبني بمنطق الحمام ومصطلحات محمد السيارى متاع فخرًا مع احترامي للخضارة



الممثلين... لا اعتقد ان تعبهم يرتقي لحجم تعب راقصة بكباريه .. مسكينة تتعب وتغرق وتقفز من طاولة الى أخرى فهل نقول عنها هي أيضا إنها تقدّم فنا راقيا؟ مؤكّد لا .. التعب شيء والمنتج شيء اخر.. اقدرّ عامل الوقت وضعف الإمكانيات.. لكن كل ذلك لا يبرّر "يا تعمل يا ما تعملش" .. ثمة مسؤولية تاريخية.. يعني ان هؤلاء ينقلون ذلك الفيروس الى الشباب ثم يبررون نواياهم على أنهم لم يقوموا بذلك عن قصد وبأنهم اتبعوا سياسة الصدمة في عمل "فلوجة" ومن ثمة يبثون النتيجة نحن أيضا نعتد سياسة الصدمة في الفن وهناك فنان مختص في ذلك وهو يبجي غروتوفسكي وهو ينتمي الى اخر مدرسة في تكوين الممثل اعتمد سياسة الصدمة ويسميه الاقتحام الأخلاقي ولكن مع فئة عمرية معينة وبحضور علماء نفس وفي فضاءات مغلقة ويجهّزهم وفق تمارين معيّنة وباشراف نفسي ... ولكن ان يتم اقتحام نفسي للعائلة التونسية عن جهل فهذا خطير جدا ويمكن ان يهتز لدى أطفالنا ما بنته العائلة منذ سنوات بتعلّة انهم سيوصلونهم الى نتيجة معينة جراء تلك الصدمة.. وهذا لا يعدل الا على شيئين اما استحمار المتفرج او ان أصحاب العمل بلهاء..

لكن الممثل اليوم لا يعنيه دور المصلح الاجتماعي بقدر ما ينتظر من زميله تثمين جهوده او نقده فنيا حول أدائه وحول العمل ككل من سيناريو وإخراج وصورة ... هذا فقط ما يعنيه؟

للأسف الشديد .. اذا كان للفنان مثل هذا الوعي يا خيبة المسعى .. أقول له عد الى مفهوم الفن لان وظيفة الفنان الحقيقية انتاج الفكر الذي يؤسس المجتمع. الثورة الصناعية نجحت في أوروبا لانها سبقتها ثورة فكرية ومن يقود الثورة الفكرية هم المفكرون ونحن فشلنا لانها لم تسبق ثورتنا ثورة فكرية.. المثقف هو المرجع الحقيقي الذي يقود الجميع من السياسي الى رجل الاقتصاد... واذا كان دور الفنان غير ذلك اذن

ونجيد قراءة ما وراء السطور.. مسلسل "فلوجة" مثلا يعتمد كثيرا على مصير ما حدث لبعض التلاميذ (التلميذة التي توفيت بسبب تعاطيها مادة مخدرة) حتى نصل الى نتيجة المخدرات والى اين تؤدي.. ولكن لنرى العمل في المجمل ومن جوانب مختلفة .. عمل فيه تطبيع مع نمط مجتمعي ومخالف تماما للمكتسب الجمعي علما ان ما رأينا بـ "فلوجة" موجود في الواقع ولكن ليس بذلك التكثيف فعندما يكثّف عمل فني ما يحصل في 10 سنوات بالواقع في 10 حلقات مع المبالغة الكبرى وانه اذا كان لدينا أستاذ يقبل ان يتعامل مع أستاذ بذلك الشكل الند للند ويرفع تلميذ يده بوجهه ويقبل فهو لا يشرف قطاع التعليم او على الأقل لا يشرفني كاستاذ .. ثمة مبالغة في تقديم صورة الأستاذ وعندما تهتز بذلك التكثيف .. وحتى العنجهية لدى التلاميذ لأننا رأينا CLOCHARDS DES مع قائدهم (نوح) وبالمناسبة انا احبه جدا وهو شاب خلوق جدا.

وكيف تراه كفنان؟

لفارس عبد الدايم (نوح) طاقة كبرى جدا .. ممثل واعد ويتعامل مع الفن بكل مصداقية ومحبة .. ان شاء الله ربي "يوجهو خير" .. أتمنى ان يشبه نفسه فقط والا يشبه احدا.. نعود الى شخصية نوح اذن عندما نقدم شخصية التلميذ القائد الذي لا يصل الى درجة اعجاب المرابي فحسب بل وقوع الأستاذة في علاقة غرامية معه هذا يعني انه يمثل النموذج الأمثل عند الأستاذ.. وهذه مسألة خطيرة تربويا .. أي عندما "تتخزن" هذه الصورة في لاوعي التلميذ المراهق ستكون النتيجة كارثية.. ولننتظر فقط شهرا بعد انتهاء المسلسل وسنرى النتائج.. فعندما تقدم لنا الجمعي التلميذ الذي يتعامل بندية مع والده وعندما يحضر لوالدته مخدرات وتتستر عليه وعندما يشهر امني مسدسه في وجه ابنه نحن بالضرورة سنطبع مع هذه الصور المشينة التي هي في الأصل تتعارض مع المكتسب الذي لدينا وان كانت هي موجودة بالواقع الا انها مرفوضة.. و"فلوجة" طبع معها وجعلها امرا عاديا.. المصيبة الكبرى التي يعتبرونها انقذت المسلسل هي ذاك التفاعل مع موت التلميذة اثر تعاطيها المخدرات والتي تخفي وراءها تحميل المسؤولية للولي بمعنى اننا هنا نشرع بطريقة لا واعية لما يقوم به التلميذ فنخرجه في شخصية البطل التراجيدي المظلوم والمهمّش الذي لا يحظى باهتمام والديه وهذا يزيد شحنة وطاقة مع ما سيخزن في ل اوعيه حتما سيسبب ذلك مشاكل وكوارث كبرى..

ممثلون غيرك وصفوا الاعمال الدرامية بالتفاهة وبالاستسهال والابتذال ولاموا على ممثلين كبار انخرطهم في هذا الاستسهال .. ومع ذلك لم نر او نسمع ردودا على هؤلاء بحجم الردود التي تتالت عليك .. بم تفسّر ذلك؟

ربما لانه اعتراف ضمني منهم بأهمية رأيي .. صراحة لست مصدوما كثيرا نظرا لانني اعرف خفايا هذا القطاع ولكنني لم اكن اعلم ان ننحدر الى هذا المستوى .. عندما انتقدت وعبرت عن رأيي كنت انتظر فتح نقاش حقيقي بين الزملاء والزميلات حول الاعمال الدرامية كفاعلة في المجتمع في اطار بنائه وخاصة اننا في مرحلة صعبة ونعمل على تأسيس المجتمع وأيضا لمناقشة الصورة وفعاليتها كمحمل ايدولوجي ولنشخص مشاكل الإخراج والسيناريو والأداء .. هذا كل ما توقعت بصفتنا بنائي فكر ولسنا مطالبين بإمتاع الناس ..

ولكن انتقاداتك تلك اثارت استياء بعض زملائك ان لم نقل اغلبهم؟

لهؤلاء أقول انا "مانيش" زميلكم..

باستثناء معز القديري لم ينصفك احد منهم على ما اظن وهناك من اعتبر رأيك متخلفًا؟

لست وزارة الشؤون الاجتماعية حتى اقدرّ تعب

ذلك يتناولون.. وأتأسف جدا خاصة اذا لم تتوفر فيهم ممتلكات الجدل.. انصحهم يمتثلون ويصمتوا فقط بكل حب وترفح عن الإجابة عليهم وانظر اليهم بعين الرحمة.. هناك أشخاص لا يمكنهم التكلم ، لديهم قليل من المهوبة يقومون بالتمثيل فقط ، والبعض منهم كانوا من تلاميذنا وكانوا يستشيروننا في الأدوار الصغيرة التي يقومون بها وحز في نفسي كثيرا بعض الأشخاص

لو تذكر لنا بعض الاسماء؟

المنصف العجني مثلا واحد من بين الهواة الذين كانوا يستشيرونني وأشجعهم غير أنه تحول فجأة .. وأستغرب نقده لي.. أعرف الرجل من قبل وهو شخص طيب ومتواضع وممثل رائع ولديه طاقة رائعة جدا غير أنه كان أقل من مستواه في هذا المسلسل .. الحكاية لها علاقة بالسيناريو وربما لأنه انساق وراء الكلاشات. اصبح ينقدني وهو من أكثر الناس الذين شجعتهم ولكنني اتنزه عن الإجابة لأن الرجل "ما يجمعش" وأنا أعرف مستواه الثقافي وكان عليه التزام الصمت.. أنا احبه في شخصه ولكن استغربت دخوله مجالات اخرى غير أنه وجب عليه أن يكون خصما كفاً على الأقل لآتمكن من الرد عليه .. أنا أمد يدي إليه وأحاول ايقافه وأتجاوز وأقول له "اذهب فأنت طليق" .. أستغرب لماذا لا نستحي ولا نقدر بعضنا ؟ أنا اليوم عندما اقف أمام فتحي العكاري لا يمكنني أن أرفع عيني في حضوره لأنه استاذي رغم أنني أختلف معه على المستوى الشخصي 180 درجة ولكنه استاذي و80 بالمائة من الممثلين التونسيين الموجودين مروا من بين يديه وهو من عام 84 يدرس في المعهد الأعلى للفن المسرحي اختصاص تكوين الممثل أجيال وأجيال مرت من يديه وليس هناك ممثل أكاديمي في تونس لم يدرسه وهو المدرس الوحيد المختص في تكوين الممثل ثم يظهر ممثلون ممن علمهم الوقوف على الركح ليتعاملوا معه بندية غير أنهم على الركح لا يستطيعون الوقوف معه أصلا.

كيف ينظر الفنان الى واقع البلاد السياسي؟

نحن في مفترق طرق حقيقي وفي أشد وأخطر المراحل التي قد تمر بها البلاد ووجب أن نخرج منها بأخف الأضرار.. لا يوجد لدينا مشروع حقيقي وواضح .. حتى إن وجد فهو وهم تصوّر عند القيادة السياسية. يبدو لي أن الملامح غير واضحة حتى عند القيادة السياسية في حد ذاتها فهي تتحسس طريقها والقيادة مسؤولة ... رجاء لا تجازقوا بالبلاد. لا أشك في النوايا، ولكن لا ثقة لدي في المسار لأنه ضبابي كثيرا. أصبحنا اليوم نلعب بالنار والوضع الاجتماعي محتقن فهل المسؤولون واعون؟ وهل أن رئيس الجمهورية واع بأن المواطن التونسي أصبح عاجزا عن العيش في تونس؟ كنا نتحدث في التسعينات عن عائلة متكونة من موظفين عموميين تدخل في خانة البرجوازية الصاعدة غير أننا نتحدث عن نفس العائلة اليوم بأنها عائلة فقيرة... أتساءل كيف بإمكان الرئيس أن ينام؟ وهل هو واع حقيقة بأن المواطن التونسي لا يأكل الغلال؟ وبأنه لا يمكنه شراء أي نوع من الغلال خلال رمضان؟... يقدر ثمن 5 حبات من الغلال بـ 10 دنانير أي ان معدل سعر الحبة بلغ دينارين تقريبا.. المواطن اصبح غير قادر على شراء الغلال فما بالك باللحم.. هل يعي الرئيس أن مرتب الموظف التونسي يتبخر بعد 5 أيام؟

بدأنا نعيش السيناريو اللبناني في صمت لذلك أقول "احذروا هذا الشعب خاصة انه يعاني مشكلة وعي" وقد تكون ردود فعله خطيرة لأنه شعب مراهق يفتقر للعمق ولا يمكن توقع رد فعله.. أنا مع حرية التعبير ومع حرية الشارع وحرية التظاهر لكن دائما مع المحافظة على المكتسب الجمعي لأن البلاد لم تعد تحتل أكثر.. يبدو لي أن وضعية البلاد أضحت مثل المريض الذي تخلى الأطباء عن معالجته منتظرين موته."



• وضعية البلاد مثل المريض الذي تخلى الأطباء عن معالجته منتظرين موته

• 80% من الممثلين تتلمذوا على يدي فتحي العكاري وكريم الغربي ما يمثّلش أما يضحّكني

• لست وزارة الشؤون الاجتماعية حتى اقدر تعب الممثلين ولا اعتقد ان تعبهم يرتقي لحجم تعب راقصة بكباريه

• فارس عبد الدايم (نوح) ممثل واعد يتعامل مع الفن بكل مصداقية ومحبة ولديه طاقة كبرى ... ان شاء الله ربي يوجّهو خير

• ممثلو "نوبة" و"حرقه" عُوقبوا هذه السنة



وماذا عن "للا السندريلا"؟

شهوة منتجة... ارادت ان تنتج سلسلة وتكون هي بطلتها ربي يعينها.. ماذا سنقيم فيها؟

وهل تابعت اداء التونسيين المشاركين بأعمال مصرية هذه السنة.. عائشة بن احمد وهند ودرّة ورائيا التومي..؟

رائيا أصبحت ممثلة! الفن شيء والممارسة الفنية شيء اخر.. عموما الفنانون والمبدعون الحقيقيون في المجال الفني يعدّون على أصابع اليد الواحدة في تاريخ البشرية جمعاء ..

من هو المبدع التونسي الحقيقي حسب رأيك؟

فتحي العكاري...

قد لا يشاطرونك الرأي..

من؟ تلامذته الذين كوّنهم ودرّسهم .. صراحة استغربت رد فعل كريم الغربي عن العكاري لانني اعرفه على خلق جيد..

هل شاهدته في "سبّق الخير"؟

كريم يضحّكني لكن ما يمثّلش.. كيفو كيف لطفي العبدّي... لكن عندما يتحدّث بمفهوم التمثيل وعن فتحي العكاري استاذاه أقول له لو تعالي الركح امام العكاري انا متأكد انك ستغادره فوراً ولن تستطيع الصمود امامه لحظة واحدة... ربي يهديه.. وعلى كل حال رد العكاري عليه كان مختلفاً واجابه من موقع الأستاذ... ولكنني استغرب حقا ردود بعض الممثلين الهواة الذين تربصوا في وقت من الأوقات وعندي ومع

السلوكات والحال ان للمؤسسة التربوية حرمتها.. الصورة كمحمل أيديولوجي كيف تقرؤها كممثل ومرّب وأي اثر لها؟

الصورة خطيرة جدا اليوم بصفتها محملا أيديولوجيا يستهدف النمط الاجتماعي.. ثمة اطراف مدعّمة وخفية مرتبطة ببعضها البعض منخرطة في هذه المسألة وسنفهمها شيئا فشيئا تصل الى حدود ذلك الزي الذي تم اختياره تلاميذ فلوجة وهو اقرب الى الزي الماسوني وأتمنى ان يفتح فيه تحقيقا.. ويهمني ان توضح لنا الجمني لماذا اختارت ذلك الزي بالذات؟ ولا اظنّها قصدية .. ربّما هي تبحث عن مصالحة بصرية مع الماسونية..

حسام الساحلي قال في تصريح له عنك "انت أستاذ ونحن لا؟" .. بمعنى انك تتحدث بقبعة المرّبي وهم لا. بم تعلق؟

نعم انا الان أستاذ مباشر وحسام ملحق بوزارة الثقافة.. اذن عمليا انا أستاذ وهو لا ولكن ما قاله حسام مردود عليه وليس لدي ما اجيبه فقط تمنيت لو اجابني بمستوى معين هو صديق او شبه ..

قال عنك أيضا "مهذب قاعد يكرّه فينا فيه ولم يحترم زملاءه" ..

بالعكس اعتقد انني احترمتهم وتعاملت معهم بمستوى راق وطرحت جدلية فكرية حول الاعمال الدرامية ولكن حسام الساحلي لم يحترم نفسه معي بمنطق الحّمّام متاع كرهني ونكرّهك ... حبّك يا حسام ما عندي ما نعمل بيه.. حب نفسك كممثل وكفنان متميز وكن في مستوى ما تدّعيه من فن..

محمد السيارى أيضا لام عليك تصريحاتك ووصفها بالرأي المتخلف وقارن بينك وبين نصرالدين السهيلي بقوله إن السهيلي يملأ مكانه اكثر منك..؟

مصطلحات متاع خضّارة مع احترامى للخضّارة .. نملا بلاصتي او هو يملا بلاصتو" هذا يعود الى عين المتفرّج.. واذا كانت عين المتفرّج صغيرة فهي لا ترى الا الأماكن الصغيرة.. للسياري غاية من وراء مقارنته تلك.. ونظرا لانه لا يجيد التعبير سأساعده على إيصال فكرته بطريقة جيّدة .. يا مخرجين سي السيارى أراد ان يخبركم انه بإمكان نصر الدين السهيلي تعويض مهذب الرميلى في الأدوار القادمة التي تتماشى معه.

بعيدا عن هذه المناكفات التي لا تتقدّم بالفن ولا بالفنان ما رأيك في أداء السهيلي في "الجبل لحمر" ؟ انا لا أناكف هؤلاء.. نصر الدين السهيلي ممثل ما احلاه وأدى أداء حسنا .. أنقذ نفسه من ذاك المسلسل.. وهل انقذ العمل؟

لا... ممثل واحد لا يمكنه انقاذ مسلسل... لكل منا خصوصيته لا السهيلي بإمكانه ان يكون مهذب ولا مهذب يمكنه ان يكون السهيلي... سي السيارى من الممثلين الذين كنا نراهم كبارا ولكن للأسف الشديد عندما تكبر ونخوض غمار المهنة ونقترب منهم يصغرون في اعيننا..

وماذا عن بقية الكبار في التجربة حتى لا نقول سنا وابداعا.. كيف كانت تجاربهم على غرار كمال التواتي والهداوي وغيرهما..؟

لكي يبدع الممثل يجب ان يُكتب له نصا جيّدا أيضا ولكن استغرب كيف يقبلون بالمشاركة في هذه الاعمال.. اعتقد ان هؤلاء يمرضون اذا ما شاركوا في عمل كل سنة... يبدو لي أن كمال التواتي خرج بأخف الاضرار في سبت كوم "سبّق الخير" ..

وماذا عن دوره في سلسلة "الكابتن ماجد" ؟

لا هؤلاء بالنسبة لي يكوّرو .. بل بالعكس اسأؤوا لفكرتنا عن كابتن ماجد الذي تربى عليه أبناء جيل وان شاء الله يسامحهم.. عموما ثمة مشكلة بصفة عامة حول الكوميديا في تونس التي لم نفهم الى اليوم ان غايتها ليست الاضحك وانما هي وسيلة.. لكن ذلك لا ينفي ان "سبّق الخير" اضحكنا قليلا..

حسن بن عثمان صاحب مشاكس لا يسكت...

كمال العيادي (الكينغ)



...ثمّة شيء ما مُربك في هذه الصورة التي في ذهني عن حسن بن عثمان... هي صورة بالابيض والاسود، شيء ما، ثابت لا يتحرك في وجداني عنه وتجاهه، صورة لا تتغير وهي غير كلّ ما تُظهر من وسامة ووضوح ملامح الصديق حسن بن عثمان المتأرجح، وعلى مضض، بين أول رُمانة الكهولة المتماسكة الحَبّات، وعنقود عنب آخر عتبات الشباب الحامض اللاسع، وليس فقط، بسبب حمرة وجهه، التي لا نراها على كلّ حال وبالذات في هذه الصورة المثبتة للتضليل على ثنائية التقابل بين الأبيض والأسود، وليس لأنه كما يعرف الجميع من المقربين، ويخمن الأقلّ قربا وجمعا، مخماخ سمك لا يُشَقُّ له غبار، ككلّ الصقالبة، ممن أورتهم البحر شبابا ونضارة لا تخون، ودلهم ببذخ، ودون تقتير، ولكن، أذهب في ذلك، إلى أن شحنة الإثارة تكمن بالأساس، في ثنائية التقابل والتبادل الغريب بين الصورة وصاحبها: ...في الصورة، ثمّة فم بريئ صغير مزموم كلوزة مقشرة في قطنه معطره، وهو في الحياة غليظ، صاحب مشاكس لا يسكت إلا لينام أو ليتبسّم أو ليكشّر كاشفا عن اسنان اصطناعيّة، لكنّها ضاربه. وفي الصورة عينان هادئتان مُنسجمتان، حالمتان، مُستعطفتان، مُعتذرتان، وهما في الحياة نِشابان وشفرتي حلاقة ألمانية تسلخان، كلّ على حده وكلّ بؤبؤ يحوط اتجاه ويكفي شرّه وجرّه، وهما ينجزان ذلك في عشر ثانية، بدون بسملة. وفي الصورة كَفّان، ودين ربيّ، كما أرى، رابضتان ناعمتان ناعستان في حُدر رومنيّ كجناحي يمامة في فجّ حائط قصر دمشقي محميّ. وكلاهما في الحياة، هههه، زلّاط وهراوة يلوّح بهما بغضبة الاعراب حين يُستفزّ...وما أسهل أن يستفزّ...ولعلّ أشهر مرّة شهرهما، وبانتا لكافة الشعب التونسي، المُتعثّش، المتابع للمواقف المُشرّفة والمناجع، هي يوم هروب الرئيس السابق، وقبل إعلان ذلك بساعة وكان حسن بن عثمان والصديقة الشاعرة جميلة الماجري في لقاء مباشر على الهواء... وكان الزين (ساعتهمذّن) يزهر كالديناصور، جريحا في بهو القصر، والبوليس المحنك مع ورود أمن الدولة الطيبين، والمتخصصين في النفخ والفش والضخّ والبخّ وسلت المخّ. بدون شفت طبعًا، على بعد خطوتين منه، عند باب

واستحضرت الوسواس الخناس بعدما كان الحال لاباس، ولذلك، أيضا، فهو يعاشر كلّ الفصائل الممكنة، في نفس الوقت وبنفس المعنويات المرتفعة، فيمكنه مثلا أن يلعب طرح شبكة مع غابريال ماركيز أو كافكا المعلول، المتجهم في الصباح، ويقرأ حذك اليوم، في جريدة توزع في كشك واحد بالمساء، عند عمّ خليفة بوراس، ويمكنه أن يجالس الحكيم العليم العظيم ساعة إلا ربع (هوّ قلوب ولا يطيل جلسة جادّة)، ويكمل الربع ساعة المتبقية، مع ما تبقى من الصباح، مع فصيلة وباندي وضارب ثلاثة فالיום وشطر مرناق، ويتثاءب كالورّل لنقص في الدوزة... هو بصراحة شبيه بمصنع صباغة والألوان في سوق رحبة القيروان. وولن يتعب مخه، ولن يفكر طويلا لو حدث وان سالتة بمكر، عن لون معين..مهما كان...سيمزمز لك شواربه الصقالبية ويجيبك: - قداش من رطل خويا تحب من لونك المفضل، يصلح حالك وبيبارك فيك وعليك!!؟؟!.....

مبنى الإذاعة والتلفزة... وثمة في الصورة أذنان راقدتان في الخطّ...وهما بابوشتا خط اتصالات مستقل عن الدولة والمعارضة. تسجلان دبة النملة وتحولانها بقدره قادر إلى ذبذبة أعلى من صرير بوق نداء الفرع أيام الحرب الألمانية في قلب برلين...الحاصل، مشكلة. فكيفما تقلّبتة، ستجده يتلظى، حَيّ (يتبرصص كي السردوك العربي...)... تظنه ناعسا مثل فكرون، وتمد يدك تجسه، يوليك تمساح أمازوني من ذلك الذي يبتلع بقرة في رشفه ويفكر في العجل الذي وراها.....عموما، وعلى السريع، أعتقد أن التقابل يكمن أكثر من كل ذلك، في نسيج اللون هنا وتوزيعه، ففي الصورة نكاد لا نرى غير الأبيض والاسود...وضربة فرشاة حمراء دخيلة، وفي الحياة هو مزيج عجيب U منفتح، ومتنوع ويطور أدواته، وهو يعيش ما يكتب وكأنه احد شخوص رواياته نفسها، يمكنه أن يكون حقيقة، كما يمكنه ان يكون أشبه بالحقيقة يعربد خارج فصل من فصوله، أو قصة من قصصه الفصوص التي ضيّعت عباس وأذهلت الناس

من ذاكرة مدينة القيروان : طبال السحور في رمضان

نجيب زروق باحث من مدينة القيروان

في إطار حرصنا على تجميع الذاكرة القبروانية الذي بدأناه منذ مدة وحتى نوثق تلك اللحظات الزمنية الفارقة التي عاشها أجدادنا في الماضي نواصل في هذا المقال التطرق إلى موضوع طريف وهو طبال السحور في شهر رمضان وهي عادة من تراث الأجداد ذات تقاليد عريقة بقيت راسخة في ذاكرة مدينة القيروان .

ومع حلول شهر رمضان يصبح الطبل [الطبل من الآلات الإيقاعية وهو عبارة على برميل خشبي دائري من ثلاث قطع وشدت إلى فوهتيه قطعتان من جلد الماعز بواسطة إطار من الخشب وحبل من القربن ويعلق الطبل في عنق العازف بواسطة حزام يشد إلى حلقتين معدنيتين (1) ويقرعه بواسطة عصوين يعرف الأول بالذبوس لإصدار صوت الدم وهو الوقت القوي والثاني المطرق ويصدر صوت التاك وهو الوقت الضعيف ويستعمل الطبل في النمط التقليدي الشعبي المتداول في بلادنا] آلة أساسية حيث يقوم بدور إيقاظ النائمين لوقت السحور لقيمة هذه السنة الحميدة التي أكدها الرسول صل الله عليه وسلم بالقول : (تسحروا فإن في السحور بركة (2)) وهذه الآلة في الحقيقة قديمة عرفها المجتمع الإسلامي حيث عرف باسم بوطبيلة أو المسحراتي كناية عن وقت السحر من الليل ، ويقال أن الصحابي الجليل بلال بن رباح وهو أول مؤذن في الإسلام كان يوقظ الناس وكان الرسول صل الله عليه وسلم يقول إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم (3) وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال له : أصبحت أصبحت ، والمقصود ينادي بليل أي يؤذن أي قبيل الفجر وقوله أصبحت أي دخلت في الصباح والمراد هنا أول الصباح ...

أما أول مسحراتي حسب المؤرخين إستعمل الطبل هو عنيسة بن إسحاق وذلك بمصر في عام 228 هـ حيث كان يذهب ماشيا من مدينة المعسكر في الفسطاط إلى جامع عمرو بن العاص وينادي الناس بالسحور ويعتبر والي مصر إسحاق بن عقبة في العصر العباسي أول من طاف على ديار مصر لإيقاظ أهلها للسحور سنة : 238 هـ ، ويقال أن هذه العادة إنتقلت إلى المغرب العربي بشمال إفريقيا في عهد الدولة الفاطمية التي إتخذت من القيروان عاصمة لها ثم بعد ذلك المهديّة ، ومع العهد الحفصي تم إستعمال آلة البوق في آخر كل ليلة من ليالي شهر رمضان لتنبية السكّان لوقت السحر واشتهر أمرها ببقية المذن مثل مدينة القيروان (4) وقد إتفق أغلب الفقهاء ومنهم ابن عرفة على استعمال آلة البوق بإعتبار أن تلك الأبواق تحدث صوتا منبها لاصوتاً موسيقياً وبالمنظر إلى نفس ذلك الإعتبار تم تبرير إستعمال آلة النقارات في المسجد الأعظم بتونس (5) وبقيت هذه العادة سارية المفعول كما يقول المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب إلى أن أبطلت في العصر التركي وعوّضت



طبل

بإستعمال الطبل (6) .

وهكذا يبدو حسب المؤشر المذكور فإن الطبال أو المسحراتي كانت إنطلاقته منذ العهد العثماني في مدينة القيروان وسائر المدن التونسية الأخرى ويجب أن نذكر كذلك عادة المدفع بالمدينة الذي ينطلق من البريجة معلنا بداية الإفطار عكس الطبال فهو يقوم بتنبيه الناس لوقت السحور أي قبل وقت الإمساك والإثنان لاغنى عنهما في شهر الصيام كتقليد متبع ، وأما عن أجواء ليالي رمضان في القيروان في ماضي الزمان فيخبرنا السيد : صلاح كركود (شيخ الطريقة العلوية بمدينة القيروان وطبال سابقا) الذي نتوجه له بشكر خاص على قيمة المعلومات التي أمدنا بها يقول متحدثا عن الأجواء الممتازة التي عاشها آنذاك يقول : كان شهر رمضان يتميز بطعم خاص حيث يستقبله أهالي القيروان كجل التونسيين بالحفاوة والترحاب وتزيين المساجد ويتوافد الزوّار زرافات ووحدا على المدينة من مختلف البلدان والجهات وينزل بعضهم ضيوفا عند القراوة حيث يقومون تجاههم بواجب الضيافة وتفتح كذلك الزوايا أبوابها أين تقام فيها الإحتفالات الدينية وتغص المقاهي بالرواد مثل مقهى حسنات ومقهى عزّاك وغيرها من المقاهي المنتشرة بكثرة بالمدينة .

ويضيف أنه في الليلة التي تسبق شهر رمضان كان والدي السيد محمد كركود يرسلني إلى حيث يتجمع الطباله بمدينة القيروان أمام منزل الشيخ صالح الجودي (في المدينة العتيقة) ليحدد لهم التوقيت الذي سيأشرون فيه مهامهم ويكون في العادة قبيل الإمساك بساعتين وكانت الدولة تشرف على تنظيم هذا القطاع ويقوم الوالي المدينة بتعيين أمين الطباله ويطلق عليه كذلك (باش طبال) (وقد تولى خطة أمين طبال في السابق السيدان : الحبيب بوحولة مع السيد : الناصر الورتاني وكان والده الأمين الورتاني قد شغل هذه الخطة سابقا) وهو مكلف بمهمة تنظيم الطباله وتعيين كل طبال على الحي الذي سيتولى فيه مهمة إيقاظ الناس للسحور طيلة شهر رمضان المعظم وقد أمدنا مشكورا بوثيقة تقسيم الأحياء على الطباله خلال شهر رمضان المعظم بمدينة القيروان لسنة 1957، وأفادنا أيضا أنه من العادات التي كان معمولا بها في السابق أي قبل يوم من شهر رمضان في (سبعينيات القرن المنصرم) حيث يتوجه السيدان : محمد الزريبي وأحمد الحيدري إلى دار الوالي بعد أن يصطحبا معهما آلة الطبل وآلة الزكرة ويكون الوالي في إستقبالهم ليقدم لهم قطع (القاطو) الحلوى ويمنحهم ورقة نقدية من فئة العشرة دنانير وعند عودتهم يغدق عليهم الناس الكثير من الأموال إلى حين وصولهم إلى ربط اللصيص حيث يتم قسمة تلك الأموال بالتساوي بين الثلاثة (السيد محمد كركود والد صلاح كركود) وتكرر هذه العملية أيضا ليلة العيد ومن الطرائف التي ذكرها لنا السيد صلاح أنه في حالة تغيب الطبال عن القيام بواجبه في وقت السحور فإن أهالي ذلك الحي يشتكونه لمعتمد الشؤون الدينية لفوات وقت السحور في ظل غياب وسائل للتنبيه وقتها ، ولهذه المهنة طقوس خاصة متعامل بها وقتذاك لايجب مخالفتها حيث يتم توزيع بداية إشارة الإنطلاق مناصفة بين إثنان من أمناء الطباله آنذاك وهما السادة : الحبيب بوحولة والناصر الورتاني ليلة بليلة ويكون مكان الإنطلاق من حومة الجرابية (ساحة زروق) وحسب الوقت المتفق عليه كما جرت العادة فعلى سبيل المثال يبدأ الحبيب بوحولة في الطرق على الطبل وهي إشارة البداية فيسمعه زميله الأقرب (عمّه الجيلاني بوحولة) المتواجد على مقربة منه في السباولجية أو البلاغجية الذي بدوره يقوم بنفس العملية ويمرر الإشارة إلى زميله في رض بكارة فيسمعه الذي يربط حديد وكل طبال ينتظر سماع الإشارة التي تأتيه من الحي المجاور له وما إن تكتمل طقوس [السماع] حتى ينتشر الطباله بين أزقة المدينة العتيقة وأرباضها رض الحديد والرنان ... وبقية الأحياء مثل المنصورة وطريق حفوز والحجّام وسيدي سعد كل على حده يقوم بالطرق على طبله معلنا على بداية وقت السحور ، وكان الطبال في الماضي أثناء تجواله وعندما يمرّ على المنزل ينادي كل شخص بإسمه «يا سي فلان قوم تسحر الله بباركلك» .



صورة حديثة العازف على الطبل برهان كركود



الطبال (عمر العلوي) يجوب أزقة القيروان بداية ثمانينات القرن الماضي



مخارق وغريبة من الحلويات التي يقدمها الناس كهديّة للطبال أو المسحراتي

432 - 433 ج : 2 نقله إلى العربية حمّادي الساحلي دار الغرب الإسلامي طبعة أولى 1988 .
الهواب ص : 234 ج : 2 مكتبة المنار تونس 1965 .
ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية حسن حسني عبد

وثيقة: تقسيم الأحياء على الطبالة في شهر رمضان بولاية القيروان لسنة 1957

| | |
|---|---|
| أولاً : خليفة الدندان : يبتدىء من زقاق فارس ثم دريبة بورقعة والسبعة لفتات ونهج المنستير ونهج صالح السويسي والقرامطة وينتهي بسيدي الوحيثي . | ثامناً : الكناني الدندان : يبتدىء من نهج التليي والدندان ورياض سحنون ثم نهج بوهرقان . |
| ثانياً : الناصر الورتاني والحبيب بوحولة : يبتدىء من نهج السباولجية وبطحاء زروق وباب القدة ونهج بولقطة وباب الخوخة وشرقي الجامع الأعظم مع السور وينتهي بالملبس القومي . | تاسعاً : محمّد بن الجيلاني بوحولة : يبتدىء من نهج بوراوي القبلي مع طريق الجمهورية ثم الذي يليه الأزقة التي بها وينتهي بنهج عرفة . |
| ثالثاً : محمّد بن عثمان بن الشاذلي المساكيني : يبتدىء من المداسين ونهج مسجد ابن خيرون ومنقاس بن رجب وينتهي بنهج الفارابي . | عاشراً : محمّد بن علي عامر الزريبي : المنصورة ثم طريق أولاد حفوز ثم شارع الجمهورية وينتهي بالطفالة . |
| رابعاً : أحمد الحيدري : يبتدىء من النقاطين ونهج حومة الباي والداروني ونهج سيدي نصر بن العابد وينتهي بنهج الديماسي . | الحادي عشر : الهادي بوحولة : يبتدىء بزقاق عبود ومن هناك إلى نهج قفصة ثم شارع الجمهورية ثم نهج الساقية وينتهي بنهج إدريس . |
| خامساً : الجيلاني بوحولة : يبتدىء بنهج عبد المؤمن والأنصار الأول والأنصار الثاني مع نهج سور القواسم وينتهي داخل باب الشهداء . | الثاني عشر : محمّد كركود : يبتدىء من ربض الحديد ثم نهج 20 مارس ثم نهج الحبيب ثامر ومنه إلى الفرات حي الشرطة نهج صفاقس ثم الهادي شاعر وأخيراً بقية نهج إدريس . |
| سادساً : صالح حمدان : يبتدىء من نهج الصعاديّة ثم الكشافة ثم نهج الزاوية ونهج باب الزكاب والكنابصة وبريدع والرّنان ابن جمعة ونهج عبادة إبراهيم بوصريخ ، نهج قعيب والغرداوي وزواغة إلى خارج صفيحة وبكاره . | الثالث عشر : الحبيب حمريط : يبتدىء من أمام المدرسة الأمينيّة وطريق سوسة ونهج إفريقية ونهج بنزرت وحي الشباب ونهج طارق بن زياد ونهج عقبة بن نافع ونهج 3 أوت وحي سيدي سعد . |
| سابعاً : عقّار المقدولي وصالح علجيّة : يبتدىء من نهج السيوري ، المسلخ البلدي القديم . | الرابع عشر : عبد الرزاق العيدي : الحجّام وطريق الوسلاتيّة . |

قائمة لبعض الطبالة المباشرين حالياً بمدينة القيروان لشهر رمضان المعظم سنة 2023

| الأحياء التي يتواجد بها الطبال | أسماء الطبالة المباشرين | الأحياء التي لايشملها الطبال |
|-------------------------------------|-------------------------|------------------------------|
| حي الجامع | أحمد الحشايشي | حي الحجّام ، المنشيّة |
| حي محمّد علي | عمر العياري | حي السيّد |
| سيدي بوراوي | برق الليل | الأفاهاش |
| سيدي سعد | زياد وبلال حمريت | حي المنصورة ؟ |
| من ربط حديد والبراشنة إلى نهج صفاقس | أيوب كركود | حي طريق حفوز ؟ درغام سابقاً |

من الذاكرة الشخصية

كان الطبال في حومتنا وإسمه عبد الرزاق العيدي يتولى القيام بوظيفة المسحراتي ثم تولى من بعده ابنه الصبحي هذه المهمة حيث كان يجوب أزقة حومتنا (حي الحجّام) كل ليلة قبل أن ينبج الصبح بساعة أو ساعتين تقريبا ، أتذكر عندما كنت صغيرا كيف كنت أستفيق على وقع صوت الطبل القوي وكيف كانت أمي تقوم بتحضير السحور المتكون في العادة من كسكي مع حليب مفور أو مسفوف بالتمر ومن ثمّ الإستعداد لصلاة الصبح...وفي بعض الأحيان أسهر رفقة أولاد الحومة ونحن ننتظر قدوم الطبال بفارغ الصبر لنستمتع بوقع إيقاعه ومحادثته عن قرب .

الموسم

الطبال هو عمل تطوعي بالأساس يقوم به لإيقاض الناس ولا يتقاضى على ذلك أجر مادي من أي جهة رسمية كانت (البلدية أو الولاية) لكنه في المقابل يأخذ من الناس الأموال والحلويات خلال شهر رمضان تكريما له وذلك في أربعة مناسبات ويصطلح عليها (بالموسم) الأول يبدأ من ليلة النصف من رمضان يخرج الطبال بداية من الساعة الحادية عشر ليلا ويتجول من دار إلى أخرى ويعطونه حسب المتاح (كل قدير وقدر) أي ما تيسر من زلاية ومخارق أو أموال الموسم الثاني يبدأ من ليلة السابع والعشرين من رمضان وبنفس التوقيت حيث ينتهي من جولته بين الساعة الثالثة والرابعة صباحا أما الموسم الثالث فهو يوم الثامن والعشرين ويطلق عليه يوم الفطرة حيث يبدأ في التجوال من الصباح إلى غاية المساء وتقدم له زكاة الفطر وهي عبارة على قمح أو سميد أو أموال واليوم الثاني من أيام العيد يكون بمثابة عرس حقيقي حيث يتجول الطبال برفقة عازف على آلة الزكرة ومن ورائه يقف طابور من الصبية يلعبون وفي كل مرة يتوقف برهة من الزمن عند كل منزل لأداء فاصل موسيقي خاص أو ما يسمى (الفصل أو فصل) وهي عبارة على نوبة تكون على إيقاعات طبله ونغمات آلة الزكرة في الأثناء تقوم كل عائلة بإعطائه نصيب من الزلاية والمخارق أو ما تيسر من الحلو العربي المصنوع بأيادي النسوة القيروانيات الحراير كهديّة على خدماته الجليلة وإعترافا له على ما بذله من مجهودات على كامل أيام الشهر الكريم يعود على إثرها إلى منزله فرحا مسرورا بعد أن إمتلأت قفته بما لذ وطاب من حلويات .

في الأخير إرتبط إسم الطبال بمناسبة شهر رمضان المعظم حيث كان يجوب الشوارع ويطوف على البيوت ويتكبد مشقة وعناء المشي لمسافات طويلة عن طيب خاطر دافعه الوحيد في ذلك هو إيقاظ الناس من نومهم ليتسحروا فأى نبل يحمله هذا الإنسان الذي مهما قلنا فيه لن تفي به عبارات الشكر والتقدير حقّه ، أصبح الطبال في وقتنا الحالي مهنة تفتقر إلى التنظيم وتراجع هذا التقليد في مدينة القيروان كما تقلص عدد الطبالة حيث بقي متواجدا في بعض الحوم مثل حومة الجامع وبعض الأحياء القليلة وإختفى الطبال من أحياء وحوم أخرى كانت تشدو على إيقاعه على غرار حومة الحجّام وحومة السيد بل أنه أصبح مصدر إزعاج لبعض الناس الذين أصبحوا يشكون من صوته ومن أسباب تراجع هذه العادة للأسف في شهر رمضان هو التطور التكنولوجي الحاصل في زماننا هذا فقد عوضته أشكال عديدة من وسائل الإستيقاظ مثل الساعة والهاتف والتلفاز ، وحتى يتسنى لنا الحفاظ على عادة الطبال في شهر رمضان وعلى هذه التراث اللامادي الذي يعتبر من مخلفات الأجداد يبقى من واجبنا التمسك بهذا التراث وإحياء هذا التقليد كل سنة في وقت بدأت الكثير من العادات والتقاليد الجميلة في المجتمع القيرواني تسير نحو الإضمحلال وربما الإندثار لا قدر الله والسلام .

المراجع :

- (1) الآلات الموسيقية المستعملة في تونس ص 32 وما بعدها النجمة الزهراء مركز الموسيقى العربية والمتوسطية دار البارون ديرلانجي نوفمبر 1992
- (2) عن أنس بن مالك قال الرسول صل الله عليه وسلم : تسحروا فإنّ في السحور بركة رواه البخاري ومسلم .
- (3) عن عبد الله بن عمر أنّ رسول الله صل الله عليه وسلم قال : إن بلايا يؤذّن بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم متفق عليه صحيح البخاري كتاب الأذان باب الأذان بعد الفجر حديث رقم : 620 .
- (4) المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي ص : 600 ج : 2 .
د. محمّد حسن كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية تونس 1992 .
- (5) تاريخ إفريقية في العهد الحفصي لروبار برانشفيك ص :



بقلم د. الطيب الطويلي

"مع إيقاف التنفيذ"

رواية مسلسل "خاصة بـ «الشارع الثقافي»
تحكي عن بطالة الدكاترة

الحلقة 24 - الأخيرة

فضائح بالجملة، يمكنني أن أزودك بالأسماء وبالفضاعات المرتكبة، يمكنني أيضا أن أعرفك على الطلبة المظلومين، وعلى قادة التحركات النضالية لمقاومة هذا الظلم، تخيلي دكتورا نائما على الرصيف مضربا عن الطعام من أجل لقمة العيش، أكثر من عشر سنوات من الدرس في الجامعة ليكون النكران جزاءهم، يمكنني أن أفتح لك نوافذ للاشتغال على هذا الموضوع.

- أنت منهم؟ أولئك الدكاترة الفاشلون في إيجاد عمل؟

قالت وكأنها تعلن عدم اهتمامها بالموضوع، لو استدارت وصرفت عني تركيزها لن يكون لي مجال آخر، عليّ أن أواصل على الفور، وقلت لها:

- امنحيني عقلك برهة من الزمن، لن آخذ من وقتك سوى لحظة، سأخبرك بكل ما تريدين سماعه، لحظة ندية ينكشف لك فيها ما كان محجوبا، إنك صحفية لامعة، تجيدين فنّ الكلمات، وإنّي العارف بقيمة التي لا تقدر بثمن، أنت كنز حقيقي، كاتبة ألمعية، لكنك منسية في خضمّ المنسيين، هذه الأرض حبل بالعابرة، تدهم ثم تبلعهم في جوفها من جديد، لا يبقى على أديمها إلا المفترسون.

كان الضوء المشعّ من آلة العرض الحائطية جيّدا لأشغل عليه، فطلبت منها أن تطيل النظر فيه: "ركزي مع نقطة الضوء اللامعة تتنهد كضوء الفجر، تدخل إلى أعماق نفسك لتملأها اطمئنانا، أمعني النظر في مصدر النور، النور في داخلك، ستستمعين إلى ما أقول، ستنفذين ما أطلب، يا لؤلؤي المكنون نامي، ولتسمعي صداي في الأحلام."

وبدت نظرتها الساهرة كلوحة بديعة، طلبت منها أن تبقى طبيعياً حتى يحين الوقت الذي أحدد فيه موعد خروجنا وهزّت رأسها موافقة، وبعد لحظات أمرتها بالوقوف ومغادرة القاعة قائلا: "انتظريني في المدخل يا بطلة الحلقة الأخيرة." فوقفت أمامي بقامتها المديدة سادة عليّ منافذ التنفس، وبدوت عاجزا أمامها في جلستي، ثم رفعت عقيرتها بصوت مدوّ كالزلزال: "أصدقت أنك نجحت فيما ترغب؟ حالتك خطيرة أيها المريض." والتفت الجميع لهذا المشهد السريالي الغريب، واستمرت في الإلقاء عرضها أمام شدة جزعي، وددت أن أذوب أو أتبحر قبل أن ألمم ما تبقى من قوّة في جسدي لأتّب من مقعدي وأتّجه نحو الباب.

شعري ورششت عطرا باذخا وذهبت كفاتح يقصد آخر القلاع، دخلت إلى القاعة وتجولت بنظري ورأيتهما جالسة في الصف الامامي، كانت أجمل من صورها، لديها سرّ آخر يجعلها مثيرا للاهتمام، تجلس في ثبات وثقة، حادة النظرات كأنها تُخرج نارا، أو كحقل ملغم تثب الرعب في نفس من يقترب منها. أشعر بخوف يعتريني، ولكن لا بأس، سأقترب منها وأهيتها ببعض الكلمات ثم سأنومها، لن يستغرق الأمر أكثر من دقيقتين.

- أنت؟ مرّة أخرى؟ ألم تقتنع بأنّي لا أرغب في التواصل معك؟

هكذا قالت وهي ترميني بنظرتها المتعالية وأنا أهمّ بالجلوس على المقعد الشاغر حذوها. وكان لإساءتها المجانية أثر أليم في نفسي، فأنا لم أتوجّه إليها بالكلام، كنت فقط أنوي الجلوس.

- المقعد شاغر، وأنا أريد الجلوس في المقدمة لكي أرى وأسمع بوضوح، لم هذا العداء؟ هل سبق أن أذيتك؟ من حقّي الجلوس أين أشاء.

- مائة منك لا يمكنهم إيذائي، طريقتك في الحديث المرة الفارطة لم ترقني، أعلنت رأيي بصراحة، من حقّي الكلام مع من أشاء.

كان رفضها القاطع واضحا، وحاولت تذكّر تفاصيل الحوار المقتضب الذي دار بيننا في السابق عليّ أجد فيه سببا مقنعا لهذا الكره الكبير الذي تضمّره تجاهي. وأشاحت بوجهها عني وغاصت في أشغال الذود ولم تلتفت مجددا.

وأسقط في يدي، لا بد لي أن أدير معها حوارا صغيرا لكي أتمكّن من تنويمها، رفضها لكل أشكال التواصل يجعلني عاجزا، عليّ إيجاد حلّ فوريّ، يجب أن تركّز معي لثوان معدودات، ثم بعد ذلك سيكون الأمر أسهل، وانتهت مداخلة أحدهم فساد الصمت في القاعة برهة استغللت الفرصة قائلا لها:

- أنت تظنين أنني أسعى إلى القيام بعلاقة، ولكن الحقيقة أنني أودّ فضح بعض الحقائق الخفية التي يمكنك أن تنشرها لتنيري الرأي العام، هذا كلّ ما في الأمر.

وبدا أنّ المصيدة نجحت، ظهر عليها الاهتمام واستدارت بكامل جذعها لي، وسألتني دون أن تنزع عن وجهها ملامحها الممتعضة: "عن أي حقائق تتحدّث؟ في أيّ ميدان؟ أنا لست صحفية استقصائية، اختياري لي خاطئ من الأساس."

- لم يكن هناك صحفيون غيرك يومها، كانت فرصة للحديث، وكان صدك خيبة أمل. يمكنني أن أقصّ عليك هذه الحقائق وأنت حرة فيما بعد إذا كنت ترغبين في نشرها أو ترينها بعيدة عن اختصاصك. وبدا عليها شيء من الاهتمام وهي تغرز في نظرتها المتوقّدة، وفكرت في أنها فرصة فريدة متاحة لمزيد جلب تركيزها، وأضفت: "الحقائق متعلّقة بالجامعة،

جالسا على رمال الشاطئ أنظر إلى خيوط الشمس البازغة من وراء البحر الساكن، فجر يوم جديد يلوح ليحمل آمالا جديدة وفرصا لم نكن ننتظرها. طوبى لأولئك الذين يستثمرون الفرص الحقيقية التي تفتح لهم أبواب المستقبل، أمّا الشراك التي أنصبتها والفرص التي أنتهزها، فأراها تزيد قلبي مرضا وتفتح لي أبوابا للجحيم. اليوم أنهيتها، قصة صيد النساء واللهث وراء الفتوحات الوهمية. إنني أرى أنني لم أكسب سوى بعض المغامرات التي يُنسى أكثرها، وقليلًا من القصص التي أكتبها وألقيها على رفّ النسيان، قصص سمعت مثلها أو قرأت شبيهاتها في السابق، كل الأمور تتكرر في الحقيقة، وكل ما يُقال قد سبق له أن قيل، نعيد صياغة المقولات القديمة لتلائم زمننا، وكلّ الأحداث قد وقعت في الماضي ولكن بأبطال آخرين وفي أماكن وأزمنة متفرّقة، مع اختلاف في التفاصيل. ستكون هذه حلقة ختام مسلسل الآلام والليلة الأخيرة في بيت الصياد المسقوف بالقش، ستكون هي فريستي الأخيرة، تلك الناقدة التي رفضتني، أهانت كبريائي وأمعتت في مأساتي وأغرقتني في حزن أبديّ. الرّفص شهادة تصديق على الفشل، أمّا التّجاهل فهو نعيش للإنسان، شهادة وفاة مؤقتة تؤشّر على أنّ وجوده لا معنى له. لقد سلكت طريق الصفع والانتقام، ولا أنكر أنّ ما فعلته قد أكسبني الثقة في نفسي، وقدّم لي ذلك الإحساس بأنني قادر على أن أمدّ يدي لأقبض على أي شيء أشتهيه، ولكن شعورا آخر يراودني يخبرني بأن يدي التي تمسك بما تريد قد تنفجر إلى شظايا وتسيل منها دماء الندم.

ستكون الأخيرة، فكل ما اقترفته من خطايا يرجع إلى خلل نفسي ورغبة دفينّة في الانتقام، ردّ فعل على مجتمع معطوب. هذا الطبع المتلفّ لالتهام ما يعترضني من النساء ليس طبعي.

أردت الدخول إلى حسابها على الفيسبوك لأرى تحركاتها وأحدد المكان الذي يمكنني ان أتقاطع معها فيه فاستقرّ على شاشة هاتفني الإصبع الأزرق الضخم المعصوب ليزكّرني بأنّها سبق أن قامت بحظري وبأنّها طردتني من عالمها شرّ طردة. فلجأت إلى حساب آخر من حساباتي يمكنني عبره ان أتخلص وأرسم مخطط الاقتحام الأخير. دلفت إلى صورها أتأملها، امرأة بسيطة عادية بلا مال أو جمال. فتنتها الوحيدة تتمثّل في أنها قالت لا. الرّفص هو ميزتها. رفعها درجات في نظري وجعلني متيما بها. في الغد ستكون حاضرة في إحدى الندوات لتغطّيها صحفياً، هكذا دوّنت على جدارها الافتراضي، كما لاحظت أنها تدوّن تفاصيل كثيرة عن حياتها وكأنّها تريد ان تخلّد اللحظات وتجعلها عصية على النسيان. تبتغي أن تحفظ ما تنجزه في ذاكرة جماعية، حتى إن كان هذا المنجز كأس شاي تناولته مع أصدقاء.

وجاء الغد مضمّخا بأحلام النصر القادم، صفقت

المؤتمر التأسيسي لرابطة كاتبات افريقيا : من أجل مد الجسور الثقافية بين المبدعات

• الكاتبة فاطمة بن محمود تمثل تونس

الحبيب بن فضيلة

ظلت افريقيا وعلى مدى سنوات لا تمثل سوى ثروات طبيعية مهدورة ولم ينتبه العالم إلى ثقافتها إلا من زاوية فلكلورية تجعل منها ثقافة نمطية مجترة، لكن الادب يفتح نوافذ على الثقافة الحقيقية التي تمثل جوهر افريقيا وعمقها وتنوعها ولذلك تعمل الدبلوماسية الثقافية من أجل الكشف عن الجوانب الإبداعية لإفريقيا المثقفة والواعية المتأصلة في عمقها الاستراتيجي والمنفتحة على الابداع في مختلف انماطه في هذا الإطار شهدت الرباط عاصمة المغرب مؤتمر تأسيس لكاتبات افريقيا تحت شعار «من أجل مد الجسور الثقافية الافريقية». حضر حفل الافتتاح مجموعة من الوجوه السياسية من وزراء وكبار الدولة إضافة الى عدد من سفراء البلدان الافريقية وحشد من الكتاب والمبدعين من المغرب ومن ضيوفها وواكبته عدد كبير من وسائل الاعلام خاصة المغربية.

الديبلوماسية الثقافية هي الحل

جاء تاريخ هذا المؤتمر يوم 9 ماي الذي يلي مباشرة اليوم العالمي للمرأة للتأكيد على دور المرأة المبدعة وجعلها بوابة للدخول الى الثقافة الافريقية ومد جسور التعاون الإبداعي للانفتاح على المواهب المختلفة

بديعة الراضي رئيسة المؤتمر

جمع هذا المؤتمر أكثر من أربعين دولة افريقية من ذلك ليبيا ومصر وموريتانيا والسينغال ومالي وجنوب افريقيا وغينيا ونيجيريا وغمبيا وبوركينا فاسو ومالاوي وسيراليون الخ.. وأكثر من 130 كاتبة من مختلف المدن المغربية وتم انتخاب الكاتبة والسيناريست المغربية



الكاتبة فاطمة بن محمود بمؤتمر الكاتبات الافريقيات التأسيسي

ورصيدها من المؤلفات الذي يناهز 16 مؤلفا في أنماط أدبية مختلفة من بينها «الملائكة لا تطير» و«زمن الغبار» في الرواية و«صديقتي قاتلة» في أدب اليوميات و«ما لا تقدر عليه الريح» في الشعر.

من مشاريع هذا المؤتمر

- تأسيس فروع لرابطة الكاتبات الافريقيات في كل بلاد واعتبار كل كاتبة ممثلة لبلادها رئيسة لهذا الفرع على أن يكون هناك تنسيق متواصل من أجل مواكبة الأنشطة الأدبية وانجاحها.
- العمل على ترجمة أعمال الكاتبات الافريقيات الى لغات مختلفة وتوفير فرصة للعمل الأكاديمي عليها.
- تأسيس جائزة تعنى بالأدب الذي تكتبه المبدعة الافريقية في لغاته المختلفة (عربية وفرنسية وانجليزية)
- توفير منصة للنشر والتوزيع لمختلف أنماط الكتابة والحضور في المعارض الدولية بالبلدان الافريقية.
- التأسيس لإقامة أدبية تتبناها المبدعات الافريقيات أنفسهن بتبادل زيارات ثقافية بين بلدان مختلفة.
- العمل من أجل ان يكون يوم 9 ماي يوم عالمي للمرأة الكاتبة.
- تنظيم موعد سنوي لرابطة الكاتبات الافريقيات تتبناه في كل دورة دولة افريقية.

افريقيا بالألوان

رافق فعاليات هذا المؤتمر تدشين معرض الفنانة التشكيلية والشاعرة المغربية لبابة العليج الذي حمل عنوان «من الظل الى النور» يضم أكثر من 40 لوحة وقد احتفت في لوحاتها بالعمق الثقافي لإفريقيا من خلال رصد وجوه ومشاهد للحياة بخطوط وألوان مختلفة تحتفي فيها بالمرأة الافريقية في مختلف تجلياتها كما حضر المعرض عدد من التشكيليين المغاربة مثل الفنان المتألق رشيد بخوز ووسائل اعلام مغربية.

بديعة الراضي لتكون رئيسة رابطة الكاتبات الافريقيات وهي أحد الوجوه الأدبية والاعلامية البارزة في المغرب ولها إصدارات عديدة من بينها «غرباء المحيط» و«الزنقة 7» كما انها كاتبة مسرحية من مؤلفاتها في المسرح «السيد ميم» و«رجل من الصحراء» و«امرأة» الخ..

فاطمة بن محمود تمثل تونس

عن تونس شاركت الكاتبة فاطمة بن محمود هذه الدورة التأسيسية وقد أعلنت الكاتبة في تدوينتها لها أن اختيارها لم يتم بالتنسيق مع أي جهة رسمية في تونس بل جاء بناء على قيمتها الأدبية واشعاعها العربي



مع الفنانة بنانة بلعج اثناء معرضها التشكيلي في المؤتمر



هشام الهَرَّابِي (كاتب)

فقرة «فسحة لغوية مع عبارة شعبية» هي فقرة تأتي على العبارة من مختلف جوانبها، كأصل استعمالها وعلاقتها باللغة الفصحى نحوًا وبلاغًا وما تكتسبه من معنى حسب المقام الذي قيلت فيه. كل ذلك يرد بأسلوب طريف ظريف بعيدًا عن التعميد النحوي والتنظير البلاغي أو الإطالة المملة، ليجد القارئ نفسه في فسحة لغوية جديرة بالاهتمام، يتذكر خلالها مقولة شعبية أو عبارة متداولة ويغوص أحيانًا في بعض المدلولات دون أن يبتعد كثيرًا عن شاطئ واقعه بكل تفاصيله ورهاناته.

عِبَارَةٌ «يَقْطَعُ عَلَيْهِمْ/كُمُ الْعَلْفَةَ»

وقطع نسله عبر حرمانه من الأكل الذي عدّ «علفة»، لأنه جنس صار يمثل عائقًا بالنسبة إلى صاحب هذا الدعاء بسبب عرقته له في أمر ما، ربما بغبائه أو بكثرة تهاونه وتواكله على الغير دون القيام بأي مجهود يُذكر أو غيره من مثل هذه الأسباب التي لا تبتعد عن هذا المعنى...

فلفظة «علفة»، ههنا، اكتسبت فصاحةً وبلاغًا لا مثيل لها، إذ هي عادية بمفردها غنية في العبارة التي هي فيها. والفضل، في فصاحتها وبلاغتها، راجع كله إلى منشئ العبارة الذي تخير ألفاظه بعناية فائقة حتى يكسب ما يقول تعبيرية قوية ومعنى مؤثرًا في المتلقي حين يسمعها.

وقد اختار الداعي لفظ «العلفة» بدل الأكل أو الغذاء أو المؤونة. وفي اختياره هذا قصدي لا ريب فيها، إذ إنه يريد من قوله تشبيه الإنسان بالحيوان وبالأخص دابة من الدواب وخاصة البغال والحُمير، لأنها عُرفت بغبائها وتكسها وتبدها وغياب كل قدرة على الحركة لتوفير قوتها أو فلنقل هي الدابة التي غاب عنها النشاط الغريزي مثل بقية الحيوانات الأخرى حتى تتدبر أمرها بسعيها وقوة حيلتها مثل السباع والثعالب والذئاب... إلخ. (وهنا لا نتحدث عن المجهود الكبير الذي تبذره هذه الدواب تحت نير التطويق الإنساني) فالغاية إذن من هذه العبارة هي طلب إبادة كل جنس بشري

هي عبارة مستعملة بكثرة في ثقافتنا الشعبية بلهجتنا العامية كدعاء للتخلص ممن يُعيقنا عن تحقيق هدفنا ومرمانا. نحوياً: هي جملة فعلية تكونت من فعل في صيغة المضارع المرفوع «يقطع» + فاعل مقدر تقديره (الله) وهو قوة القاهرة لا غالب لها ولا رادع (حسب معتقد الداعي) + عليكم أو عليهم: مفعول به أول، مركب حرقي بالجزء + العلفة: مفعول به ثان، لفظ مفرد. و«العلفة» هي غذاء كما أنها وسيلة لضمان العيش لكل كائن حي. وتُستعمل في معناها الأذق للدواب. بلاغيًا: هي جملة صيغت في معنى الدعاء (الدعاء على).

إلى وزارة الثقافة : نريد ثورة حقيقية

فوزية عكري (شاعرة)

حان الوقت لمراجعة التقاليد التي تنبني عليها الأنشطة الثقافية وتجاوز ما ترسخ من تقاليد تنم عن فرز جهوي ورؤية ضيقة للإبداع في حين أنّ الإبداع الحقيقي يرفض الحدود والتقييد لأنه تعبير عن تجربة انسانية صميمة. إنّ تكريس الجهوية في المجال الثقافي هو انعكاس لسياسة التهميش والإقصاء التي تمت ممارستها منذ عقود واشتدت في السنوات الأخيرة فأفرزت ما يشبه النعرات وامتد السلوك القبلي والعراشي في المناسبات التي يلتئم فيها شمل المبدعين ولم يزد هذا السلوك المشهد إلا بؤسا وقتامة. فما معنى أن تدعو جهة ما أدباء الجهة أو شعراءها وتقصي غيرهم دون القدرة على التمييز بين الغث والسمين تحت شعار «الأقربون أولى بالمعروف» فإذا لم تكن الثقافة حاضنة للجميع باختلافاتهم وتنوعهم وخصوصياتهم فكيف سنؤسس لمشاريع ثقافية وطنية حقيقية تؤدي ثمارها في المدى البعيد. وكيف يمكننا إنقاذ ما يمكن إنقاذه بعقليات قاصرة على تقييم الواقع وسبل النهوض به. لو أعمل هؤلاء القائمون على الشأن الثقافي عقولهم لأدركوا أنّ الأدب والثقافة والفن لا يعترفون بالحدود الإدارية وكم غريبًا عن وطنه تفتقت مواهبه في أراض أخرى لذلك أرى أنه بات من الضروري التفكير في حذف تلك الأمسيات المقيتة وتلك السهرات المخصصة لمبدعي الجهة وتلك المناسبات المخصصة لتكريم من ينتسب لتلك الجهة. لقد آن الأوان إيلاء التجارب المتميزة حظوتها ومكانتها ونفض الغبار عن المنسيين منهم لأنه هنالك من ينتسب إلى هذا الوطن ولا جهة له.

الشعرية العربية من الجاهلية إلى يومنا هذا بين الثوابت والمتغيرات

مليكة العمراني - شاعرة

ثم جاء بعدها الشعر الاندلسي الذي لم بعد ينهل من بيئة صحراوية مجدبة كلاسيكية بل أصبح ينهل من الحداثة الغناء والمياه العذبة والطبيعة الجميلة فنجد ابن خفاجة وابن الرومي وابن زيدون وغيرهم دون أن ننسى قبلهم أبا الطيب المتنبي الذي عاش في القرن الرابع للهجرة في عصر الدولة العباسية ومن عاصره من الشعراء على غرار أبي فراس الحمداني وابن عمه سيف الدولة الحمداني الأمير العباسي الشهر.

وهذه الحركة المحدثة قابلتها في مستوى النثر كتابات الجاحظ المعتزلي وكتابات أبي حيان التوحيدي أما ابن رشد فقد مثلت فلسفته وفقهه وثقافته جدالا كبيرا ما يزال قائما إلى حدود أيامنا هذه.

هذا وقد وصلنا عبر كل هذه القرون الممتدة تاريخ ظهور حركة التدوين وحركة الترجمة حيث ترجمت الاعمال من وإلى اللاتينية مع اليونان وظهر الفكر الفلسفي الأرسطي والسقراطي والأفلاطوني وغيرهم كما كان لظهور الفلسفة وعلوم النحو والطب والفقه مع ابن سينا والرازي دور كبير في بلورة خطاب ثقافي عربي يشهد له القاضي والداني

وظهرت في الأثناء مدرستان متوازيتان ما زالتا تتحكما إلى اليوم في بنية الثقافة العربية وهما مدرسة العقل والنقل كما ظهر الأشاعرة والمعتزلة والجبرية والجهمية وغيرها وشهدت الثقافة العربية أوج تطورها وظهر السجال الفكري والثقافي في تلك العصور المتطورة وللحديث بقية

خيانة المثقفين كان الشعراء ولا يزالون يثيرون الكثير من الجدل حيث أنهم يمتلكون الذكاء والفصاحة وفيهم من يفضل أن يكون قريبا من السلطة السياسية وفيهم أيضا من يكون معارضا لها وكلنا يعرف قصة أبي حيان التوحيدي وعبد الرحمان بن خلدون وعبد الله بن المقفع وغيرهم حين كتب أبو القاسم الشابي كتابه الشهير «الخيال الشعري عند العرب» والقاه في شكل محاضرة في الخلدونية سنة 1929 أثار جدالا كبيرا وحوارا ثقافيا لافتا نظرا للمضامين اللافتة التي قدمها والتي لفتت انتباه النخبة المتعلمة والمثقفة التي كانت تعيش آنذاك في مرحلة الجمود والتكرار والنقل وطاحونة الشيء المعتاد فجاء هذا الكتاب ليخلخل البنية الثقافية والشعرية وليحرك السواكن التي كانت راكدة في ذلك العصر خصوصا وقد تزامن ذلك مع ظهور كتابات الطاهر الحداد وأفكاره الجريئة حول المجتمع والمرأة

أما إذا عدنا إلى القرن الثاني للهجرة فاننا سنجد حركة الإحداث الشعري التي دشنها أبو نواس وبعده خاصة أبو تمام أو حبيب بن أوس الطائي فحين قال أبو نواس، عاج الشقي على رسم يسائله وعجت أسال عن خمارة البلد، قال أبو تمام، حملت رجائي إليك بنت حديقة غلباء لم تلقح لفحل مقرف، حيث كنى هذا الأخير السفينة في البحر ببنت الحديقة وقد عوض الناقه الغلباء بالسفينة التي تشق عباب البحر بينما عوض أبو نواس الوقفة الطلية بالوقفة الخمرية وهذا الأمر شكل محور حديث الشعر العربي منذ تلك العصور إلى عصرنا الحالي

شهدت الخارطة الشعرية العربية مشاهد متعددة منذ الجاهلية إلى اليوم فحين نعود إلى عصر الجاهلية وعصور ما قبل الإسلام نجد المعلقات السبع وبعضهم يقول إنها عشر حيث تعددت الروايات واختلفت الآراء في شأنها والحقيقة أن المعلقات السبع التي وصلتنا من الجاهلية تركت آثارها حيث ما زال اسم عنتره العبسي شهر بن شداد وطرفة بن العبد وعروة بن الورد وزهير بن أبي سلمى يترددون على مسامعنا وما زال النقاد والشعراء العرب يلهجون بأسمائهم ويقتفون آثارهم في القول وقرض الشعر وكانت تقام العكازيات الشعرية في ذلك العصر وتكتب القصائد بماء الذهب وتعلق على جدران الكعبة

وحيث جاءت عصور الإسلام ونزل الوحي على الرسول محمد تدعت قيمة الشعر والشعراء وكلنا يتذكر تلك الحادثة التي خلع فيها الرسول بردته وألبسها لكعب بن زهير ونزلت سورة كاملة باسم سورة الشعراء يقول فيها الله تعالى إن الشعراء، يتبعهم الغاؤون في كل واد يهيومن يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعاش شعراء كثر مخضرمون فيهم من عاش في فترة الجاهلية وفيهم من أسلم وعاش أيضا في عصور الإسلام ارتبط الشعر العربي منذ القديم بالسلطة السياسية فنجد كما في كل العصور شعراء بلاط كما نجد شعراء معارضين وقد تحدث نقاد كثيرون عن هذه العلاقة بين المثقف والسلطة منذ القديم ويمكن أن نعود إلى كتابات إدوارد سعيد ومبروك المناعي في أطروحته في دكتوراه الدولة بعنوان الشعر والمال وباندا في كتابه

خواطر في المجموعة القصصية «لا قيمة للأسماء» لنصر الدين الخليفي

الناصر التومي

تسلمت المجموعة الثانية لفقيد الأدب التونسي «نصر الدين الخليفي» بداية من سنة 2021 بعد أن أهدتني إياها قريبته الشاعرة والقاصة «نزيهة الجديد» تسلمتها وأملتي أن أكتب عنها كما كتبت عن مجموعته القصصية الأولى في حياته «النهر يحترق» واعتبرت ذلك دينا علي لا بد أن أقضيه لأنني لامست في صاحبها وهو حي خير صديق، رغم أننا كنا نلتقي إلا أثناء الندوات الأدبية سواء بنادي القصة أو بملتقى الحمامات أو عندما أشارك بمدينة سوسة في بعض الندوات، لكن شغلتي «الخماسية القرطاجية» طيلة ثلاث سنوات فحالت دون ذلك ولما انتهيت منها قررت الوفاء بوعدي.

بعد الاطلاع على المجموعة القصصية حالما وصلتني وحتى بعد إعادة القراءة أيقنت أن الأمر صعب للغاية وليس كما حصل معي في قراءتي لمجموعته الأولى «النهر يحترق» فالنصوص في الأخيرة جد مختزلة ورامزة لحد العجز عن بلوغ شفرتها، وتتطلب تركيزا مضاعفا وتسجيل ومضاته الفكرية وحرقة وفلسفته بكل سطر أو فقرة، «فنصر الدين الخليفي» رغم وضوح الرؤية في المجموعة الأولى فالثانية التي بين يدي هي بوح ملغز قد تشي بما يعتلج لديه من أحاسيس ولوعة لكنها تبقي إرهابات حبيسة مصطلحات أو معاني غير مكتملة قصدا تترك القارئ في دهشة وحيرة ارتأها الكاتب حتما وكأنك أمام قصائد صوفية تختزل فهما باطنيا لا يثي به ظاهرها.

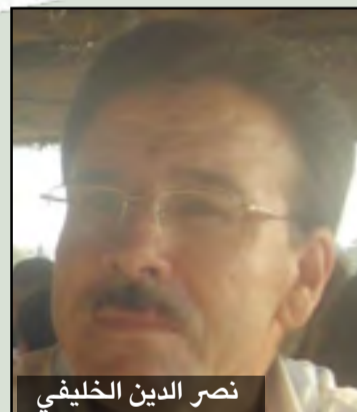
المجموعة تشكلت من 158 صفحة من الحجم المتوسط ومن أكثر من خمسين نصا ومن خلال الإطلاع تبين لي أن هناك 16 نصا تقريبا فقط تخضع لجنس القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا وهي التي جسدت امتدادا لمجموعته الأولى «النهر يحترق وهي»: منتصر - دم مراق - شهقة - السيد - مسار - الأسماك تضحك - والجمل أيضا - الزميل الرابع - آخر الميتين - أثاث بيت (ي) - أوراق - ثلاث زهرات برية - ألوان الأرجوان - حفل صاحب - ببغاء وقفص - حكاية بسيطة.

طابع هذه المجموعة

أما بقية النصوص فهي لقصرها وكثافتها القصوى ورمزيتها العالية تعد تساؤلات وجودية للكاتب من خلال أحداث أو أفكار أو مواقف حياتية أغلبها تحفر في وجدانه عن قضايا الأمة والبلد والمثقف وشخصية بحتة، وما يفور به وعيه بكل ما يجد من أحداث تؤثر في كائن فاعل، ضميره يقظ إلى حد كبير وهو قاب قوسين أو أدنى من الثورة على الواقع والتنديد بضلاله، وهو عليل بهذا العبء من طوفان القضايا، يتناولها بالغاز شديد ورمزية فائقة وعناوينها لفظة واحدة نكرة وهي علامة على الضيق الذي يتلبس به، وهو يضع نصوصها في نقد مر غير مرتاح لمضامينها:

اسم - قيمة - مدفأة - حرب - المغرب - برنس - قبر - رفض - أمل - من السنين - تذاكر - تفاعل - التصفيق - معادلة - إشراق - تجارة - وحدة - ندم - بناء - السيد - مسار - انفتاح - حفل ، أستاذ - أوراق - شهقة (المسافر) وهذه جاءت معرفة على غير نسق بقية العناوين ولما حققت في الأمر اكتشفت أن الكاتب لم يضع هذا العنوان بل الذي تبني تحقيق المجموعة ونشره لو تظن لطابع صيغ بقية العناوين لجعلها نكرة (مسافر).

ومن عناوين هذه القصص علاوة على اتسامها بالنكزية نلاحظ أنها محملة بمعاني حزينة بمخاض صعب يحيلك إلى الألم والشقاء والحزن مثل: حرب - قبر - رفض - من السنين (يطلق لفظ السنة على الشديدة منها) وحتى المغرب



نصر الدين الخليفي

التي جاءت معرفة فقد تضمنت الغربية في أجل معانيها.

بينما أسماء لم تحمل ضمن تعابيرها التشاؤم والألم والحزن فيتهيأ للوهلة الأولى أنها متفائلة مشرقة مثل: اسم - قيمة - مدفأة - برنس - أمل - تذاكر - تفاعل - التصفيق - معادلة - إشراق - تجارة - بناء - السيد - مسار - انفتاح - حفل - أستاذ - أوراق - فيتبين من خلال مضامين النصوص أنها لا تختلف عن بقية النصوص التي عنونت بتعابير سوداوية بل أخذت نفس المضامين الشكوى والتألم والحزن العميق.

نصر الدين الخليفي بقي وفيما لخطه الإبداعي في إبداء موقفه الخاص من العالم وما يدور حوله ناقدا متبرما متهما صارخا والتي جاءت بمجموعته الأولى «النهر يحترق» لكن التغيير حصل في أغلب مجموعته الثانية «لا قيمة للأسماء» باستثناء 16 نصا وذلك لاختزاله الكبير ضمن نصوصه القصيرة المبطنة لفلسفته في رؤيته للكون والحياة ودروبها المعاكسة لتطلعاته وطموحاته، نصوص قصيرة يستشف منها أنها عصاراة تأملات وفلسفة وخاصة أنه في الجامعة قضى سنته الأولى بها في دراسة الفلسفة قبل أن يحول مساره التعليمي إلى دار المعلمين.

يبدو أن نصر الدين الخليفي من خلال مجموعته القصصيتين يعيش غربة فكرية تتعلق إيديولوجية آمن بها واتخذها دستوراً له يدافع عنها باستماتة كبيرة يظهر ذلك من خلال حتى مناقشاته للنصوص وموقفه من بعضها وخطوط إبداع أصحابها فهو ينحو إلى التجديد والتجريب وينتقد التقليد والتكلس.

ومن خلال أغلب هذه النصوص القصيرة يستشف منها أنها تلامس الشعر ولعل الشعراء قد يقيمون تجربته أفضل مني بالإطلاع خاصة على نصوص المجمة الثانية «لا قيمة للأسماء» التي بين أيدينا ونصر الدين في تقديمه لمجموعته القصصية الأولى يشير إلى ذلك صراحة:

« لكنني طمحت أن أجعل السرد والشعر سرديا» ولعل هذا الأمر قد تضخم بالكاتب في مجموعته الثانية إلى حد كبير مما يجعلك أمام قصائد سردية مبطنة لفكر وفلسفة ونظرة خاصة للعالم تقترب من « اليسار » الذي ارتأه كمنهج فكري وحياتي آمن به وحافظ على أدبياته إلى آخر حياته. وهو في قصته «في الأسماء والأشياء» يلخص منهجه الفكري:

- أجد نفسي موزعا بين ما يزعم كل جمع من الناس أنه الحقيقة الثابتة والتي لا جدال فيها أيضا... فأجدني أجادل بما أمتلك من صواب الرأي واعوجاجه. (ص 20).

وهو يستشهد بقصيد الشاعر عمر الخيام:

- مررت بخـزاف يدقق فـي ...

صنع الثـمـرى دون إنصاف

- رأيت وإن لم ير غيري ذي بصر ...

ثرى جدودي بين يدي كل خزاف

وبيت من الموشحات:

- شوشان ماني سيدك

واليوم يا شوشان حكمي في يدك

ومطلع من أغنية تونسية:

- كيف يرجع الفرطلو للنار الي تحرقو

- وكيف ما يرجع الفلاح للأرض الي تعرقو

من خلال المجموعة القصصية «لا قيمة للأسماء» نلاحظ أنها تنزع في مجملها إلى التحكيم لمنطق الفكر فهو الغاية وهو الوسيلة، فالخليفي مهووس به والجدل فيه مع غيره أو حتى مع نفسه، يحاور ويحاجج الكائنات الحية منها والميتة الانسان والنبات والجماد وكأنها أحجيات يعمل على تفكيك شفرتها، إنه القلق الوجودي يرضخه لسطوته فيلامس حياته ويظهر جليا في إبداعه.

فإضافة إلى المنحى الفكري لإبداع الخليفي فقد تبدو السوداوية طاغية على نصوصه تحول النص إما إلى صمت أو إلى حوار يدفع إلى التصعيد الدرامي بينما الفضاء إما مجرد من أي خلفية إلا من الشخصية أو أنه يساهم في التأزم بخلفية من جنس السوداوية وهو بذلك الكاتب صادق مع نفسه ومع مشاعره يضعها في إطارها الصحيح وكأنه يعيش المشهد بكامل كينونته ولا يصنعه.

بقي نصر الدين الخليفي أمينا لمنهجه التعبيري ولعله ازداد في المجموعة التي بين أيدينا تطرفا في اختزال النصوص إلى حد سطرين ونصف في «قبر» وفي المعدل صفحة وبعض الأسطر، وتجاوز التعبير الغموض الفني إلى المبهم منه وطغت الأسئلة والقلق الوجودي حدا كبيرا وتضاءلت شخصيته في القصص والنصوص إلى حد الشخص الواحد والإثنين وقد تكون الشخصية وردة في «وردة» ومجهولة في «قبر» وقد تذوب الشخص في النصوص فإذا بها مجرد أطراف غير محددة الملامح من الكائنات الحية والميتة يعسر تحديد كنهها.

نصر الدين الخليفي من الكتاب المقلين قضى عشرين سنة تقريبا ليصدر مجموعته القصصية الأولى «النهر يحترق» وكان علينا أن ننتظر عشرين سنة لتصدر مجموعته الثانية «لا قيمة للأسماء» فهو لا يسابق أحدا ولا غاية له من إظهار نبوغه فهو مثل ذلك الزاهد الذي لا يعنيه إلا إرضاء نفسه لا غير، يبث شطحاته متى اكتملت ونضجت، لا يعنيه هل تقنع ممن هم خارج عالمه المغلق يتقبلونها بفهم نسبي أو يتيهون في مراميها دون الوصول إلى الحقيقة.

لاحظت أن تقديم كتاب «لا قيمة للأسماء» من قبل صديقنا عمر السعيد اختصر على شخص الكاتب وأهم الجانب الأدبي للمجموعة والتي هي بيت القصيد من نشرها وتبيان قيمتها الأدبية وخصوصيتها أما الجانب الشخصي فيمكن التطرق إليه في مناسبة أخرى تهم شخص الكاتب.

صبر النساء في أفغانستان في رواية «حجر الصبر» لعتيق رحيمي

حاتم تليبي المحمودي (ناقد وباحث مسرحي)

الحرب، حتى إذا ما أتى كان مقاتلاً يحبّ بندقيته أكثر من حبه لها، وهكذا تكون قد عاشت محناً متتالية.

تبدأ محنتها الأولى مع زوجها من خلال العلاقة الجنسية بينهما، فهي تحرم حتى من تقبيله، كما تحرم -أيضاً- من اللذة الجنسية معه، وليس من حقها أن تتجرأ على طلب ذلك؛ إذ تعيش معه قحطاً روحياً وجنسياً نتيجة الهمجية الذكورية. وتبدأ محنتها الثانية في اتهامها بالعقم، والحال أنها ليست كذلك، فتضطر إلى ممارسة الجنس مع غير زوجها، لتنجب أبناء وتتخلص من مكيدة أمه: هكذا حتى تنجو من الطلاق وتوهم ذلك الزوج بفحولته. وتبدأ محنتها الثالثة في أثناء غيابه بالتحرش الجنسي الذي يقع عليها من قبل إخوته، وقبل ذلك كانت لها محن أخرى مع عائلتها قبل الزواج، وكيف كان الأب فجا وسليطاً معها وأخواتها، وبعد كل تلك المحن، ها هي الآن تعيش الرعب أمام مشهد الموت المؤقت لزوجها، وخوفها على طفلتيها، واقتراب الحرب وسطو العصابات على بيتها، واضطرارها إلى ممارسة الجنس مع أحد المقاتلين، بعد أن هددها بالسلاح.

هل كانت تلك المرأة قادرة على البوح بكل تلك الغوائل التي تعرّضت لها، لو لم تكن ثمّة حرب؟ هل كانت لها الجرأة لتفصح عن كل هذا التشوّه الإنساني أمام زوجها، لو لم يكن مجرد جثة هامدة؟ طبعاً لا، فهي ستفضل الصمت نتيجة الخوف من القيم المجتمعية ومن الهيمنة الذكورية، ولكن ها هي الآن تنفجر بوحاً ضدّ الكلّ، وها هي الآن عارية إلا من حطامها، وها هي الآن تخاطب زوجها -الذي هو حجر الصبر- بالقول:

- آه، يا حجري الصبر، كم من الصعب أن تكون امرأة، وهذا ما يجعل من الصعب عليك أن تكون رجلاً!

في اللحظة الحاسمة من هزيانها، كان لا بدّ للحجر أن ينفجر، لقد نهض زوجها فجأة من الفراش، ليمسكها ويرمي بها على الحائط. كسر عنقها بعد أن غرست في قلبه الخنجر المعلق في الغرفة. تموت المرأة كما زوجها، بينما يقرع باب الغرفة ليدخل أحدهم: ربّما يكون ذلك المقاتل الذي تدرب على ممارسة الجنس معها، ربّما تكون عمّتها التي أخفت عندها طفلتيها، ربّما يكون أحد المنتسبين إلى العصابات، ربّما يكون شخص ما هارب من القصف خارج البيت.

قد أن أوان انفجار الإنسانية: وهذه المرّة وجد اشتغاله في صرخة مدوية على لسان امرأة ما، المرأة الأمّ، الزوجة، العاشقة، نبيّة الصبر، سرّ الذكورة وضعفها، ربّة العهر إذا ما تمّ تشويهاها.

فهل يجب مديح الحرب في حالة كهذه؟ هل كان يجب انتظارها حتى نفكك المسكوت عنه في مجتمعاتنا؟ وكم من امرأة عربية وأفريقية ومشرقية في حاجة إلى حجر الصبر هي الأخرى!!



حجري سينغي سابور، كل شيء، سأبقى أحكي لك حتى أتحرق من كل الأمي، من كل عذباتي“.

ربّ مفارقة مدهشة مكّنت تلك الحرب التي أوقعت بزوجها طريح الفراش، ليصبح هو الحجر عينه، تطول الأيام وتمتدّ، وهو مثل جثة غير قادر على الحراك أو الكلام، هو -فقط- ساكن مثل صخرة، ولا شيء

يوحي ببقائه حياً غير أنفاسه. في الأثناء، على تلك الزوجة أن ترعاه وطفلتيها، بينما تقترب الحرب، وفي كلّ مرّة تتعرّض للسطو من قبل المسلحين أو العصابات، ولا شيء في العالم الخارجي يساعدها في تجاوز أزمته تلك. يتسلّل الخوف إليها، كما الرعب، وينفذ صبرها، تبدأ الانهيار والهذيان، تحدّث زوجها فلا يجيبها، تتأكد في النهاية أنّه مجرد حجر لا أكثر، وليس لها غير جسده الساكن لتشكو إليه، لقد أهدتها الحرب حجر الصبر متمثلاً في ذلك الجسد.

ثمّة رعب في إيقاع الرواية، قائم بالأساس على أنفاس ذلك الرجل الذي يتبعه إيقاع المسبحة السوداء في يد زوجته، ومن ثمّ يبدأ الهذيان، هذيان يكشف مصائبها وفضائحتها ومحنها وعذاباتهما جميعاً. طبعاً، نحن هنا سندهم الحرب؛ فلولاها ما كانت تلك المرأة لتتجرأ على قول ما قالت، أمّا مضمون قولها فينصبّ معظمه ضدّ الثقافة الذكورية وهيمنتها، لنترك لها الآن التبدليل على ذلك: لقد تزوّجت ذلك الرجل دون أن تعرفه، وظلّت تعيش مع عائلته سنوات منتظرة عودته من



ثمّة أفق روائي استطاع أن يهزّب من بنوك الحرب التي دارت رحاها في أفغانستان، حين هيمنت حركة طالبان، وقائع فاجعة مدمّرة مزلّلة، وجدت تسريدها في رواية (حجر الصبر) لصاحبها عتيق رحيمي. لتتوقف هنا: إننا لسنا أمام رواية سياسية أو تاريخية أو ذات مطلب أيديولوجي، على العكس من ذلك: يخيل إلينا، ونحن نطوي الورقة الأخيرة منها، أننا إزاء عنف مفهومي جديد، ألا وهو جنْدرة الحرب!!

إنّ ما توحى به هذه العبارة (جنْدرة الحرب) هو الإقامة عند حدود الألم النسوي في أزمنة الغبار البشري، وقد قدّت منه الحروب والإرهاب طعاماً أخيراً بين أضراس الضياع، أمّا دلالة (حجر الصبر) فنكتشفها من خلال المتن الروائي: هكذا نقرأ على لسان بطلة الرواية: "أنت تعرف، إنه ذاك الحجر الذي تضعه أمامك، وتبدأ تشتكي أمامه عن كل مصائبك، عن كل الألم، وكل مأسيتك، الحجر الذي تؤمّنه على كلّ ما في قلبك، من أمور لا تستطيع البوح بها أمام أحد، يصغي إليك، يمتصّ كلماتك أسرارك كلها، حتى يأتي يوم وينفجر فيه، ويتناثر شظاياها، وفي هذا اليوم بالذات تتحرر من كلّ الألم".

نحن أمام وضع كارثي تعانیه تلك المرأة/ بطلة الرواية، وما نكتشفه إذن هو معاناتها نتيجة واقعة مرعبة نزلت بحياتها، فلا حاجة لها غير الشكوى لذلك الحجر الذي يسمّى "سينغي سابور"، ولا هدف من ذلك غير انفجار الحجر نفسه، علّها تتطهر من كلّ غوائلها.

ما قصّة هذه المرأة؟ ومن يكون ذلك الحجر؟ وما علاقة الإرهاب والحرب والجنون البشري بصناعة الوحش الإنساني فيها، حتى ترتكب جملة من الآثام هي الآن في حاجة إلى تسريدها، وإلى البوح بها أمام "سينغي سابور"؟ ثمّة رجل يصاب برصاصة في عنقه ولم يمّ، هو الآن جسد ممدّد على الفراش في غرفة موحشة لا تسكنها غير زوجته التي ترعاه، لا شيء يوجد في الخارج غير أصوات المدافع والرصاص، ولا شيء يسمع في تلك الغرفة غير أنفاس ذلك الرجل، وغير هذيان تلك الزوجة، ولا أحد يزورها غير بعض المقاتلين، منهم شابّ علّمته فنّ ممارسة الجنس بمقابل مالي، هي لم تكن ترغب في ذلك، ولكنها ضرورة نتيجة الخوف والرعب والرغبة المتوهّجة في تدمير الذات بعد أن شوّهت. كان يرغب في التجربة لا غير، ولكنها حين اكتشفت اضطرابه الجنسي علّمته، لقد كان يتعرّض للانتهاك الجنسي من قبل مقاتل أجبره بالقوّة على ذلك.

- "نعم هو أنت، أنت سينغي سابور، خاصّتي أنا!، تلامس وجهه بنعومة، كما لو أنها فعلاً تلامس حجراً ثميناً. "سأقول لك كلّ شيء، يا

توفيق بوغدير العميد...

عبد الستار النفاطي

يوم 27 مارس 2010 بمناسبة اليوم العالمي للمسرح تم تقديم أول كتاب لي في مسيرتي الصحفية. وخصصته للعميد توفيق بوغدير، حيث كنت اتفقت معه في منتصف سنة 2008 على إعداد كتاب يروي مسيرته. وكانت البداية بالحديث المطول الذي نشر على أعمدة مجلة الإذاعة في ديسمبر 2009. وتشاء الصدفة أن يرسل يوم 2 جانفي 2010. فاتفقت مع ابنه الصديق المخرج السينمائي فريد بوغدير على إنجاز الكتاب وهو ما تم بالفعل. وتم توزيع الكتاب في الحفل الذي أقيم بقاعة الفن الرابع بحضور السيد رؤوف الباسطي وزير الشؤون الثقافية آنذاك.

ويعتبر توفيق بوغدير احد «جهاذة» الإعلام في تونس... وعندما نقول الإعلام فإننا نعني الكلمة في معناها الشامل اي الصحافة المكتوبة، والإذاعة والتلفزة. وقد كان الأستاذ بوغدير احد أهم الفرسان في الميادين الثلاثة فقد انعم الله سبحانه وتعالى عليه بموهبة خارقة للعادة اذ كان له قلم سيال، يطوعه كيفما شاء في التحليل السياسية، وفي النقد الفني، وفي الأخبار والمنوعات. ولد توفيق بوغدير في حي الحلفاوين، يوم 18 نوفمبر 1917 وتلقى تعليمه أولا في الكتاب، ثم المدرسة القرآنية الإسلامية (نهج سيدي بن عروس) وبعد مروره بالمدرسة الصادقية، زاول تعليمه بالمدرسة الايطالية إلى البكالوريا. اكتشف الجرائد في المنزل «كالنحلة» و«الحاضرة» والسردوك «حيث كان والده صاحب «مكتبة السعادة»، بنهج الكتبية بالعاصمة كما اكتشف عالما آخر في الكتب التي كان مواظبا على مطالعتها على اختلاف مشاربها، فاكشف الأدب والشعر والقصة، وخاصة عندما كان يأتي إلى مكتبة والده لتناول طعام الغداء في نهاية فترة الدراسة الصباحية، وكان هذا الاكتشاف باعثا له على تقليد أسماء بعض الصحف المكتوبة بخط الثلثي أو الخط الفارسي، فكانت تلك مدرسته الأولى في تعلم الخط العربي، إلى جانب هوايته للرسم التي قادته إلى الرسم «الكاريكاتوري» في بعض الصحف، ثم تدريس الخط في مدرسة ترشيح المعلمين وفي مكتبة والده.

هكذا كانت البداية...

يقول توفيق بوغدير عن بداياته: وفي الحوار الذي أجرته له ونشر على جزئين في العددين 17 و 18 من مجلة «الإذاعة» (جانفي / فيفري 2010) كانت وجهتي الأولى في مطلع شبابي فنية أدبية، فقد حذقت الخط العربي وهويت المسرح، كما أن لي بدايات في الشعر والقصة القصيرة وفي المقابل لم أفكر يوما في احتراف الصحافة، اما التمثيل فاكشفته وأنا على مقاعد الدراسة في الابتدائي عندما عهد إلي بتمثيل مواقف من التراث العربي، لأتحول بعد ذلك إلى ممثل في جمعية تمثيلية ثم إلى كاتب مسرحيات فألى ناقد مسرحي وكنت أقلد بعض الرسوم في صغري إلى أن وجدت نفسي مشاركا في مسابقة للرسم في المدرسة ثم إلى رسام كاريكاتوري بعد ذلك والفضل في ذلك يعود إلى ما طالعاته من كتب ودواوين في مكتبة والدي.

الصحافة قادتته إلى السجن...

وعن الصحافة التي عشقها قال: الصحافة قادتني إليها بعض المحاولات في بعض الصحف وبالتحديد في جريدة «الحياة» لصاحبها عبد السلام لرنؤوط. وقد نشرت فيها مقالين، الأول خصصته لمهنة «الحريرية»

• الصحافة التي دخلها عاشقا مفتونا
كادت تذله السجن ...

• بقي صحفيا إلى آخر رمق والكتاب
الذي صدر بعد وفاته وثيقة هامة
ونادرة...

• من مكتبة والده علي بوغدير ادمن
على مطالعة الصحف واكتشف الأدب
والشعر والقصة وتعلم الخط أيضا ...

• يوم 14 أكتوبر سنة 1938 كان حاضرا
كصحفي في تدشين أول إذاعة حكومية
في مقرها الأول بساحة العملة...

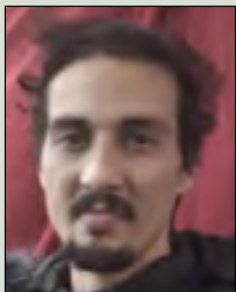


التي أصيبت بالكساد وقتها أي في الأربعينات بعد غزو الحرير الاصطناعي للأسواق التونسية اثناء الاستعمار، مما جعل أهل المهنة لا يجدون حتى قوت عيالهم فتناولت بالنقد هذه الوضعية، في «زجل» نشرته في جريدة «الحياة» فانتبهت السلطة الفرنسية لهذه الوضعية، وأمست الشرطة توزع الحرير الأصلي على أهل المهنة، كما صادرت الحرير الاصطناعي، وهكذا عادت الحركية إلى «سوق الحريرية»... ويضيف: أما الجريدة الثانية التي كتبت فيها كانت بعنوان «الوطن» لصاحبها محمد بن فضيلة، وقد عملت فيها كمحرر ثم كرسام كاريكاتوري، وكنت ارسوم بالخصوص الشخصيات السياسية في تونس وفي العالم، ومن بين الرسوم التي مازالت أتذكرها إلى الآن واحدة لامرأة فرنسية الملامح وعلى رأسها شعار الجمهورية التونسية وقتها وهي تبدو كبائعة في محطة بنزين، أمامها طفلة في (كروسة) وخرطوم البنزين مكتوب عليه من جهة خيرات تونس ومن الجهة الأخرى دم تونس، والمغزى من الصورة أن المرأة كانت ترضع ابنتها من خيرات تونس المستعمرة وتشرب من دمها، وذيلت الصورة «بوغدير» وكنت اعرف مسبقا أن المسألة سوف لن تمر بسلام، وبعد صدور الجريدة «تقلبت الدنيا» فقد صودرت وجمعت كل أعدادها ووجدت نفسي أنا وصاحبها أمام حاكم التحقيق في محكمة «التروبينال» بتهمة التحريض على الاستعمار ونشر أخبار زائفة وقد صدر ضدنا حكم بـ 6 اشهر سجنا مع تأجيل التنفيذ، فاطردني صاحبها.



توفيق بوغدير يتوسط الفنانتين الراحلتين الزهرة فائزة ودلندة عبدو

شعر الحماسة : سلاح الحرب النفسية العربي



مالك بن فرحات - أستاذ لغة عربية

وبالبلغة القولية، ومن دلائل تأثير الشعر أنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثلما يضع من قدر الشريف الكامل، وأن الشاعر إذا قال شعرا ليمدح أو يهجو أو يتغزل انتشر شعره على ألسن الناس ورسخ في أذهانهم بسهولة حفظه، وقد يصل الشعر بقوته التأثيرية إلى تأجيج المعارك والحروب، فالشرارة الأولى لحرب البسوس التي دامت أربعين سنة في الجاهلية كانت أبياتا ألقها البسوس بعد قتل كليب لناقتها وهذا بعض منها :

لعمرك لو أصبحت في دار مُنقذ
لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
و لكنني أصبحت في دار معشر
متى يغد فيها الذئب يغد على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل
فإنني في قوم عن الجار أموات

هذه القوة التأثيرية هي ما يجعل الشعر سلاح حرب نفسية وإعلامية فعّال، ولعل العرب والمسلمين كانوا على وعي بفاعلية هذا السلاح، واتخذوه للانتصار في حروبهم النفسية والإعلامية التي يعزز الانتصار فيها فرصة الانتصار في الحروب العسكرية، و شعر الحماسة كان نتاجا لهذا الوعي، وشعرأوه كانوا مشاركين في الحروب التي خاضها الأمراء الذين يوالونهم والدول التي يحالفونها سواء نوا ذلك أم لم ينوا. لقد كان الشاعر آلة دعاية عند العرب من العصر الجاهلي إلى عصور الخلافة في سلمها وفي حربها خاصة، وإلا لم كانت القبيلة في الجاهلية إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهتأتها، وصنعت الأطمعة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؟ لأنه كما يقول ابن رشيق القيرواني حماية لأعراضهم، وذبح عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وبلغتنا المتدواله هو وسيلتهم في حروبهم الإعلامية ضد القبائل الأخرى، خصوصا أن العصر الجاهلي كان بؤرة لصراع قبلي لم يهدأ، وهذا الصراع لم يكن صراعا نفسيا فحسب بل كان صراعا إعلاميا ونفسيا، ومثلما استعملت القبائل في الجاهلية شعراءها للدعابة بين القبائل الأخرى، استعمله المسلمون للغرض نفسه لنشر دعوتهم ولنصرة الدين الجديد، وأصدق ما يدل على ذلك مواقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الشعراء الذين أجابوا دعوته، فكان يحرص على أن يشهدوا معه الغزوات لا ليقاتلوا بأيديهم بل ليقاتلوا بألسنتهم العدو، ولا يجهل أحد حث النبي لحسان بن ثابت على أن يهجو المشركين بقوله له : أهجهم أو هاجهم وجبريل معك، وعموما فإن إحاطة النبي لنفسه ولدعوته بالشعراء دليل قاطع على معرفته لقدرتهم على نشر الدعوة الإسلامية وحمل الناس على اتباعها، إذا أخذنا بعين الاعتبار خاصة تأثير الشعر في العرب عامة، ولم يفت معادي الدعوة الإسلامية أول ظهورها - أي المشركين - أن يجندوا الشعراء في محاولتهم لصد الدعوة الإسلامية، ولعلمهم فاقوا المسلمين في ذلك لعدة أسباب أهمها أن المسلمين امتلكوا بين أيديهم معجزة بلاغية استغنوا بها عن كل بلاغة، ونعني بهذه المعجزة القرآن الذي كان وسيلة تأثير لا نظير لها، وبين أيدينا قصة نستدل بها على وعي المشركين القوي بنجاعة الشعراء في الانتصار في الحروب وإبطال الدعوة القائمة، وهي قصة إسلام الأعشى التي لم تكتمل، حيث يروي ابن هشام أن الأعشى كان في طريقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم بعد أن نظم فيه قصيدة، فأعترضه بعض المشركين وحاولوا صده عن عزيمته من خلال تنفيره من الإسلام بحجة أنه يحرم الزنا والخمر، فعزم الأعشى على أن يمكث عاما يصيب من الخمر ما يشبع حاجته ثم يسلم، ولكنه مات قبل أن يسلم، ويروى أن المشركين عرضوا عليه مائة ناقة مقابل عودته، وبغض النظر عن إسلامه من عدمه، نلاحظ حرص المشركين الشديد على ألا يسلم الأعشى، ولو كان الأمر متعلقا بإسلام جيش أو إسلام كتيبة

من لسان القائد أو الشاعر في الحروب القديمة صارت في الحروب الحديثة تصل إلى الجنود وإلى عامة الشعب والأمة بمساعدة وسائل الإعلام والاتصال كالراديو والتلفاز، وأشهر من نمثل بهم لذلك النازيون، فلا يُنكر أن آلة الدعابة الحربية النازية التي أنشأها أدولف هتلر بمساعدة وزير دعايته الدكتور جوزيف غوبلز كانت من أهم العوامل المساهمة في انتصارات الجيش الألماني الخاطفة أول الحرب وفي صموده آخرها وفي توحيد صفوف الشعب الألماني وحملهم على مؤازرة الجيش، ويضاف إلى الخطب والأشعار التطور الذي شهدته استعمال الصورة في العصر الحديث حيث بلغ استعمال الصورة للدعابة ذروته وهو ما جعلها مادة هامة للدعابة الحربية، وقد اعتمدها النازيون وأثبتوا أنها ناجعة في توجيه النفوس والعقول، واعتمدوا بشكل كبير على الصور المعدلة عن الصور الواقعية، كتلك الصور التي يُلبس فيها القائد حلة أسطورية تُنسي مشاهدا أنه إنسان عادي بعيد عن الخوارق والأساطير، وهذا التطور الذي شهدته وسائل الحرب النفسية التأثيرية لم يقلل من دور الوسائل القديمة كالخطب والأشعار، فقد سجّلت لنا الحريان العالميتان خطبا كان لها تأثير بالغ في دفع الجنود إلى الجبهات وحملهم على الثبات أمام خطر داهم، كخطاب الحرب الشاملة الذي ألقاه جوزيف غوبلز في قاعة الرياضة ببرلين عقب هزيمة الجيش النازي أمام الجيش السوفياتي في معركة ستالينغراد التي كانت حاسمة في تقرير نتيجة الحرب العالمية الثانية ليحفز المقاتلين الألمان على النهوض مجددا، وخطاب جوزيف ستالين الذي ألقاه عقب اجتياح جيش هتلر للاتحاد السوفياتي وهذا مقتطف منه « إخوتي وأخواتي، تهاجمنا ألمانيا النازية بقيادة هتلر، العدو قاس وعنيد ولكن هل يصح القول إن قوات ألمانيا الفاشية لا تقهر؟ جيش نابليون لا يقهر ولكنه هُزم.... و من الخطب كذلك ما ألقاه إمبراطور ألمانيا فيلهلم الثاني على جيشه عند اقترابه من دخول فرنسا وهذا مقتطف منه « سندافع عن أنفسنا، حتى آخر نفس لرجل وحصان، وسنبقى صامدين حتى ضد عالم من الأعداء، ألمانيا الموحدة لن تهزم أبدا . ولم يقل تأثير الخطب عن تأثير الأشعار الحماسية التي تحول أكثرها إلى أناشيد تحفز الجنود وتجعلهم متاهبين للمخاطر، كنشيد الحزب النازي المعروف باسم « نشيد هورست فيسل » أو « هورست فيسل ليد »، وتضمن هذا النشيد إنذارا بقوة قوات العاصفة الألمانية وتأهبها للحرب العلم ارتفع

الصفوف مترابطة بإحكام
كتيبة العاصفة تسير بخطوات هادئة حازمة
الرفاق تحت نيران الجبهة الحمراء والرجعيين
يسرون بروح ضمن صفوفنا

الشعر وسيلة التأثير المثلى عند العرب

لئن تنوعت وسائل التأثير المعدة للحرب النفسية في ما اشتهر من حروب بين العصرين القديم والحديث، وشاع توظيف بعضها أكثر من الآخر في فترة تاريخية ما كما شاع توظيف الصورة بمختلف أنواعها في الحرب العالمية الثانية أكثر من الخطب والأشعار والبلاغة (رغم أنها لا تقل أهمية عنها هي الأخرى) فقد كان الشعر والبلاغة القولية عموما وسيلة التأثير الطرازية عند العرب القدامى بلا منازع خصوصا أنه لم يُعرف عنهم توظيف وسائل أخرى كالصور، وشدة تأثير الشعر في العرب تتعدى نطاق الحرب الضيق، والحرب إن هي إلا موضوع من موضوعات الشعر العربي، فالشعر ذاته مؤثر مهما كان موضوعه والغرض الذي قيل فيه، كيف لا وأهله يحتفون بالفصاحة

التزاما بمبادئ الجمالية الشكلانية، دعا الكثير من الدارسين إلى ضرورة استقلال دراسة النص الأدبي عن كل عنصر خارجي والتركيز في دراسته على عناصره الداخلية المشكلة لأدبيته، وجماله الذاتي بمعزل عن المعطيات التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية التي ساهمت في إنتاجه، فصار التركيز منصبا على خصوصية النص الأدبي باعتباره لغة متميزة تقوم على مجموعة من العلائق، خلافا لما كان عليه في الاتجاهين التاريخي أو الماركسي، حيث نظر إلى النص الأدبي أنه نتاج للظروف التاريخية والشروط المادية المتعلقة بالمرحلة التي ظهر فيها. ولكن ماذا لو كان النص الأدبي مؤثرا في أحداث هذه المرحلة ومساهما قويا في سيرورتها فضلا عن كونه نتاجا لظروفها وشروطها؟ ألا يكون من الضيم حينئذ أن نحصر قيمته في أدبيته التي لا تعدو أن تكون وسيلة لتحقيق غاية أبعد؟ هذا هو الإشكال الذي يتبادر إلى أذهاننا حين نقرأ شعر الحماسة الذي لم يكن خطابه حافا بأحداث الحرب ومتولدا عنها فحسب، بل كان في كثير من الأحيان مساهما في صناعة هذه الأحداث ومؤثرا في سيرورتها باعتباره خطابا مؤثرا في نفوس أبطالها وعقولهم تأثيرا ينشط بعضهم ويثبط بعضا، وإذا سلمنا بأن الأحداث ينتجها أبطالها وشخصياتها، فإن الخطاب المؤثر في هؤلاء الأبطال وهذه الشخصيات يؤثر في الأحداث ضرورة، وإذا كان هذا الخطاب أدبيا أو جماليا، صارت أدبيته وسيلة لتحقيق التأثير المرغوب فيه، لذلك سيلحظ قارئ هذا المقال أن تناولنا لشعر الحماسة يختلف عن تناول الذي اعتد مع المختصين في دراسته بأعباره نسا أدبيا، فلم يكن تركيزنا منصبا على مقومات جماليته الشعرية من إيقاع وصور ومعجم وتركيب، بل كان تركيزنا على وظيفته في الحرب وتأثيره في المشاركين فيها، حتى إننا لم نتردد في أن نصفه بأنه سلاح حرب حين وجدنا بينه والوسائل المعتمدة في الحروب النفسية والإعلامية تشابها واضحا، هذه الوسائل هي ما نفتتح به متن مقالنا متدرجين إلى الحديث عن تأثير الشعر عند العرب عامة، فإلى الحديث عن شعر الحماسة باعتباره سلاح حرب، فكان تدرجنا من العام إلى الخاص، ونرجو أن يجد القارئ فيما خططنا ما يفيد.

الحرب النفسية ووسائلها

لا يقتصر حسن الاستعداد للحرب على الاستعداد المادي والاستراتيجي بحشد الجيوش الجرارة وتسليحها بالآلات الفتاكة ووضع الخطط والتكتيكات للإطاحة بالعدو، فقد يكون هذا الاستعداد غير ذي جدوى إذا لم يصحبه استعداد نفسي بتحفيز الجنود وتشجيعهم وتوحيد نفوسهم وقلوبهم على عقيدة واحدة وهدف واحد وتهيتهم للمصائب والأهوال التي ستلقاهم، ولهذا، إذا ما وجدت في كتب التاريخ أن فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، أو أن جيشا ضعيفا هزم جيشا عرف بأنه لا يقهر فلا تستغرب واعلم أن الاستعداد النفسي غلب الاستعداد المادي. وقد أدرك الكثير من القادة والدول والإمبراطوريات أهمية الاستعداد النفسي للحرب، وكانوا على وعي بأن القتال المادي يوازيه قتال معنوي أطرافه النفوس والعقول، بل كانوا واعين بأن الهزيمة النفسية في الحرب لا تقل خطرا عن الهزيمة المادية، فجنّدوا ما كان بين أيديهم من وسائل التأثير لتحفيز الجيوش وإذكاء عزيمتهم، وهذه الوسائل التأثيرية كانت هي أسلحة الحرب النفسية. ومثلما تطورت أسلحة الحرب المادية بين الماضي والحاضر واستغني عن السيوف والرماح لصالح الأسلحة الحديثة من قنابل وصواريخ، تطورت وسائل الحرب النفسية تطورا لم يُستغنى فيه عن الوسائل القديمة، بل دُعمت هذه الوسائل بوسائل أكثر تأثيرا ونجاعة، فالخطب والأشعار الحماسية التي كانت تلقى على الجنود مباشرة

أو سيد من السادة ذي سلطان لفهمنا سبب هذا الحرص الذي يدفع إلى هبة مائة ناقة، فما الأعشى إلا رجل منفرد، ولكنه شاعر من فحول الجاهلية مرهوب اللسان، مسموع الكلمة، وانضمامه إلى المسلمين يعني خسارة المشركين لآلة دعائية إعلامية وفوز العدو بهذه الآلة وفوز دعوتهم . من ههنا نفهم سبب احتفاء الخلفاء والأمراء والملوك على امتداد تاريخ الخلافة الإسلامية بالشعراء، وسبب إغداقهم الأموال والثروات عليهم مقابل قصائدهم المدحية، إغداقا أبلغ بعض الشعراء الثراء الفاحش ومَلَكهم الضياع والدواب، ولو لم يكن ذوو السلطان عالمين بأنَّ الشاعر بين أيديهم آلة دعائية تنشر فضائلهم بين رعاياهم وتستر هفواتهم كما تفعل وسائل الإعلام التي تستحوذ عليها السلطة في عصرنا، لما ضيعوا تلك الأموال الطائلة والثروة الضخمة على ما قد يراه البعض مجرد كلام يقال فيهم لا يُسمِن ولا يُغني من جوع ، ولكنه ليس كذلك، وكلما كان الشاعر جيدا بارعا قوي حرس الملوك على أن يكون من نصيبهم، وهذا شأن أبي الطيب المتنبي الذي كان ينتقل من أمير إلى آخر وكل أمير كان يستقبله استقبال الملوك للملوك، ولهذا فإننا لا نوافق من يقولون إن العلاقة بين أبي الطيب وسيف الدولة كانت علاقة حب صادق، بل كانت علاقة توافق مصالح طرفين، رجل سياسة يبحث عن آلة دعائية قوية، وشاعر يبحث عن ملك يقدر شعره ويدفع له ثمنه الذي يستحق، ودليل ذلك أنَّ سيف الدولة الذي كان محاطا بغير واحد من الشعراء كان يغضب إذا ما تأخر أبو الطيب زمنا عن مدحه وكثير من المواقف التي من أهمها عدم انتصاره له حين ضربه ابن خالويه حين اتهمه بأنه لا علاقة له بالعربية لأنه أعجمي . ولعل أبا الطيب وغيره من الشعراء كانوا واعين بهذه الخدمة الدعائية الجليلة التي يقدمونها للأمراء الذين ينتدبونهم، وعالمين بأنَّ الموهبة التي منحوها كفيلا بإعلاء اسم الأمير وإسقاطه، ولهذا فإن هجاء المتنبي لكافور الإخشيدي بعد عودته الكاذبة بمنحه منسبا لم يكن مجرد تنفيس عن شعور بالخيبة والخذلان، بل كان أبو الطيب واعيا بأنه شر يجازي به الإخشيدي الذي انقلبت عليه آلة دعائيه بعد أن كانت تعمل لصالحه، وانقلاب أبي الطيب عليه لا يقل خطرا عن انقلاب رجل من حاشيته يتصيد فرصة إزاحته عن كرسي الملك . من هنا نفهم أنَّ وظيفة الشاعر دعائية في أساسها، وقد حافظ الشعراء على هذه الوظيفة في العصر الحديث، العصر الذي يدعى في التاريخ الأدبي بعصر النهضة الأدبية، حيث اعتمد رجال السلطة على الشعراء كما فعل أسلافهم، ومن اللافت أن نجد في هذا العصر استحداث خطة تسمى بـ «شاعر الأمير» أو «شاعر الملك»، وهي خطة كان يتسابق الشعراء لنيلها ليضمنوا راتبا يضمن لهم معاشا كريما ويجعلهم قريبين من ذوي السلطان مقابل تسخير طاقتهم الشعرية لنشر فضائل العائلة الحاكمة ومدح إنجازاتهم وستر معايهم عن الشعب، وأشهر من تولى هذه الخطة الشاعر المصري أحمد شوقي الذي كان شاعرا للأمراء قبل أن يصير أميراً للشعراء، ويذكر أنَّ الخديوي عباس كان قد عين أحمد شوقي رئيسا للديوان العربي، وهو منصب يعادل منصب وزير الإعلام أو وزير الدعاية . هذا الاعتماد على الشعراء تلاشى بمجرد غزو وسائل التأثير الحديثة للعالم العربي كوسائل الإعلام والسينما .

شعر الحماسة وسيلة دعائية حربية

قبل أن نفصل في كون شعر الحماسة وسيلة دعائية حربية تتشابه مع وسائل الدعاية التي اعتمدت في الحروب عبر التاريخ، ينبغي لنا أن نعرف شعر الحماسة أولا، فبين أيدينا مركب إضافي يتكون من مضاف هو كلمة شعر ومضاف إليه هو كلمة الحماسة، وبما أن حديثنا دائر حول شعر الحماسة في العصر القديم، فتعريفنا للشعر لن يتجاوز تعريفات القدامى، فهو الكلام الموزون المقفى الدال على معنى، على أنَّ هذا التعريف يفتح الباب لاعتبار ما لا يصح أن يُعتبر شعرا شعرا، فلا يكفي الوزن والدلالة على المعنى، لأنَّ المنظومات التعليمية كآلفية ابن مالك مثلا تجتمع فيها هاتان الخاصتان، ولكنها ليست بشعر، لذلك سنضيف سمة أخرى قررنا ابن خلدون وهو يعرف الشعر، وهي سمة البلاغة، فصاحب المقدمة يميز الشعر بكونه كلاما بليغا، وهذه سمة توافق حديثنا عن الشعر بأعباره وسيلة تأثيرية، لأنَّ البلاغة أكثر ما يؤثر في العرب قديما،

وبلاغة الشعر تجعله مؤثرا ضرورة، ثم إن صفة البلاغة تجمع مختلف مقومات الشعر الفنية، كالصورة الشعرية وأساليب صياغتها من تشبيه واستعارة، لأنَّ هذه المقومات تشكل بلاغة الشعر . وأما كلمة الحماسة فلم نجد لها تعريفا أفضل من تعريف عبد اللطيف شرارة الذي قال : الواقع أنَّها معنى غير الشجاعة، وغير الاستعداد للقتال، وغير الشدة أو التشدد في الدفاع عن العرض أو الرأي أو العقيدة إنها تحفز نفسي للبذل والدفاع والوثوب والفداء .

و نتبين مما سبق أننا إزاء كلمتين أولاهما تدل على شكل تعبير أدبي مؤثر، وثانيتها تدل على حالة نفسية، فيكون شعر الحماسة هو : الكلام البليغ المنظوم الذي يُقصد منه تحفيز النفس للبذل والدفاع والوثوب والفداء . وإثارة هذه الحالة الحماسية تفرض على الشاعر أن يعتمد تقنيات وأساليب مخصوصة سنحاول رصدها بالاعتماد على ما بين أيدينا من مدونة شعر الحماسة، وستلاحظ أنَّ الأساليب المعتمدة تقاطع في جانب كبير منها مع الأساليب التي اعتمدها وسائل التأثير في الحروب الحديثة . وشعر الحماسة في الأدب العربي قديم قدم الحرب في التاريخ العربي، ومثلما أنَّ الحرب لم تهدأ على امتداد التاريخ العربي الإسلامي إلا في بعض فترات الاستقرار فإنَّ الشعر لم ينفك عن الحضور في هذه الحروب لتحفيز المحاربين ووصف المعارك وتخليد الانتصارات والأعمال البطولية، لذلك فإنَّ مدونة هذا النوع من الشعر لا شك ثرية ثراء التاريخ العربي بالمعارك والحروب، وهذا الثراء يحتم علينا أن نعتمد في بحثنا هذا على أشهر الشعراء في ميدان الحماسة . وشعر الحماسة موضوعاته متشعبة ولكنها تجتمع لتحقيق غرض واحد، هي إثارة الحالة النفسية الحماسية وشحن المقاتلين بالشجاعة وصلابة النفسية مثلما يشحن السلاح رصاصا، ويعتمد الشعراء تقنيات مخصوصة لإثارة هذه الحالة، وها نحن نعددها ونبين تشابهها مع التقنيات التي تعتمدها وسائل الدعاية الحربية الحديثة بالاعتماد على مواقف تاريخية .

تسليط الضوء على القائد وتقديمه في صورة أسطورية : أمة بلا قائد هي أمة ضائعة، وجيش بلا قائد جيش مهزوم، ومصير الجماعة محكوم بمصير الفرد الذي يقودها، فنجاحه يعني نجاحهم وفشله يعني فشلهم، وهو إما أن يكون سبب خلاصهم وإما أن يكون سبب استعبادهم وشقاوتهم، هكذا هو القائد عند بعض الأمم التي تسلم قيادتها لقائدها في السلم وفي الحرب، وقد نظر العرب المسلمون قديما إلى قادتهم هذه النظرة، فشاعت عندهم فكرة أنَّ القائد هو الأمة، نصره يعني نصرها، وهزيمته تعني هزيمتها، ولهذا فمن الطبيعي أنَّ شعراء الحماسة يسلطون الضوء على قادة الجيوش دون غيرهم من الجنود، خصوصا إذا كان قائد الجيش أمير الدولة نفسه، والجيوش في المعركة تعلق آمالها بقائدها حتى إنه إذا قُتل انسحبت وانهزمت، فموته يعني موتها مثلما أنَّ موت الدماغ في الجسم يعني موت بقية الأعضاء، وفي الحرب العالمية الثانية لم يستوعب الألمان أنهم هزموا حرفيا إلا حين سمعوا بموت أدولف هتلر، فحينئذ علموا أنَّ كل شيء انتهى، وكانوا قبل سماع خبر وفاته متشبثين بأسلحتهم للدفاع عن برلين وكانت كل الدلائل تشير إلى أنهم هزموا ولكنهم لم يقرروا بذلك ويستسلموا إلا بعد موت قائدهم، وإذا أدركنا ذلك علمنا لم يسلط الشعراء الضوء على القادة، وفهمنا مقولة أن حضور المدح في القصيدة الحماسية يخدم الغرض الحماسي، فعلى الشاعر ليحفز الجيوش أن يقدم لهم قائدهم رجلا قويا لا يقهر ولا يهزم ولا تقف قوة في طريقه، وعليه أن يجهد في المحافظة على هذه الصورة، فما دامت هذه الصورة على حالها دامت نفوس الجنود مطمئنة قوية مؤمنة بالنصر لأنَّ عقلها المدبّر بخير وقوة، ومركزية القائد تجعل الشاعر ينسب إليه جميع المآثر والأعمال التي حقق من خلالها النصر ودفع الخطر حتى وإن لم تنتسب إليه هذه الأعمال والمآثر وكان الجنود أصحابها، فهذه المركزية تجعل كل منقبة وعمل بطولي فعله غير القائد ملك القائد، مثلما يُنسب إلى العقل فضل كتابة بحث قيم مع أنَّ اليد هي التي أمسكت القلم وكتبت، ولكنَّ العقل هو الذي حرَّك هذه اليد، وهذا ما يظهر في مخاطبة أبي تمام المعتصم بالله في فتح عمورية :

لقد تركت أمير المؤمنين بها
للنار يوما ذليل الصخر والخشب

أو مخاطبة المتنبي لسيف الدولة :
نثرتهم فوق الأحيب كلَّه
كما نثرت فوق العروس الدراهم
فالأعمال البطولية التي لا يمكن إلا أن تنجزها المجموعة ينسبها الشاعر إلى شخص واحد وهو القائد، فلا المعتصم وحده أوج الحريق بعمورية ولا سيف الدولة وحده نثر الجنود فوق المرتفع، ولكنهما العقل المدبر لهذه الأعمال، والسلك الذي ينظم الجنود حتى إذا قُطع السلك تناثروا :

تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتقب في الله مُرتَّب

هذا لا يعني أنَّ الشعراء يهتمون الجند ويكتفون بتسليط الضوء على القادة، ولكن ذكر الجند يندرج ضمن تقنية دعائية أخرى نذكرها لاحقا . ولا يكتفي شعراء الحماسة بتسليط الضوء على القادة والأمراء، بل يحرصون على أن يرسموا لهم صورة مثالية أسطورية يجعلونهم بها أسوة حسنة لرعاياهم وجنودهم، صورة تصف أحوالهم في السلم والحرب، وحتى تكون صورة القائد مرضية عند شعبه وجب على الشاعر أن يقدمه على أنه شخص يتحلى بالقيم والمبادئ التي يحبونها ويرضونها في السلم والحرب، لذلك حرص شعراء الحماسة أن ينسبوا إلى ممدوحهم كل القيم التي تواضع العرب على استحسانها، بل جعلوهم أكثر الناس حفا من تلك القيم حتى بالغوا في وصفهم بها، فالممدوح حسب الشاعر يتحلى بالكرم إلى درجة أنه مستعد لبذل كل ما يملك حتى حياته ونفسه

و لو لم يكن في كفه غير رُوحه
لجاد بها فليتيق الله سائله

و يتحلى بالشجاعة إلى درجة أنه يقدم على الموت والمخاطر دون أن يبالي

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلهم هزيمة
و وجهك وضاح وتغرُّك باسم

و يتحلى بالقوة إلى حد قدرته على فعل الخوارق والمعجزات ، وهو المتدين حامي حمى الإسلام الذي له خلق الأنبياء والصحابة والصالحين، وكل أفعاله مباركة من عند الله، وحرابه مقدسة . وهو مخلص شعبه من كل المخاطر . وقد ساعد الشعراء على رسم هذه الصورة ما تتيحه اللغة الشعرية من أساليب التصوير الفني كالتشبيه والاستعارات . هذه الصورة المثالية لا تتوافق لا شك مع شخصية القائد الحقيقية التاريخية التي لا تعدو كونها شخصية بشرية لها محاسنها وعيوبها، ولكن الشاعر يغض الطرف عن العيوب ويبالغ في ذكر المحاسن وقد يضيف من عنده محاسن لا توجد في الشخصية، تقديم القادة في هذه الصورة نجده عند رجال الدعاية في العصر الحديث، حيث قدم وزير الإعلام جوزيف غوبلز المستشار أدولف هتلر رجلا أسطوريا مثاليا يتوافق مع انتظارات الشعب الألماني، وصوره على أنه العبقري المخلص حامي ألمانيا من كل خطر يهددها، ومعيد كبريائها إليها بعد إذلالها حين هزمت في الحرب العالمية الأولى، والحريص على أمن شعبه وسعادته ورفاهيته، وبنفس الصورة قَدَّم زعيما الاتحاد السوفياتي فلاديمير لينين وجوزيف ستالين، وما زالت أجهزة الدعاية تعمل لتقديم الرؤساء ورجال السياسة في أبهى صورة، خاصة في الحملات الانتخابية، في صورة الرجل النظيف التي لا تعكس في الغالب واقع الشخصية لتعجب الجمهور .

تصوير القوة العسكرية :

لاستعراض القوة العسكرية في الحرب وظيقتان، أولاهما تخويف العدو، وثانيتها تحفيز الجنود بإفهامهم أنَّ لهم قوة عسكرية لا تُقهر، وفي العصر الحديث اعتمد رجال الدعاية على تطور التصوير حيث صار في إمكانهم تصوير الفيديوهات فضلا عن الصور الثابتة، فقاموا بتصوير العروض العسكرية التي تقيمها الدول في الساحات الكبرى وتستعرض فيها عدد جنودها الهائل ودباباتها ومدركاتها وأسلحتها المتطورة ، وقد وثق لنا المصورون العروض العسكرية التي كانت تُقام في الساحة الحمراء بموسكو حيث يسير الجيش الأحمر ، وفي برلين حيث يسير جنود الفيرماخت ، وإلى اليوم مازلنا نشهد هذه العروض التي تقيمها الدول ليُرهب بعضها بعضا، استعراض القوة هذا لم يقتصر على تصوير العروض العسكرية المقامة قبل الحرب، بل كان التصوير يحدث أثناء الحروب حيث تركز الكاميرات

في الأسر عائدا بالفائدة على سيف الدولة بحجة أنهم كانوا من الخونة، يقول في عينيته التي مطلعها :
غيري بأكثر هذا الناس ينخِذُ
إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا
قل للدمستق إنَّ المسلمين لكم
خانوا الأمير فجازاهم بما صنعوا

و كذلك لم يرد المتنبّي أن يعترف بأنّ الدمستق انتصر وأسر، حتى إنه في خطاب الدمستق سمّي الأسارى بالمُسلمين بفتح اللام، وهو اسم مفعول من أسلم الذي هو فعل من أفعال العطاء، فكأنّ الأمير هو من أهدى الدُمستق هؤلاء الأسارى لخيانتهم بزعمه، إنه نوع من إحباط معنويات العدو حتى حال نصره، وتنغيص لذة نصره حتى لا يشعر أنه أصاب غنيمة عظيمة، ويوقن أنّما حسبه نصرا وتمكينا إن هو إلا خسارة وزيادة في الخذلان والإهانة، ومحافضة على معنويات الأمير وجنده المهزمتين حتى لا يحسوا هذه الخسارة، فما هؤلاء الأسارى الخونة حسب المتنبّي إلا جيف ألقيت إلى ضبع لا يأكل إلا الميتة :

لا تحسبوا من أسرتكم كان ذا رمق
فليس يأكلُ إلا الميتة الضبُع

و أكثر القصائد التي نجد فيها قلب الشاعر الهزيمة انتصارا هي المراثيات التي ينظمها الشعراء في الأبطال الذين قتلوا في ساحة المعركة، ويضمنونها مناقبهم ومآثرهم وبطولاتهم، ورغم أنّ موت البطل المحارب في ساحة المعركة يعتبر هزيمة في منطق الحرب، فهو لا يعتبر كذلك في منطق الشاعر، بل هو لا يعدو أنّ يكون انتصارا لبطل ضحى بحياته في سبيل قومه وأمته، وإن ذكر الشاعر خسارة فهي خسارة الأمة لهذا البطل المغوار، وإنك حين تقرّ المراثيات التي ينظمها الشعراء في القادة والأمراء عقب هزيمتهم وموتهم ويضمنونها مناقبهم وبطولاتهم ومآثرهم تحسب هؤلاء القادة منتصرين لا مهزومين، فالشاعر كما القادة لرعاياهم وجندهم في أبهى حلة في حالي السلم والحرب كما أسلفنا، فإنه يسعى جاهدا ليقدمهم كذلك حال انهزامهم وموتهم حفاظا على معنويات الجند والشعب، لأنّ الاعتراف الصريح بهزيمتهم من شأنه يحبط المعنويات ويقضي على الأمل في التدارك والعودة والانتقام، ولهذا نجد أبا تمام يسمي مقتل القائد العسكري محمد الطوسي نصرا يعوض النصر الذي فاته :

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
تقوم مقام النصر إذ فاته النصرُ

و يخبرنا الشاعر أنّ بطله هو من اختار الموت والتضحية والشهادة صونا للشرف وخوفا من العار وهو القادر على النجاة والفرار، يقول :

وقد كان فوّت الموت سهلا فردّه
إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعُرُ
ونفس تعاف العار حتى كأنّه
هو الكفّر يوم الرّوع أو دونه الكفّرُ
فأنبت في مُستنقع الموت رجله
وقال لها من تحتِ أخمصكِ الحشرُ

خاتمة

نستخلص مما سبق أنّ شعراء الحماسة الذين جندوا طاقتهم الشعرية لرفع معنويات المحاربين وإحباط معنويات العدو لم تختلف طرق تأثيرهم وبلوغهم لهذه الغاية عن طرق رجال الدعاية الحربية، فمثلا كان رجال الدعاية يحرفون الحقيقة ويسلطون الضوء في أحداث الحرب وما يتعلق بها على ما يخدم غرضهم لا على الحقيقة كما هي، حرف شعراء الحماسة الحقيقة وانتقوا من أحداث الحرب التاريخية ووقائعها ما يخدم مقصدهم، وهو ما يثبت أنّ الشعر الذي عد وسيلة التأثير الطرازية عند العرب القدامى اتخذ سلاحا للحروب النفسية وآلة للدعاية الحربية . ولكنّ تراجع دور هذه الوسيلة حينما وصلت العرب وسائل تأثير أخرى كالصورة بنوعها الجامد والمتحرك، تراجع لم يكن خاصا بالشعر الحماسي فحسب، بل بالشعر عامة، فقد برزت على هذا الجنس الأدبي فنون أخرى صرقت الناس عنه إلا قلة قليلة ما زالت تعرف قدره وتقدر جماله وتأثيره .

غدا خائفا يستنجدُ الكُتُبُ مُدْعِنًا
عليك فلا رُسُلُ تُنْتك ولا كُتُبُ
مضى مُدْبِرًا شَطْرَ الدُّبُورِ ونَفْسُهُ
على نَفْسِهِ من سوء ظنِّ لها لبُّ
و يقول في وصف جُبْنِ جُنْدِ القائد البيزنطي منويل :
فالمشّي هَمْسُ والنِّداءُ إشارة
خوف انتقامك والحديثُ سِرارُ

و كان الشعراء يركزون في شعرهم على حال العدو عند انهزامه قصد إذلاله، فيصفون جنود العدو وهم قتلى متناثرون على الأرض، يقول ابن هانئ :

أرض تفجر كل شيء فوقها
بدم العدى حتى الصفا والجندلُ
و يصفونهم وهم أسارى، يقول المتنبّي :
أتوك يجرون الحديد كأنهم
سروا بجياد ما لهم قوائم

و حتى يظهر الشعراء العدو رمزا للشر ويحرضوا عليه المسلمين، كانوا يستجيشون عواطفهم الدينية بالتركيز على أنّ العدو شرٌّ يهدد ديانتهم ويسعى إلى تدنيس مقدساتهم، حتى إنّ بعضا منهم في قصائده يستعيز عن تسمية العدو بأسمه بنعوت تشير إلى كُفْرِهِ وشركه، فيدعونه وقومه بالمشركين أو الكفار، ويتجاوزن ذلك إلى التذكير بالجرائم التي ارتكبوها في حق أهل الديانة كاعتراضهم للحجيج في مسالكهم وتقتيلهم ونهبهم، وقتلهم للشيوخ والأطفال واغتصابهم للنساء ، كما كان يفعل الصليبيون في حملتهم على الشرق، فقد ذكر المؤرخون أنهم حين دخلوا مدينة القدس في بداية حملتهم طفقوا يقتلون من يعترض طريقهم لا يهمهم جنسه ولا سنه ولا حتى ديانته، فقد قتلوا فضلا عن المسلمين نصارى ويهودا كانوا يعيشون في القدس، كما ارتكب أرناط أشنع المجازر في حق الحجيج غير مكرث للهدنة التي عقدها صلاح الدين الأيوبي معهم . وإظهار أفعال العدو الشنيعة تقنية دعائية مألوفة في الحروب، تستغلها الأطراف المتحاربة ليشوه بعضها بعضا، وهذا ما فعلته الدعاية النازية مثلا حين اقتحم الجيش السوفياتي بروسيا الشرقية وقتل الشيوخ واغتصب النساء، حيث قامت بتصوير جرائمهم وعرضها للشعب الألماني لينقموا من العدو وينهضوا لقتاله، كما كان الشيوعيون في فيتنام الشمالية يصورون ضحاياهم الذين قصفهم الأمريكيان ليظهروا وحشيتهم . وما نستخلصه مما ذكر أنّ الشعراء يحرضون على أن يظهر العدو في صورتين، صورة الدوني الضعيف الهين حتى يتشجع الجند على قتاله، وصورة الشرير الذي يهدد وجودهم وقيمهم حتى ينقموا منه .

قلّب المفاهيم وتصويرُ الهزيمة نصرا والنصر هزيمة :
بعد خسارة الجيش الألماني أمام الجيش السوفياتي وبموت الكثير من الجنود الألمان وأسر البقية مع قائداهم الماريشال باولوس، حرص النظام النازي على ألا يدرك الشعب الألماني أن جنودهم هزموا، وسعوا جهدهم إلى أن يقنعوهم بأنّ الذي حصل ما كان هزيمة بل كان تضحية رغم أنّ الواقع يقر بهزيمتهم، وهكذا كانوا يتلاعبون بعقولهم ويحولون الهزائم في نظريتهم إلى انتصارات، من أجل المحافظة على معنوياتهم المرتفعة وإيمانهم بالنصر الحتمي، وفي هذا الغرض، كانت الدعاية النازية تصور كلّ انسحابات الجيش الألماني التي حدثت بسبب تفوق العدو عليهم على أنها انسحابات تكتيكية تدخل ضمن التخطيط العسكري الهادف إلى النصر، رغم أنّ انسحابهم حدث بسبب الهزيمة، فيوجد بون شاسع بينما تقوله الدعاية وما يحدث في الواقع، وهذه هي طبيعة الدعاية فهي كاذبة في أساسها وأعلامها يقرون بذلك، فقد كان وزير الدعاية الألماني جوزيف غوبلز يقول : اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس . ولم تغب هذه التقنية التي تستعمل للمحافظة على المعنويات المرتفعة عن شعر الحماسة العربي، خصوصا إذا ذكرنا أنّ الشعر في جزء كبير منه يشبه الدعاية في كونه خطابا كاذبا، بل إنّ الكذب عند أهله علامة على جودته وعذوبته، والشاعر ليس مؤرخا يصور لنا الحدث بمنتهى الموضوعية والحياد، فهو يكون الحدث لرؤيته الذاتية ويصوغه بما يتماشى مع غرضه ومقصده، ولهذا، لم يرد المتنبّي أن يعترف بخسارة سيف الدولة لبعض جنوده الذين وقعوا في أسر الروم، بل جعل وقوعهم

على تحركات الجنود وقتالهم للعدو، كما كان الطيارون يوثقون غاراتهم الجوية وقد خلد لنا التاريخ صورا لا تحصى عن ذلك، ولم يمتلك العرب القدامى كاميرات يصورون بها عدتهم وعتادهم ويستعرضون قوتهم في المعارك، في المقابل امتلكوا خطابا شعريا مكنهم من وصف كل ذلك بدقة، فوجدنا في شعر الحماسة استعراضا للقوة العسكرية اتخذت أشكالا متنوعة أهمها وصف العدة والعتاد وتصوير غارات الجند أثناء المعركة، فنجد الشعراء يشيدون بعدد الجنود الهائل وقوتهم وصلابتهم، يقول المتنبّي :

دخلتها وشعاع الشمسِ مُتَقَدِّ
و نورٌ وجْهك بين الخلق باهره
في فيلقٍ من حديد لو قذفت به
صرف الزمان لما دارت دوائرُه
و يقول :

خميّسٌ بشرق الأرض والغرب زحفه
و في أذن الجوزاء منه زمامُ
تجمع فيه كل لسن وأمة
فما تفهمُ الحُدّاث إلا التراجُمُ

و نجدهم يصفون الآلة الحربية من خيول ومراكب وسفن وسيوف ورماح ودروع وراجمات، يقول ابن هانئ الأندلسي في وصف أسطول المعز لدين الله الفاطمي :

أما والجواري المنشآت التي سرت
لقد ظاهرتها عُدّة وعديد
قباّبُ كما تزجى القباّبُ على المها
و لكنّ ما انضمت عليه أسودُ

و يقول أبو تمام مشيها الجياد بالصقور لسرعتها :
قُدّت الجياد كأنهنّ أجادِلُ
بقرى درولية لها أوكارُ

و تخليد الانتصارات يندرج أيضا ضمن استعراض القوة العسكرية لأنّ فيه تحفيزا للمنتصرين على تحقيق المزيد وتخويفا للأعداء وإنذارا لهم .

و هذا يثبت أنّ الشعراء كانوا واعين بالأثر الذي يحدثه استعراض هذه القوة العسكرية، فهو يذهب جنود العدو ويحفز الجنود الموالين ويعرفهم قوتهم .
تقزيم العدو وإظهار شره وتهديده :

في إطار حروبه الدعائية، كان النظام النازي يصور أعدى أعدائه الممثلين في اليهود والشيوعيين البلشفيين أنهم كائنات شيطانية شريرة لا تنتمي إلى البشر بأية حال من الأحوال ليحرضوا الناس على كراهيتهم ومحاربتهم مستقبلا، ويذكر أنهم كانوا يلقنون هذه الكراهية للأطفال في المدارس حتى ينشئوا على معاداة أعداء الرايخ، فكان السوفيات يرسمون في الكتب المدرسية مخلوقات حمراء اللون ذات قرون، كما هو حال الشياطين، أما اليهود فكانوا يصورون بأنهم مخربون وأعداء الحضارة البشرية وأنهم عرق متدن وحاول النظام إفهام الشعب أنهم سبب خراب ألمانيا وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى وتخلفها الاقتصادي وانتشار الانحلال الأخلاقي في المجتمع الألماني، وقد رأينا بأعيننا نتيجة هذه الدعاية التي أثمرت سنوات من القتل والتشريد والاعتقال والنفي . وكان المصورون في الحروب يوجهون كاميراتهم إلى الأعداء عند هزيمتهم، فيصورونهم وهم ملقون على الأرض جثثا، أو يصورونهم وهم أسارى يسير بهم الجنود إلى المعتقلات، أو يصورون انسحابهم وفرارهم لإذلالهم وتقزيمهم في أعين الناس . إن تقزيم الأعداء وتشويههم وسيلة من وسائل التحريض على كراهيتهم وقتالهم، ولم يُهمل شعراء الحماسة هذه الوسيلة، ففي مقابل إعلانهم من شأن القادة والجنود الذين يوالونهم وتصويرهم في أبهى صورة، حرصوا على أن يرسموا للعدو صورة شنيعة ومنفرة وحاملة على الكراهية، وحتى تعطي هذه الصورة مفعولها من الكراهية والتحريض، وجب عليهم إظهار العدو مخالفا في أفعاله ومعتقداته للنظام القيمي الذي تواضع عليه العرب المسلمون ورضوا به، في السلم وفي الحرب خاصة، وبما أنّ الشجاعة أهم القيم التي يستحسنها العرب في الحروب، فقد كان الشعراء يصفون الأعداء بالجبن والخوف من الإقدام والفرار من الموت، يقول أبو تمام توفيل امبراطور الروم :

و لما رأى توفيل راياتك التي
إذا ما اتلّبت لا يقاومها الصلْبُ
توتى ولم يأل الردى في اتّباعه
كأن الردى في قصده هائمٌ صبُّ

عرفة الشابي، مؤسس الدولة الشابية وشيخ طريقة...

صلاح بوزيان، أستاذ باحث في الحضارة العربية الإسلامية



الفقيه المالكي وأحد مرابطي القيروان وصاحب القيروان، وفي ذلك إشارة لجمع الشيخ عرفة بين الفقه والتصوف والتسيير السياسي للبلاد.

ولقد وصفه مارمول كرخال في كتابه (إفريقيا) وكان شاهد عيان على صراع الشيخ عرفة ضد المخزن الحفصي ممثلاً في السلطان الحسن الحفصي الظالم الخائن والإسبان، ونعته بالفقيه المشهور وهذا يدل على شهرته ليس فقط في القيروان بل وخارجها فقال: (لقد ثار في القيروان ودون أن يكون مكتفياً بالسيطرة عليها، فقيه مشهور بورعه بين المغاربة).

ونجح الشيخ عرفة في جعل الإسلام الطرقي يمارس دوره التاريخي في التصدي للمستعمر وللسلطان المتخاذل، ويبني الحماس الوطني في نفوس المسلمين ويشحذ الوعي الشعبي ويبرز أهمية الوطن ويعلي واجب الدفاع عن حرمة، وبقيت الدولة الشابية صامدة طيلة 22 عام وسقطت سنة 1557م ورغم أن المصادر سكتت عن أسباب هذا السقوط فإننا نرجح فرضية الخيانة من بعض أهالي القيروان من الذين أغاضهم نجاح الشيخ عرفة وقدره الطريقة الشابية على بناء هذه الدولة هذا إذا علمنا أنه ثمة أعداء للشيخ عرفة بارزين هم أتباع الشيوخ الغريانيين. ولا غرابة في ما قام به الشيخ عرفة فقد كان أوائل المتصوفة يشاركون الناس حياتهم ويضطلعون بأدوار مهمة في إصلاح العقول والترشيد والتوجيه إلى العمل الصالح ويمنون قيمة العمل، فقد واجه الأوزاعي وسفيان الثوري الخليفة المنصور، ووعظ ابن السماك الرشيدي واضطلع الشيخ عبد القادر الجيلاني بإصلاح المجتمع ببيت العلوم والوعظ والإرشاد وأسس الطريقة وجدر التصوف في القرآن والسنة وحض المسلمين على العمل والكذب، إلا أن الإسلام الطرقي مع الشيخ عرفة بنا دولة وجابه المستعمر وهدم حصون الظلم، وعلل تجربة الأمير عبد القادر الجزائري شيخ الطريقة ومؤسس الدولة تنتزل في هذا الإطار وكذلك نذكر الشهيد عمر المختار المنتسب إلى الطريقة السنوسية في ليبيا وجهوده في مقاومة الغزو الإيطالي الفاشي.



مقام الشيخ عرفة الشابي

الشابي في وقعة باطن القرن، وذلك عندما باغت الحسن الحفصي ليلاً وقد نزل بباطن القرن استعداداً للهجوم على القيروان، وانتصر عليه مما اضطره إلى الفرار بصعوبة، وانضم معظم الجيش الحفصي إلى جيش عرفة، ونجحت الطريقة الشابية في إقامة دولة بديلة للدولة الحفصية على جزء مهم من البلاد التونسية وفي موقع استراتيجي وذلك بالقيروان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر ميلادياً وتحديداً سنة (1535 م). وحينما نقبنا في الوثائق التاريخية وجدنا دلائل على المكانة الروحية الرفيعة للشيخ عرفة الشابي في قلوب الناس، من ذلك ماورد في رسالة الحاكم العسكري الإسباني لخلق الوادي فرنسوا دوتوفار المؤرخة في 30 أبريل 1538م، والتي وجهها إلى إمبراطور إسبانيا قال: (ويعتبر سيدي عرفة في نظر الأهالي شخصية مقدسة تتمتع في هذه المنطقة بتأثير أكثر من تأثير ملك أو أي شخص آخر). وتواترت الأوصاف في كتب التاريخ بين

سياسياً واجتماعياً عنه، وتذكر كتب التاريخ أن الشيخ عرفة اتصف بعلمه وتأثيره البالغ في القبائل وقدرته الفائقة على تعزيز الهوية العربية الإسلامية وإذكاء روح الانتماء الوطني في صفوف الناس، واتخذ دوره كشيخ طريقة وفقه وسيلة لبيت الوعي في الناس فعلمهم وأرشدهم ونبهم إلى المخاطر التي أحاطت بالبلاد وانتشار البؤس والفقر في المجتمع، وأقنعهم أن الخلاص من ظلم المستعمرين وظلم السلطان الحفصي لا يكون إلا بأيديهم وأنفق الوقت الكثير في ترشيد المسلمين مما جعل أحد العلماء يصفه قائلاً: (إن عرفة يعلم التوحيد لرعاة البقر)، واستجاب الناس فنظمهم أحسن تنظيم وكون جيشاً متيناً متانة عقيدة أفرادهم وإخلاصهم لوطنهم والتوق إلى تخليصه من ظلم السلطان والمستعمر، ورغبتهم صفاً واحداً وراء قائدهم الروحي الوي عرفة الشابي في تأسيس نظام عادل وبديل للدولة الحفصية الظالمة، وتوالت الانتصارات وتوجت بانتصار مبين لعرفة

حينما تولى أبو عبد الله الحسن الحفصي سدة الحكم في تونس بين عامي 1526م و1943م شهدت تلك الفترة تدهوراً اقتصادياً وألواناً من البؤس والفقر والاضراب الاجتماعي مما عمق الصراع بين الحضرة والبدو، وشجع أطماع العثمانيين فهاجمها خير الدين باربروس سنة 1931م وأطرد السلطان حسن الحفصي والذي استنجد بكارلوس الخامس ملك إسبانيا وتخبرنا كتب التاريخ أنه استجاب له وأرسل أسطولاً وأطرد العثمانيين سنة 1535م وفرض الحماية الإسبانية على البلاد، واسترجع الحسن الحفصي الحكم، وأثناء ذلك كان الوي وشيخ الطريقة الشابية عرفة بن العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي (ت 1542م)، يمارس دوره وسط الناس في تدريس العلوم والوعظ والتوجيه والإرشاد ويوقظ الضمائر ويستنهض الهمم ويحيي الإسلام في قلوب انصرفت عن الدين وانشغلت بالإغارة أو التسول أو طلب الرزق تحت وطأة الظلم والقهر وطغيان السلطان الذي لا يهتم أمر الرعية ولكن يشغله دوام ملكه، واستطاع عرفة إمام الطريقة الشابية أن يؤثر في المجتمع ويربي المريدون تربية روحية تجعل الصوفي داخل مجتمعه يضطلع بدوره الموكل إليه ويساهم في إصلاح ما أفسدته الدولة الحفصية، ولا ينبت عن الواقع المعيش وأمر المسلمين وحال البلاد.

واستطاع الشيخ عرفة أن يجعل الطريقة منهجاً للحياة مثلما هي مسلماً روحياً واتخذ من العلوم ثروة ينشرها بين الناس، وقد مثلت هذه اللحظة التاريخية أبرز لحظات تجدر التصوف في القرآن والسنة وتأصله في سياقه التاريخي وفي البيئة الاجتماعية. كيف لا والشيخ عرفة فقيه مالكي وشيخ طريقة. وبكل اقتدار وقف الشيخ عرفة في وجه الدولة الحفصية أعلن استقلاله عن سلطان الدولة الحفصية في القيروان وفي الشمال الغربي وفي الوسط والجنوب الغربي وفي قسنطينة وفي بلاد سوف وامتد نفوذه إلى مشارف العاصمة، وبذلك لم تكتف الطريقة الشابية باعتبارها مؤسسة شعبية بالاعتراض على السلطان الحفصي بل أعلنت نفسها بديلاً

صورة تتحدث



ثلاثة من كبار الفن
التونسي الأصيل:
راؤول جورنو وقدر
الصرارفي وعلي الرياحي
رحمهم الله وأجزل ثوابهم...

«أفراح مسترقة»

رسائل ألبيير كامو
ALBERT CAMUS
وسيمون دو بوفوار
SIMONE DE BEAUVOIR

ترجمة : لطفي عيسى



سيمون دو بوفوار وألبيير كامو

نشرت «مجلة الفلسفة» في عددها الأخير وبمناسبة الذكرى الستين لرحيل «ألبيير كامو» وثيقة نادرة تثبت حضور علاقة عاطفية سرية بينه وبين الفيلسوفة «سيمون دو بوفوار»، وذلك بالتوازي مع العلاقة التي ربطتها برفيق دربها «جون بول سارتر». ونظرا للقيمة الأدبية الراقية لتلك الرسائل ونوعيتها الاستثنائية صياغة ومضمونا، استبقت تلك المجلة صدور تلك المراسلات الحميمة في غضون الأسابيع القادمة، عامدة إلى نشر عيّنيتين تحيلان على رسالة «ألبيير كامو» المحرّرة بتاريخ 12 أكتوبر من سنة 1951 وردت «سيمون دو بوفوار»، على رسالة كامو. لذلك سنعمد، توسيعا لدائرة الاطلاع وغبطة التقاسم، إلى ترجمة هاتين العيّنيتين البديعتين في ضربهما من الفرنسية إلى العربية، أملين أن نكون قد أسهمنا بتلك الطريقة في هذه الاحتفالية الأدبية والفكرية.

باريس في 12 أكتوبر 1951

الرقيقة سيسي،

تعلمين جيدا أنني لم أكن يوما رجل محبًا لكل استعراض طافح للمشاعر. «فالإسراف في التعابير العاطفية كاشف لحقيقة الأوغاد» وفق ما أبدع في التعبير عنه «غوستاف ميرنك GUSTAVE MEYRINK». لذلك كثيرا ما أتحاشى التظاهر بالتعابير البراقة، حتى وإن أحيى في خاطري كل لقاء بيننا شاعرية مذهلة، كنت أعمد ببلاهة إلى صدها وكتمانها. أنت تعرفين مثلي أن لا خلاص لنا إلا في الفن وفي الحركة والفعل. وصدّقيني أنت تحذقين في تصوري المزج بين هاتين الخصلتين. فما الذي يمكن أن يحلم به المرء أكثر من حصول لقاء بين ذاتين؟ فأنت موسيقي، وروحي، وتشكيكي البديع، أنت العصية عن القراءة، وأنت الفاتنة المجلّة بالنعناية معا. أنت ببساطة تلك الرفيقة التي ذهب في مطلق ظني أنه لم يعد بالإمكان العثور عليها في وحدة الطريق التي اخترناها (أو تلك التي انتخبنا لنعيش قساوتها).

ضئيل هو الفنان الذي ليس له من ملهمة. وأعزيريني القول، فإن هذا الضئال يسهل سحبه فيما أتصور على جميع بني البشر. فلنمجد الفعل إذن! هنا أيضا بوسعك أن تمنحيني في سخاء ما يمكن أن ستوعب وجودا بأكمله. نُور يتلأأ في دجى الليل ليذهب حماقة ما نستعيده ببلاهة مع شروق كل شمس، أو «أصابع أخطبوط للتعمة» (وفق تعبير شفاهك السحري) لَمَّا تلحّ الحاجة إلى الانسحاب قليلا من الفوضى التي تعمّ الكون. سُكُونٌ في سعة ذراعيك يضاهي حنانه أجمل قرى بلاد الاغريق المنعزلة. ينتابني شعور بأنني من قبلك كنت أعيش قدر محتال وضيق. صحيح أن الحقيقة هي أكثر الأشياء لمعانا وغريا أيضا حالما تتكشف لنا، لذلك غالبا ما نفضل قضاء حياتنا عند سفح ظليل شبه عتم، لأن السفح المقابل يُشعّ بلمعانه فيدفعنا إلى الاحتماء أو

برد الشتاء؟ فالحب طفل صفيق مجيد ووقح، وجميع أحاسيسنا بما في ذلك تلك المحرّمة (أو تلك التي نستبعدها؟) ستكون ألف مرة أكثر نبلا وجمالا وتوهجا أيضا مقارنة بما نحياها. لقد أمعن رفيق دربي في تعذيبي حتى كاد يتحوّل بصراحة إلى شخص سخي. ولا أعرف أي امرأة سأكون، إذا ما سوّلت لي نفسي احتقار هذا الشعور الفياض بالمحبة. فقد انتزع مني سجيّة الذوق السليم ودفعني إلى هدر كرامتي من خلال الشكوى إلى طرف غريب. إليك ألبيير اشتكي لأنني أحتاجك كثيرا. فنفاذ صوتك، وابتسامتك الماكرة، وحرارة أنفاسك على صدغي المُعنى، قد حوّلتك إلى واحة ظليلة في هذه الصحراء الممتدة. تتعقبك مشاعري الجميلة أزلا، لا ينبغي أن تعتريك في ذلك الشكوك أبدا. ليس بوسعي انتظار اللقاء بك هذا السبت. ألتقيك بمجرد التخلّص من تناول وجبة العشاء. محبوبي.

مملوكة يدك

للإطلاع على الصياغة الأصلية في اللغة الفرنسية للرسالتين يمكن العودة إلى الرابط أسفله من عدد شهر أبريل 2023 للمجلة الفلسفية.

HTTPS://WWW.PHILOMAG.COM/ARTICLES/EXCLUSIF-LECHANGE-AMOUREUX-ENFLAMME-ENTRE-SIMONE-DE-BEAUVOIR-ET-ALBERT-CAMUS?FBCLID=IwAR0msKvRqUrJ1RLMH0XBeyGN25HpqQBWS2KEByMkK2_AqB7eL-VJL3LV74c

ارتباطاتها، إلى الانغماس، وفي ميل أصم، في لطف جنسها. فعندما لا يكفي الحنان وحده تحتاج الوحدة منّا إلى لذات أحرّ. أنت وحدك تعرف كيف تُهدئ استبداد طوفان تلك اللذة التي تغمر داخلي. وتعرف أيضا كيف تُضرم بهجة الجحيم الجهنمية.

أُتفق تماما مع ما تقول. وأهب نفسي أنا أيضا دون قيد أو شرط. فأنت تُدرك (وفي الأمر اعتراف بذلك لك ولنفسي) أنني لا أعتز على الراحة والسكينة إلا بين ذراعيك اللذان أتوق لهما بكل وجداني. فبعد ليالي مديدة من الإهمال ومثيلاتها من الأمسيات الكئيبة التي يبدو خلالها رفيق دربي وكأنه يرضّ عليّ حتى بمجرد تجاذب أطراف الحديث، ويفضّل الانهماك في التصابي واللهث وراء الفاتنات، لا أعتقد أن أحد بوسعه تجاهل طراداتك الأخاذة، أو أن يتغافل عن انسانياتك وكرم أُنك النصته لمزاجي المتقلب، فالقليل من اهتمامك لا يمكنه إلا إدخال عميم السعادة وواسع الغبطة على روحي. فقد صادفت نفسي وأنا أشكر لك إطفاء عطشي وإشباع شهوتي وأيقاظ أنوتتي...لأنني مثلك أيضا أشعر بأنني أكاد أتحوّل إلى شخص غبي كلما حاولت التعبير بهذا الشكل على ما يغمرني من فيض الأحاسيس. حبذا فذلك واقع حالي وحقيقة أمري بعد أن تحولنا إلى كائنين يستكشفان جسدهما بمطلق الدهشة والسادجة الوليدة. أليس في هكذا تصرّف مبرك تعريف متجدّد بمعنى البراءة؟ ما تعتبره خليق بالذكر كما تقول، يصح أيضا عزيزي في حقنا كإناث. لكن لماذا ينبغي علينا أن نطفئ النار التي ستنتصر لامحالة على

التحوط، تماما مثلما نخشى أن تتعقّب أفعالنا أعين الحاسدين.

ليس حديثي من باب الاستطراد مطلقا، لكنني أحاول بطريقة قد تبدو ملتوية أن أوكد لك أنه لم يعد بوسعي الاغضاء عن مجاهرة الذكور بصفاقة عن فخرهم الزائف بحريتهم التامة ماديا واجتماعيا وعاطفيا. أحبك سيسي. وأتعقّل جيّدا مدلول تلك الكلمات التي سبق وأن عبرتني عن شكوك من تقصّدي في بدّلها لك. كما أفهم جيّدا ما تعنيه تلك الكلمات ضمن خصوصيات السياق الذي نخي.

فليكن، أنا أحبك وهذا وحده يضاعف سعادتني. فلما ينبغي عليّ أن أحرم نفسي من فيض هذا الإحساس الذي يغمر روحينا. لنعش ذلك وكفى!

ملاحظة: هل ستأتين في غضون الأسبوع المقبل إلى نهج «بيلشاس»؟ أخطرتني البارحة بذلك «روني». أمل من كل قلبي أن تهلي.

ألبيير

عزيزي الخمسيني الهرم،

يروق لي أن أقرأ جديد رسائلك، فكل واحدة منها تسحرني وتخرجني من سباتي الجاف. لو علمت كيف أنني أضحيت أرقب مع حلول كل صبيحة، ومن خلف المضلة، مثل صبية عاشقة جيئة ساعي البريد وذهابه، فسوف تضحك من دون شك من تصرفاتي الخرقاء. أعرف جيدا أنك تحذق الاطراء، ولكن هناك من اللحظات الفارقة ما يدفع أي امرأة، مهما كان اصرارها على أن تكون سيدة قدرها والمتحكمة الوحيدة في



عرض المعتق... أو العودة إلى الجذور

د. رضا القلال

الطاهر غرسة، مصطفى الشرفي، الهادي القلال، الشيخ العفريت...

تحية من القلب لكل من ساهم في ترتيب هذا الحفل الموسيقي، وكانت ساعتان تأرجحت فيهم مشاعرنا في الموروث الموسيقي التونسي، وقرعت الأجراس فانطلقت الأيدي بالتصفيق أكثر من مرة ومرة ونقلت عيون كاميرا الحضور مشاهد من الحفل من المسرح إلى الفضاء الخارجي. والذي أبهرني فعلا أن كل الطاقم الموسيقي والغنائي كان متحفزا معظم الوقت من العرض إن لم يكن كله، ومصرًا على حسن الأداء والنجاح في العرض. ولا أنسى اللباس التقليدي المميز للمجموعة النسائية الذي ينضح بالجمال، فتحية خاصة إلى الأستاذ بريم الزوش على دعوته، وإتاحته الفرصة لنسج هذه الخواطر.

لم تمتلأ القاعة بالكامل حقيقة، ولكن هذه الأغاني التي كرسنا العودة إلى الجذور دفعت الحضور إلى النشوة والإعجاب، وغمرتنا بهجة بالاستماع إلى فاطمة الدامي (ما نحبش فضاة وذهب) وفاطمة زويب (كواتني كواتك) وسحر بن كحلة (ما أحلى الدنيا بك وبّي) وفاتن زويب (ياما يا غالية) وشامة عزية (سود قتالة) وكلهن يحملن بذرة متحفية في الأعماق... مشروع فنانة... إلى أن وصلنا إلى فقرة الفنان أنيس تمر الذي صمم العرض، واشتغل عليه سنة كاملة.

التاريخ الموسيقي التونسي وتمييزه التاريخي وتقاليده العريقة كان حاضرا في هذه الليلة الاستثنائية بمسرح المركب الثقافي محمد الجموسي التي جاءت تحت «أفيش» المعتق من أجل تجديد مواردها الإبداعية. وحلقنا من خلال سيناريو العرض مع الفنانين عليّة، شبيلة راشد، نعمة، صليحة،

في ليلة رمضان أجمل من الجمال ذاته... وعلى مفترق الفصول بين الربيع (يوم السبت) والشتاء (أمطار يوم الأحد) كان لنا موعد مع عرض المعتق وكان فرسانه: الفنان أنيس تمر، وقائد الفرقة الأستاذ عارف المذيب، وإدارة الصديق العازف الأستاذ بريم الزوش، إلى جانب مجموعة نسائية (35) و(14) عازفا.

وشهد مسرح المركب الثقافي محمد الجموسي بصفاقس ليلة مضيئة بالموسيقى الرفيعة التي تنهل من الخزان الموسيقي التونسي الأصيل. فقد استمعنا إلى شغل كيف العمل، ومع العزابة، وجار عليّ، ويا الواشمة، ويا عاشقين ذاك الشعر، ولا نمثلك بالشمس ولا بالقمر، ومخونق بنت المحاميد، وزعمة النار تطفاشي، وبالك تنساني يا بنية جمال... عرض خلق حلمه الخاص...

علاقة الصفاقسي باللوز (الزلون)

صورة تتحدّث



اختار الصفاقسي شجرة اللوز «الزلون» لأنها تصبر على الجفاف وكانت تغرس حذو الطوابي (طرابي الهندي) حتى إذا أصابها جفاف إرتوت من عروق (الهندي). وكانت هدية الصفاقسي لقريبه أو صديقه من أبناء العاصمة كمية من اللوز الذي عرف أجوده ب «العشاق» ومن اللوز ما يُسمّى مغزاز وهو يؤكل أخضر. والصفاقسي لا يغرس من ذلك النوع إلا واحدة أما البقية مثل ك الفخفاخ -و الزحاف -و القسطيني - وشيخ روجو.. الخ..

للصفاقسي علاقة وطيدة بشجرة اللوز ترجع لمئات السنين. ولهذه الشجرة مكانة خاصة قد تقترب لمكانة شجرة الزيتون ورسمت طابعا خاصا في مختلف شؤون الحياة الفلاحية والاقتصادية وحتى في الاكلة الصفاقسية. حتى إن عدة أنواع منها تحمل اسماء عائلات صفاقسية قد تكون اول مشاتل هذه الانواع أتت بها تلك العائلات: فنجد لوز الفخفاخ والزحاف والقسطيني وشيخ روجه، وفطيمة... ونجد انواعا اخرى بحسب الطعم كالعشاق وهو افضل الانواع واللوز المر الذي يستعمل في صنع شراب الروزاطة والمغزاز الذي يؤكل أخضر.. وشهدت غرسة اللوز ازدهارا منذ عدة قرون في الاجنة وفي الاراضي الفلاحية «البر» (جمع بورة) الى جانب غرسة عود الرقيق كالحوخ والمشماش والكروم والتين... ولعل قدرة شجرة اللوز على الصبر وتحمل العطش والجفاف جعلت غراستها محبذة في جهة صفاقس.

وبفضل انتاج أراضي صفاقس تحتل تونس المرتبة الثامنة عالميا في إنتاج اللوز سنة 2006 بحوالي 52000 طن. ويصل انتاج الشجرة الواحدة إلى 20 كغ مع طاقة انتاجية تصل إلى 50 سنة. لذلك فإن فلاحه اللوز تتطلب عناية خاصة بالشجرة وكذلك تجديدا متواصلا للغراسات من جيل إلى آخر.

ويطلق الصفاقسي على اللوز على اختلاف بقية الجهات كلمة «الزلون». وفي بحثنا عن سبب هاته التسمية نجد انها تنسب الى «الجلوز» وتنطق الجيم بالدارجة زايا. اما الجلوز فهي الكلمة العربية لمرادفتها الفارسية «البندق» أو اللوز الالجبلي أو ما نعبّر عنه بالدارجة «البوفريوة».. ولا ندري أكان الصفاقسي يستعملون الكلمة خطأ لشجرة اللوز أو أن غرسة الجلوز كانت منتشرة قديما وبقيت الكلمة تنسب الى شجر اللوز الى يومنا هذا.

تزهّر شجرة اللوز في أواخر الشتاء لتضفي على الحقول والأجنة منظرا رائعا بالألوان البيضاء والوردي. ثم تثمر بداية من شهر مارس لتعطي اللوز الأخضر الذي يعشق اكله الصفاقسي خاصة منهم الصغار. وللوز الأخضر طعم خاص يختلف بحسب الانواع بين الحموضة والحلاوة ولعل ألذها هو لوز «المغزاز» الذي يأكل بقشرته. تنضج ثمار اللوز في فصل الصيف ويخبذ جمعه في آخر جويلية وأول شهر أوت قبل هطول الامطار لأنها قد تتسبب في إفساد ثمر اللوز.

وبعد «التطميش» والتجميع يتم التقشير ثم تجفيف اللوز المقشر تحت اشعة الشمس قبل ان يتم بيعه او خزنه بحسب الاستعمال. وآخر مرحلة قبل الاستعمال هي التكسير وقد يباع اللوز حبا وهو أغلى ثمنا.

ومن اللوز تصنع أغلب الحلويات الصفاقسية الذيدة كالبقلاوة والملبس والبقاوية والطواجن وكعك الورقة وكعك اللوز، ولا ننسى كذلك الهريسة الحلوة.



هيام الفرشيشي

ضمن السلسلة الرابعة والعشرين لتكريم رموز الفكر والأدب والفن التي ينظمها منتدى الفكر التنويري ويشرف عليها الباحث محمد المي، احتضنت مدينة الثقافة لقاء تكريميا للأديب والأكاديمي جلول عزونة يومي 3 و4 أبريل. شهد حضورا لافتا من طرف المثقفين والمبدعين يعكس قيمة هذا الرجل الأدبية والعلمية.

وقد قدم الباحث محمد المي جلول عزونة بكونه علم من أعلام الثقافة التونسية وهو الجامعي في اختصاص الفرنسية والكاتب المعروف. وهو قصاص وناقد ومحقق في التراث. ومولع بكتابة المدن وخاصة «الدخلة» عاصمة منزل تميم التي أرخ لأعلامها وعرف بتاريخها. وانطلقت الجلسة الفكرية الأولى يوم 3 أبريل برئاسة الدكتورة فوزية ضيف الله. وكانت المدخلة الفكرية الأولى للأديبة مسعودة بو بكر التي عنونت مداخلتها بـ «جلول عزونة كاتباً وباحثاً».

تحدثت الأديبة مسعودة أبو بكر عن «جلول عزونة الكاتب والقاص تحديداً». الذي بدأ كتابة القصة في أواسط الستينات في ظل حركة الطليعة والمناخ المفعم بظهور التجريب و بروز تيار الواقعية الاشتراكية. منطلقاً من مجموعته القصصية البكر «ويبقى السؤال» الصادرة في 1977، وهي تحت القارئ على فهم ما وراء السرد الظاهري للأشياء. أما مجموعته القصصية الثانية «الحب والخبز والهذيان» فلغتها غير معقدة. لا إيجاز فيها ولا تكلف. محافظاً على حسه التجريبي في روايته «العار والجراد والقردة» و«ولع أو رفوف الجنة». كما تطرقت مسعودة أبو بكر في مداخلتها إلى كتابه النقدي «في الفن القصصي»، وكتابه عن الذات ضمن كتابه «محنة السجن أو عروق الحرية» وكتابه «رياح الحياة». وأفردت الجزء الأخير من ورقاتها النقدية للحديث عن جلول عزونة الباحث والناقد.

-المدخلة الفكرية الثانية للروائي والصحفي حسن بن عثمان بعنوان «جلول عزونة الذراع

الموشومة» لاقتزان ذاكرة حسن بن عثمان بقصة لجلول عزونة موشومة في ذاكرته عن عملية تغسيل ميت، اكتشف المغسلون أن يد الميت موشومة وتقرر قطع اليد عن الجسد كي لا تكون دليلاً عن تشويه البدن. كما تطرق بن عثمان في مداخلة إلى البعد السياسي لجلول عزونة في معناه السامي دون أن يعمل من أجل أن يكون سلطة. مع أنه كان فاعلاً خفياً في السلطة الثقافية. كما اعتبر أن جلول عزونة ثالث اثنين في الثقافة في منزل تميم هما محمود التونسي والصادق شرف. وأن جلول عزونة هو مركزي من مدينة منزل تميم، ومن اعلام الجامعة التونسية، ينظر دائماً بعين الإنصاف للهامش.

-المدخلة الفكرية الثالثة للأستاذة منى الماجري بعنوان «سيرة الوطن...سيرة الذات في العار والجراد والقردة» بينت من خلالها أن هذا العمل لا يصنفه صاحبه ضمن نوع أدبي معين غير أننا نعثر في نهاياته على ما يمكن أن يشكل مدخلاً إلى تقصي مؤشرات سيرة الكاتب وسيرة بلاده في ما ورد من نصوص.

واختتم اليوم الأول بمدخلة عز الدين المدني. هي شهادة صادقة عن مسيرة رجل توزعت حياته بين الثقافة والسياسة.

في اليوم الثاني 4 أبريل ترأست الجلسة القاصة مها عزوز. وكانت المدخلة الأولى للأستاذة

نعيمة الحمامي التوايتي في مداخلتها المعنونة بـ «سيرة رجل وذاكرة وطن» تطرقت فيها إلى البعد النضالي لجلول عزونة الرافض للتزمت ولرقابة السلطة. وهو الأكاديمي والمناضل السياسي والمثقف العضوي مؤسس رابطة الكتاب الأحرار. وقد حملتنا نعيمة إلى جولة في مكتبة جلول عزونة حي المعموري وفي زنقة بن عزونة تحديداً. إلى دار عربي وقع ترميمها تحولت إلى مخزن للكتب. مخزن يعقب بروائح الماضي، يتقاطع فيه السياسي والثقافي، بالمحلي، بالوطني، بالعالمي. كما تطرقت نعيمة الحمامي في مداخلتها بكتاب جلول عزونة «رياح الحياة» وهو هدية من سي جلول لها. مذكرات تعود إلى فترات الاستعمار والتنكيل ببعض أفراد عائلته. فترة المدرسة الصادقية. نضالاته الطلابية في تونس وباريس. وذكراياته مع بورقيبة وفي نادي القصة. الثورة التونسية ويومياتها. مما جعل «رياح الحياة» حديث عن الحرية. حرية ناضل من أجلها مع نخبة من أحرار جيله. كما تناولت نعيمة الحمامي كتاب «عار .. الرقابة» لجلول عزونة تناول من خلالها الرقابة على الكتب المحجوزة مدافعا عن حرية النشر والتعبير.

المدخلة الثانية للدكتور منصف الوهابي بعنوان «نزهة الأبواب في ما لا يوجد في كتاب» أدب الجنس المرشح». بين أن في هذه القصص



جانب من لقاء تكريم الكاتب جلول عزونة

والنوادير التي تميز الكتاب، ما يغري بدراسة تتولى رصد التحولات التي تطرأ على التجربة الغرامية الجسدية في انتقالها إلى مستوى الكتابة الفنية التي تتمثل هذا المعيش الجسدي شعراً أو نثراً.

أما صاحبة هذه السطور هيام الفرشيشي فقد استخلصت من خلال مداخلتها حول رواية جلول عزونة «العار والجراد والقردة» جلول عزونة شخصية لا يمكن أن نفصل منها جانبا واحداً: فهو المبدع الذي يتفرس في أعماق الشخصيات في كل تلويناتها، حين يغمرها النور، أو تشرق في الظلام، أو تتنصل من ظلها كلما اختلط الخيال الداكن بالنور فتعيش حالة هجينة تمجها النفس.

وهو الأكاديمي المجدد الذي يثور على الرواية المحافظة على شكلها.

وهو المناضل اليساري الذي صدر روايته بتصديرات متعددة لشاعر الطليعة الطاهر الهمامي، حتى خلنا أن هذه النصوص السردية هي مثابة الترجيع لما كتب الهمامي وأن الإيقاع الطاغى عليها يستمد انسجامه منها.

«العار والجراد والقردة» رواية لا تخلو من سخرية ماكيافيلية تصم صاحب السلطة بالزحف وعدم النضج والتنكر لقيم التفكير والتطوير.

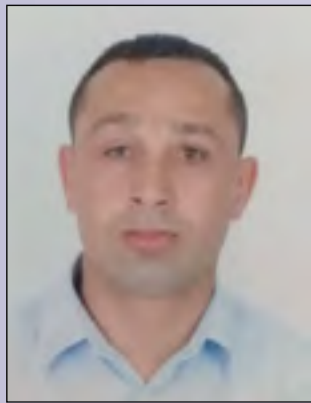
واختتمت الجلسة بقراءة في «فواتح» فصول كتاب «رياح الحياة» لجلول عزونة للأستاذ عبد الرؤوف العفيف. قراءة اهتم فيها بمقدمات افتتح بها جلول عزونة فصول مذكراته. خاصة وانها تستبطن العمق الوجودي للتجارب التي عاشها الكاتب في كل فصل من فصول الكتاب. مطالاً من خلالها على أهم مفاصل تجربته الحياتية التي قدمها على شكل مذكرات بأسلوب توثيقي، مما أهلها لتكون دراسة عن أدبه وعن الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والتعليمية في منزل تميم وفي تونس وحتى في فرنسا.

واختتمت الجلسات بشهادات للمكرم جلول عزونة وثلة من الباحثين والأدباء.

مساجد بنزرت العتيقة :

مواضع للعبادة ومحطات لذاكرة وتاريخ المدينة

فريد زمالي - محافظ مستشار بالمعهد الوطني للتراث



الأسكوب الثاني من جهة جدار القبلة قبة المحراب.

وهو تخطيط قد يفسر إما بوجود عوائق أثناء تشييد المعلم وإما بإضافات طرأت على مبنى قديم مرتبطة بالتأثيرات المتأخرة من العمارة الدينية الإفريقية على غرار قبة المحراب التي تمثل مركز التقاطع بين البلاطة الوسطى والأسكوب الملاصق لجدار القبلة قبالة المحراب. وكذلك قبة البهو الشبيهة بقبة جامع القيروان المؤرخة بسنة 220 / 835 والمميّزة بطاقيّة مضلّعة ترتكز على حنيات ركنية على هيئة أصداف. كما يمكن ملاحظة بقايا أرجل عقود الأقبية المتقاطعة المحمولة على الأعمدة والتي تمّ تعويضها بقباب صغيرة، في الزوايا العلوية لبيت الصلاة. هذا إضافة إلى وجود ثلاثة أبواب في الجهة الجنوبية تفضي إلى الصحن، أحدها يعلوه عقد فارسي شبيه بعقد المحراب وبالعقد الذي يعلو الباب الشمالي المؤدّي إلى مصلى النساء.

أما ما يمكن ملاحظته بالنسبة لبقية مكونات الجامع، فهو وجود بابين متجاورين كانا يتخللان الجدار الشرقي ثم تمّ سدّهما بالحجارة. وهو ما يعني أنّ المبنى قد كان في الأصل مزوداً ببابين رئيسيين من الجهة الشرقية وبتلات (03) نوافذ تعلوها عقود فارسية كانت تتخلل بقية الجدران قبل أن يتمّ تحويل اثنتين (02) منها إلى بابين والثالثة إلى محراب. ومما يلفت الانتباه بهذا المحراب احتواؤه على عمودين صغيرين أحدهما أحمر موشى بصفرة يشبه كثيراً العمودين اللذين بمحراب جامع القيروان، وقد كانت لهما قصّة مع حسان بن النعمان. فقد ذكر البكري أنّ حسان قد هدم جامع عقبة بالقيروان « حاشى المحراب وحمل إليه الساريتين الحمراءين الموشّاتين بصفرة اللتين لم ير الزاؤون مثلهما من كنيسة كانت للأول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب، ويقولون أنّ صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما إلى الجامع زنتهما ذهباً، فابتدروا الجامع بهما. ويذكر كلّ من رأهما أنّه لم ير في البلاد ما يقترن بهما». أما من حيث الهيكل، فتتميّز أغلب الجدران بمتانة البنيان وباستعمال الحجارة المصقولة ذات الحجم الكبير والمتوسّط، شيّد بعضها بتقنية «التأليف الإفريقي» (OPUS AFRICANUM) التي تمّت ملاحظتها كذلك بالجدار الشرقي لجامع الزيتونة وجدران جامع القصر بتونس المؤرخة بفترة ما قبل الفتح الإسلامي. هذا إضافة إلى كثرة الأعمدة والتيجان المعادة الاستعمال وتنوعها واختلاف أشكالها وهي ميزة تخصّ أغلب المساجد العتيقة.

حافظ هذا المعلم على شكله الأوّل حتى القرن XVI / X، إذ من المحتمل أنّ بعض أجزائه قد تهدّمت جرّاء أعمال التخريب الانتقامية التي أمر بها السلطان الحفصي وحلفاؤه من الإسبان ضدّ المدينة خلال سنة



صورة قديمة لصومعة الجامع الكبير بنزرت

بجميع المسالك والأنهج المؤدية إلى هذا الحي. وهو معلم صغير مقارنة ببقية الجوامع القديمة، لا تتجاوز مساحة بيت صلاته 300م²، كما أنّ تخطيطه ومكوناته المعمارية مختلفة عن مساجد العصر الوسيط الأوّل ذات المخطّط البازيليكي المعروف بالأخص بجامعي عقبة بن نافع والزيتونة اللذين يشكّلان المنوال المعماري العام المتبع في إنشاء أغلب مساجد إفريقية. فقد حافظ هذا الجامع على الشكل المستطيل لبيت الصلاة وعلى قبة المحراب لكنّه مكوّن من خمس (05) بلاطات، لا تفضي فيها البلاطة الوسطى إلى الصحن الذي نجده قبالة الواجهة الجانبية للجدار الغربي المتعامد مع جدار القبلة. كما أنّ عدد الأساكيب زوجي (04) وهي متساوية العرض تقريباً وتتقدّم

شهدت بنزرت مثل أغلب المدن العتيقة محطات تاريخية بارزة، لكنّ الشواهد الأثرية المرتبطة بها قد اندثرت بسبب التطور العمراني للمدينة ولم يبق منها اليوم سوى المساجد. وعلى أهميتها لم تلق هذه المعالم ما يلزم من البحث والتدقيق باستثناء المجهود الكبير الذي قدّمه بعض الباحثين مثل الهادي بوعيطة ورشيد الذواوي وأ. محمد علي الحبيب وأ. تفاعلة مفتاح. فما هي أبرز المحطات التاريخية التي ارتبطت بها نشأة مساجد بنزرت.

فتح بنزرت وتوطين العرب

جاء في رواية للبكري في ما نقله عن الوراق (ت 363/973) أنّ بنزرت قد «افتتحها معاوية بن حديج سنة إحدى وأربعين وكان معه عبد الملك بن مروان فشذ عن الجيش فمّر بامرأة من العجم من عمل بنزرت فقرّته وأكرمت مثواه فشكر ذلك لها فلما ولى الخلافة كتب إلى عامله بإفريقية في المرأة وأهل بيتها فأحسن إليهم وظاهر النعم لديهم». لكنّ الواضح أنّ الأمر يتعلّق فقط بإحدى الحملات الاستطلاعية الأولى التي بلغت ناحية بنزرت (سطفورة) وليس بعملية فتح حقيقي لأنّ الروم والبربر قد حافظوا على مواقعهم وممتلكاتهم بساحل بنزرت في خلافة عبد الملك بن مروان (65-86 / 685-705). ولذلك، بادر الخليفة المذكور بعد أن تمكّن من حسم أمر عبد الله بن الزبير، إلى تجهيز جيش كبير قوامه نحو 40.000 مقاتل، معظمه من جند الشام وعهد بقيادته إلى حسان بن النعمان على الأرجح خلال سنة 74 / 694 فيما رواه ابن الأثير (ت. 630/1233). ولما وصل حسان مدينة قرطاج، بلغه « أنّ النصارى اجتمعوا، وأمدهم البربر بعسكر عظيم في بلاد صطفورة فرحل إليهم حسان حتى لقيهم وقاتلهم حتى هزمهم؛ وقتل الروم والبربر قتلاً ذريعاً». ولا شك أنّ هذا الفتح قد رافقته عملية توطين للعرب بمدينة بنزرت وناحيتها، فقد ذكر اليعقوبي (ت. 284/897) أنّ في سطفورة (= ناحية بنزرت) « قوم من قريش ومن قضاة وغيرهم». كما ذكر ابن خلدون (ت. 808/1406) في سياق حديثه عن إمارة بني الورد اللخميّين في منتصف القرن V / XI، أنّ أهل بلد بنزرت قد كانوا منقسمين إلى فرقتين « إحداهما من لحم، وهم قوم الورد...».

نشأة جامع المدينة

من نافلة القول، أنّ التوطن العربي بالناحية قد رافقه إحداث مساجد تقام فيها الصلوات ويتلقّى بها المسلمون الأوائل دروساً في الفقه والعقيدة وأصول الدين. ولا شك أنّ هذا ما ينطبق كذلك على مدينة بنزرت العتيقة التي كانت نواتها الأولى في حدود حصن القصبة، إذ من غير المستبعد أن يكون جامعها المعروف بـ«جامع القصبة» قد أنشأ في ولاية

حسان بن النعمان خصوصاً أنّ هذا الوالي قد بنى مسجداً بقرطاج بعد فتحها وحول حصناً كائناً بباب منارة إلى جامع (هو جامع القصر الذي كان تابعاً لإمارة بني خراسان خلال منتصف القرن V / XI). وتعود أقدم إشارة إلى هذا الجامع في النصوص الأدبية إلى القرن X / IV، فقد ذكره المقدسي (ت 380 / 990) عند وصفه لمدينة بنزرت في قوله: « مسورة بناؤهم حجر والجامع وسط البلد...». كما ذكره البكري نقلاً عن الوراق قائلاً: « عليها [بنزرت] سور صخر وبها جامع...». وهو الجامع الوحيد على ما يبدو حتى أواخر العهد الفاطمي (363/973).

يقع هذا الجامع اليوم قبالة الباب الوحيد لحي القصبة، في وسط ساحة صغيرة تتحكّم

بشكل كبير وفود المهجرين من الأندلسيين. أما في بنزرت، فقد برزت بشكل واضح في عهد يوسف داي (1610 - 1637) الذي أنشأ المشروع الكبير لتزويد المدينة بالماء وشيّد برج سيدي سالم لحماية حي الأندلس من الغارات البحرية. وفي منتصف هذا القرن شيّد الداي محمّد لاز (-1647 1653) الجامع الكبير الذي يوجد في قلب أسواق المدينة بنهج الزنايدية أوائل شعبان 1063 / جوان 1653 حسب ما جاء بالنقوشة التخليدية المثبتة فوق المحراب. ثم أُضيفت له المزولة خلال سنة 1203 / 1789.

يحتلّ هذا المعلم موقعاً مميزاً على رصيف المرسى القديم، حيث لا تفصله عن بقية الفضاءات التجارية مثل الرحبة والأسواق سوى بضعة أمتار. وهو يتخذ شكل مستطيل يحتوي على صحن مكشوف مستطيل الشكل مساحته 76 م²، يحيط به رواق أول محمول على أعمدة في الجهة الجنوبية يقابله الناحية الغربية رواق مماثل يتخلّله الباب الرئيسي وباب الصومعة التي تنتصب عند زاويته الشمالية. وتحتل الميضأة الركن الشمالي للصحن ويتم الوصول إليها عبر مدخل مهياً في آخر الرواق الجنوبي. أما بيت الصلاة التي تحتل الجزء الجنوبي منه، فتصل مساحتها إلى 396 م² وهي مكوّنة من خمس (05) بلاطات وخمسة (05) أساكيب يحمل أسقفها 36 عموداً تعلوها تيجان من الطراز الحفصي. كما تغطّي تقاطع البلاطة الوسطى مع أسكوب جدار القبلة أمام المحراب، قبة مكوّنة من قاعدة مربعة تتخلّله أربع (04) حنايا ركنية على هيئة أصداف بحرية تعلوها رقبة مثمّنة تحمل الطاقية. ويتفرّد الجامع الكبير بأهمية مظهره وبصومعته المثمّنة المحلّاة بالزخارف العثمانية المميزة لمآذن جوامع الحاضرة خلال تلك الفترة. وقد احتضن هذا المعلم الفرع الزيتوني ببنزرت منذ نشأته إلى حدود سنة 1370 / 1951 وتخرّج منه ثلّة من خيرة العلماء.

خاتمة

هكذا كانت مساجد بنزرت ليست فقط تحفا معمارية متميّزة جمعت بين رونق العمارة واسحر المكان وإنّما كانت لها دلالتها الرمزية المرتبطة بثقافة العصر الذي نشأت فيه. وهي فضلا عن كلّ ذلك شواهد أثرية حيّة تكتنز في ذاتها حلقات من تاريخ المدينة.



صورة لجامع المدينة مأخوذة من مدخل القصبية

شبيهاً بمساجد الرباطات الساحلية. ثمّ شهد أشغال توسعة على فترات مختلفة نتيجة للتطور العمراني لحي القصبية الذي جعله يصبح غير قادر على استيعاب جميع المصلين، نتج عنها تغيير جذري لمخطّطه الأصلي. حيث أُضيف إلى بيت الصلاة الصحن الجانبي الأول الذي كان يفصل بين المسجد والبرج حيث يمكن معاينة آثار باب مسدود كان يربط بين المعلمين، ثمّ الصحن الجانبي الثاني من الجهة المقابلة وهي زيادة يمكن ملاحظتها من خلال الاختلاف الواضح في المكونات المعمارية. كما شملت التوسعة الصحن الرئيسي وامتدّت في اتجاه رصيف المرسى القديم على حساب زاوية للا عربية التي أنشأت مكانها الميضأة قبل أن يتمّ ترميمه بالكامل خلال سنة 2010.

الفترة العثمانية وتشيد الجامع الكبير

لم يرافق دخول البلاد تحت سلطة الباب العالي حركة عمرانية، فقد كانت مجهودات الدولة في بدايات العهد العثماني منصّبة بالأساس على مسألة الهيمنة على المجالات والأقاليم التي كانت خاضعة للقبائل البدوية التابعة للمخزن الحفصي. وما أن نجحت في إجماع من تعنتت منها، حتى بدأت بالاهتمام بمشاكل الأهالي وحاجياتهم. وقد انطلقت منذ عهد عثمان داي (1594 - 1610)، حركة تعمير حيّة في البوادي والمدن أسهمت فيها

«حي على خير العمل»، فانتشر ذلك عنه وفشا حتى انتهى الأمر إلى السلطان فورديت الكتب إلى عامل الموضع أن يأمرهما أن يرجعا عن ذلك، فأمرهما، فلم يفعلوا، وراجعه العامل غير مرّة، فلم يفعل... فأتى كتاب الملعون السلطان بقتلهما والناس منصرفون من جنازة أحدهما، وقد دفنا جميعاً أحدهما بعد الآخر».

وبسبب هذا الصراع، دأب الفاطميون على التفريق بين المشاركة العبيديين وبين بقية سكان البلاد من أتباع المالكية فكان سكن العمال ومن والاهم بمواضع مغايرة لسكن الرعايا. وفي هذه الظرفية، نشأ جامع القصبية بالتوازي مع نشأة الحي الذي وطّن به عبيد الله المهدي خاصته بمعزل عن مدينة بنزرت وجعل فيه مقرّ عامله وحاميته. وقد ذُكر أوّل مرة في أجوبة ابن عثوم عند الإجابة عن سؤال مبارك الجميحي في شهر جمادى الأولى 1009 / 22 نوفمبر 1600 على أنّه جامع الإمام المهدي (ت 322 / 934)، ثم ذكر بالنسبة نفسها «الجامع الذي للإمام المهدي» ببعض رسوم الرباعات الراجعة إلى أوقاف جامع القصبية خلال سنة 1619.

كان هذا الجامع في الأصل مجرّد مسجد صغير مكوّن من ثلاث (03) بلاطات وثلاثة (03) أساكيب وهو ما يفسّر غياب الإشارة إليه في نصي المقدسي والبكري، لكنّه يتفرّد بخصائص معمارية مميزة تخبو إلى الطابع العسكري، كما أنّ خلوه من الزخارف يجعله

1535. لكنّه سرعان ما شهد أشغال ترميم إثر دخول البلاد تحت الهيمنة العثمانية في صائفة سنة 1574م، فجُدّت أغلب مكوّناته المعمارية باستعمال مواد نفس البناء التي كان مشيّدًا بها وأصبح منذ ذلك التاريخ جامعًا حنفيًا وحبّست عليه أوقاف ورباعات هامّة ورد ذكرها أوّل مرّة خلال سنة 1029 / 1619.

العهد الفاطمي وظروف نشأة جامع القصبية:

دخلت إفريقية بحلول الفاطميين مرحلة جديدة غلب عليها الصراع المذهبي الذي استشرى بين السنّة المالكية والشيعة الإسماعيلية، إذ كان دأب «الروافض» «تشريق» المساجد وحمل الناس على إتباع مذهبهم بالقوّة وبعث السيف. فقد ذكر القاضي النعمان في سياق حديثه عن الداعية أبي عبد الله المروزي أنّه: «لما حضرت الجمعة أمر بإقامتها وقدم خطيبًا بجامع رقادة وخطيبًا بجامع القيروان وكتب بذلك إلى البلدان. وأمر في الخطبة بالصلاة على محمّد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين علي وعلى الحسن والحسين». ولما وصل عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية (300 - 322 / 912 - 934) وولده القائم إلى الحكم، ازداد الوضع تعقيدًا وكثر التضييق على المساجد. فقد ذكر ابن عذاري أنّه في سنة 307 / 919 - 920 «قُتل بالقيروان عروس المؤدّن بمسجد بن عياش الفقيه بعد أن ضرب بالسياط وقُطع لسانه، إذ شهد عليه قوم من المشاركة بأنّه أدّن ولم يقل حي على خير العمل» وفي سنة 311 / 923 - 924، «ضرب محمد بن العباس الهذلي الفقيه بالدرة في الجامع عريانًا، وصُفّع ففاه حتى جرى الدم من رأسه، وبرّح عليه في أسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشاركة بأنّه يطعن على السلطان ويفتي بقول مالك». وكان فقهاء القيروان يضيقون نزعًا بتلك الممارسات ويرون أنّ مقاتلة «هذا المارق الشيعي» «أولى من قتال العدو (= الروم) الذي يفصل بينهم وبينه البحر».

ولا شك أنّ مدينة بنزرت التي كانت تمثّل أبرز ثغور إفريقية في ذلك العهد، وقلاعها «مفزع [لأهل الناحية] وغوث وهي رباطات للصالحين»، قد شهدت فصولاً من هذا الصراع. فقد روى الفقيه أبو عبد الله الأجدابي في ترجمة أبي عبد الله بن أبي المهزول (ت 339 / 950) الذي «كان ساكنًا مرسى الياقوتة بناحية بنزرت» أنّه كان «لا يقرأ البسملة في صلاته. وكان مؤدّن مسجده لا يقول في آذانه:



صورة حديثة لحي القصبية تظهر فيها صومعة الجامع



صورة قديمة بالأبيض والأسود لجامع القصبية

«ما يراوش»: نمذجة العمى الواقعي

مشهد من مسرحية "ما يراوش"

محمد الكشو (مخرج وباحث مسرحي)

«ما يراوش» / العميان لموريس ميتزلنك لم تغير الجوهر والتزمت بالخرافة المقترحة مسرحية «العميان» حالة انتظار محفوف بالخوف لمجموعة من العميان، ستة رجال وست نساء وطفل معزولون في جزيرة مُترامية الأطراف ينتظرون بخوف عودة الكاهن/«الشيخ» الذي أخرجهم من الملجأ وقادهم نحو الغابة، ثم تركهم لأجل إحضار الماء والخبز، وعدهم بأنه سيعود ليقودهم إلى مكان آمن قبل شروق الشمس.

انها حالة من حالات الترقب والقلق بين العميان وهم بعيدون عن استكانة ملجئهم الآمن، ومتروكون في غابة موحشة، بحيث يجلسون بترقب وقلق كبيرين بانتظار الكاهن/«الشيخ»، الذي يُعتبر أمّهم الوحيد في الخلاص، ومع طول الانتظار يبدوون بمشاركة أحلامهم مع بعضهم البعض، يستمر الأمر هكذا حتى يصل اذانهم نباح الكلب، الذي يأتي ويدلّهم على مكان الكاهن/«الشيخ»، يموت الشيخ وتطفو جثته في الماء. حينها يصابون بالخوف والفرع، ويبدؤون بمحاولة إيجاد طريقة للعودة إلى ملجئهم وبعد مدة طويلة يصابون باليأس ويصمتون كتعبير عن ذلك، وحين يبدأ الطفل بالبكاء، يعرفون من بكائه أنه رأى الموت.

تحاكي خرافتنا فعل لا هو بالنبل ولا هو للردالة ألصق، طولها المعلوم من الشروق الى الغروب، بلغة زينها صناع «ما يراوش» بألوان من التزيين بواسطة اشخاص يتذكرون ولا يفعلون الكثير فهم اقرب للمفعول بهم في ظرف هذا الزمان والمكان فهل سنؤدي هذه الخرافة الى «التطهير»؟ ومن المعني بـ«التطهير»؟ الشخصيات ام الممثلين وصناع العرض او الجمهور؟

يحتلنا العنوان «العميان» / «ما يراوش» الى حكم وهذا الحكم ينسحب على الجماعي، حكم ينطلق من وصف عضوي وهو فقدان لوظيفة عضلية وهي الرؤية ويحتل هذا العنوان اقرارا مسبق وهو ان مطلق الحكم يرى فلا يستعمل ضمير الجمع «نحن» بل يستثنى ذاته، العنوان اذن فصل هذه المجموعة «هم»، فنحن الذين «نرو» وهم الذين «ما يراوش» يلتزم العنوان اذن منذ البداية بفصل عالمين عالم لا يرى وهو موضوع المشاهدة وعالم يرى وهو المشاهد وهو في الان نفسه وفي لطبيعة العرض المسرحي الفاصل بين

المسرحية يعاود إضاءة المرور احمر واخضر وبرتقالي رفاف قانون حذر، مساءلة تسعى لتحديد المجالات والمسافات والأحجام التي لا نراها. أليست السلطة كما عرفها البعض: ذلك الظاهر الخفي الذي نراه ولا نراه؟ أليست السلطة صراع حول افتكك الضوء والتحكم فيما نراه؟ أليست سلطة المخرج في العملية المسرحية افتكك لنور عين المشاهد؟ ثلاثة أسئلة مربكة حددت مسارات العرض سنسترسل في تحسسها كمتقبلين طيلة العرض

العميان «ما يراوش» سؤال عن الجوهر في عمقه سؤال عن النور؛ عن بعد ثالث غير نظم الفهم والتفكير. فهمنا عن ذواتنا بات اشكالي هذه الذوات التي باتت غير قادرة على التوجه نحو الآخر شبيهي على الدوام فما بالك بالمحيط والمحاط به. ان غياب الضوء حقيقة مخيفة فما بالننا لو تعديناه إلى ما هو رمزي. ضوء الميثوس يشترط السرقة وضوء المعرفة يخترق كهف العامة ويقتضي رغبة ومجاهدة، ضوء المعرفة العلمية غير كل الفهم واردة قتيلا فافسد الاطمئنان، ضوء الفن المسرحي مرادة ودغدغة وانطلاق إلى العدم وضوء هذه



مشهد من العمل المسرحي "ما يراوش"

فضائي الفعل/المشاهدة.

هذا العقد الاول الذي فرضه صناع العرض علينا منذ البداية والتزم به خلال وطيلة مسار العرض.

أظلم فضاء المشاهدة وأضاء فضاء العرض، المشاهد هو من يحتاج الضوء لتتم عملية الفرجة نحن اذن مدعوون للمشاهدة والمعاينة لا التماهي الحسي مع وضعية «الأعمى». تتدافع الدمى راقصة قافزة مستنرفة تضيئها كشافات اساسية الألوان RYB الأحمر والأصفر والأزرق وكأننا في مخبر تحاليل ضوئية فلا بياض ذا سطوع بل يتفكك الابيض في ثنائيا العرض وبين ذكريات الشخصيات وإذا بالدمى محمولة في حاجة ملحة لمن يقودها ويحركها كحاجة شخصيات المسرحية لشيخهم.

وتتعاظم اسئلة التلقي،

كل مفردات العرض تجعلنا في وضع المختبر (ليس بالمعنى الارتودي) فشخصيات مسرحيتنا وهي في الان نفسه موضوعها معزولة امامنا ويسلط عليها صناع العرض وسائلهم الفنية لتثريتها وتفكيكها وما الجمهور إلا مشاهد متابع لهذا التفكيك وهو صاحب الحكم النهائي.

أليس الفن في هذا المعنى نمذجة للواقع؟

هل ينبغي فهم النموذج بالعودة إلى المفهوم الأفلاطوني في معناه الفلسفي وتعريفه كفكرة قابلة للتحكم للتحقق العيني في الواقع أم بالانطلاق من استعماله التقني وتعريفه كتصميم يمكن من تمثيل الواقع بشكل مصغر، مبسط ومجرد وحسي وهذا ما ارادة المسرحية ان تقترحه على المشاهد؟

هل يمكن الحديث عن نموذج نظري مجرد دون نموذج حسي مجسم للواقع المادي؟

للمنموذج معنيان يتقاطعان ويتلازمان فهو من جهة تجسيم مادي لمنطوقات العلم النظرية يمكن من تمثيل المواضيع والتفكير فيها ومن جهة أخرى هو نسق نظري مهيكّل يهيكل الوقائع الحسية ويقاربها منطقيا.

وللمنموذج المسرحي أيضا - في رأينا ومن خلال منطلقنا مسرحية «ما يراوش»- معنيان يتلازمان فهو من جهة تجسيم مادي لمنطوقات علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة حول تونس يمكننا من تمثيل هذه المواضيع والتفكير فيها ومن جهة اخرى هو نسق نظري مهيكّل يهيكل الوقائع الحسية ويقاربها منطقيا جمالي.

يحيينا نص مسرحية «ما يراوش» الى مواضيع اجتماعية وسياسية واقتصادية وعقائدية فطرت كل شخصيات العمل واقعا متشعبا أحالنا مباشرة الى البلاد التونسية من خلال اللهجات المعتمدة والإحالات الزمانية والمكانية وتذكر الاحداث على لسان الشخصيات البطلة فالحدث واحد وهو الانتظار والجماعة يجمعها وضع العمى وتوكيل المخلص شأنها وهي وضعية راسخة في الثقافي المشترك بين العرض الذي اعتبرناه نمذجة فكرية جميلة والمشاهد الملاحظ انها ثقافة شعبية ذات روافد دينية تكفر بالفعل وتتوكل على «مهدي» مخلص تبرر عزوفها عن الفعل وتطويع الطبيعة لنقص فيها وتوكل قدرتي على الاخر انه فكر يتدقق منذ الوهلة الاولى للعرض في شخصيات مردهة لتعاويد دينية تنحى منحى التصوف والذكر بارعة في المعاودة والقول لا تتحرك، جامدة، ثابتة، ثبات الزمن النفسي للشخصيات انها جوقة الجزيرة بأسرها صوتها الوحيد هو الحياة لكن الطبيعية تفعل اصواتها بالرياح والأمطار والصدى فإذا بهذه الجوقة غير متجانسة مع محيطها الطبيعي أيضا وإذا بالخوف والرعب والارتجاج ينتابها، انه وعي دفين بعدم تناغمها وتجانسها مع محيطها الطبيعي، انها بكل بساطة خارجة عن الزمان والمكان انها في سياق لا تاريخي.

هي ذي صورة الجماعة في المسرحية فكيف تبدو طبيعة علاقاتها فيما بينها؟

تتعدد الشخصيات الاثني عشر وثالث عشرهم كلب ملتزمة بمبدأ التناصف الخلفي الاسطوري منذ الخلق الأول الى الطوفان فهل ستعمر الجزيرة بحضارة العميان؟

هل ستبنى مدن العميان واكتشافات العميان وطرق العميان وتسن قوانينهم الخاصة وتبتكر طريقة تسيير لأموهم؟

يشترط الاجتماع البشري الاتجاه نحو الآخر حبا وتوليدا وتعاوننا على الفعل وتقسيمنا للمهام هذه الخاصيات

الاساسية للتعايش والتواصل في الزمان إلا ان مجموعة عملنا يكبلها المعتقد والتفكير البصري الذي يحدد وعي المجموعة في المسرحية بأنه اشبه بالوعي القطيعي فيحل التقارب الجسدي لإبراز قوة القطيع عوض التعاون لرد الخطر ويحل الانغماس في الذات بالتذكر - وهي ميزة خصت كتابة هذا العمل في فسح المجال لحيز مونولوجي لكل شخصية - محل التوليد الفكري والحوار لتتحول من اليا- لوغ الى المونو - لوغ فتستكين ملكة الفكر، ملكة اللوغوس وحيدة فهي محاصرة في الذوات او رهينة للترديد الجماعي تذكرا أو ذكرا. يتعطل الفكر بالانتظار ويتلهى عن الفعل ويتنحى عن التغيير حتى حضور الشيخ المنتظر او هو الغائب المغيب انه وعي ارتكز على الشيوخ، فمن سلطة الأب الى الامام وشيخ الزوايا الى أمين السوق والقياد والعمال والبايات والرئيس مدى الحياة ورئيس النواب ومجالس الشيوخ، أسنا محاصرين بسلطة بركتهم ومعرفتهم ومغرفتهم ومعارفهم؟ أليس في موتهم نهايتنا؟

ألبست الدمى المحمولة ومحركها هي الصورة المنمذجة لفكرة العمل في هذا المستوى؟ تتحرك الشخصيات في فضاء لعب مفتوح هو الجزيرة كما يقدمها نص المسرحية والجزيرة فضاء محدود حدوده البحر الذي تحيل اليه الشخصيات وهو فضاء المشاهدة، لتكون المعادلة كما يلي: الجزيرة فضاء اللعب والبحر فضاء المشاهدة وكأن الجمهور حدود الشخصيات وطموحها الارقي والأكمل فهو يرى ويتبصر، هذه المعادلة تتحول مع بداية العرض ليصبح الجمهور هو المدعو للنظر والمشاهدة فهو «الأعمى» عن فهم واقعه وما المسرحية إلا استنطاق له من خلال من خلال فعل نمذجة شخصها وعلمهم. تتصرف الأجساد في فضاء اللعب متناسية مبدئي المنظور PERSPECTIVE فلا نقطة للهروب POINT DE FUITE تتميز تشكيل الاجساد في الفضاء، هي أقرب للمنمنمات وكأن وعي الشخصيات بالفضاء يحيلنا الى القطيع فهي اجساد متراصة من خطر الظلام والعواصف ومتفرقة متنافرة خطيا في حالات الاسترخاء انها خطية الحياة التي



مشهد من العمل المسرحي "ما يراوش"

ترسخها تحركات الشخصيات وسعيها للهروب من فضاء طبيعي مفتوح لفضاء التكايا المغلق انه انعكاس لمنطق الحرية وانضباط لمفهوم «الشيخ» القائد المخلص انها عبادة للسجون وترسيخ للهيمنة وتأييد للانغلاق والتكلس والتحجر والحياة من خلال السلف.

أننا من خلال مسرحية «ما يراوش» نذهب من النظرية إلى الواقع، من الواقع إلى النظرية أي نمز تدريجيا من النموذج الرمزي إلى التصميم ومنه إلى التصميم الرمزي هذا لا يعني أن هناك توافقا أو تطابقا كليا بين النموذج المادي والرمزي بل هو تمثّل وتمثيل.

إن مسرحيتنا - والعمل المسرحي في رأينا- بناء افتراضي له طابع إجرائي ومنهجي يستبدل واقعا معقدا بنموذج عيني رمزي مجرد أو مختزل هو افتراضات يصنعها مخرج العمل والقائمين عليه بمعنى أنه يُنشئ تصوّرا نظريا للواقع يكون تقريبا وتمثيلا إنه نموذج تمثّل لشيء ما ولمسار نسق غير قابل للإدراك على نحو مباشر يجري بناءه في الخيال قبل تجسيده في الواقع إذن هو جدل خلاّق بين الواقع والنظرية والحسي والمتخيل ينشأ بفعل تبسيط متعمّد لأنّه يقوم على استراتيجيا الإغفال والإهمال ومتعمّد لأنّه لا يدعي التطابق بين النموذج وما يحدث في الواقع. «ما يراوش» إذن، ليس نسخة أو أصلا لأنّ هذا لا يعبر عن حقيقة النموذج بل هو ينشأ لغاية معرفية هدفها التبسيط والتوضيح والتفسير فالخريطة التي تمثّل الأرض ليست هي الأرض إذن هي جوهر قابل للتعميم . إذ يقوم على أساس فهم شيء ويهمل أشياء كثيرة وهو يحتفظ بالقليل لأجل الفهم.

ألم نتحول الى افواه متكلمة وأعين معطّلة لرؤية أي نور؟ ألا يفسّر هذا الوضع حالات العطل والتعطل التي نعيشها؟

ألا يؤذن هذا الوضع بنهاية العمران وخرابه؟ هي ذي وضعيات النص المقترحة، انها محاولة لنمذجة المجتمع ورغبة هذا العمل لإنتاج نماذج يكون قوامها وعي فكري بطبيعة كتابته الخاصة أي أنّ مقترحه مشروع وليست موضوع بما أنّ الفنان هنا صانع نماذج مرتبطة بالسياق الاجتماعي والاقتصادي والحضاري. فكيف عملت هذه النماذج الفكرية لبناء نموذج بصري مسرحي «مانراوش»؟

يعتمد عمل «ما يراوش» أساسا على العروسة المحمولة لتتأكد لنا صورة اختفاء الجوهر المفكر وتقديم الميت من الخشب في سعي حثيث لإحيائه وكأن حياة الشخصيات المراد تقديمها مشروطة بحاملها ومحركها لعله شيخها، انه الفنان المحرك الذي يسعى الى ائارة طريق محمولته ليربها ثنائيا الرّكح ويربها للمتفرّج، «شيخنا» هنا هو المحرك انه فنان في خدمة الآخر لكنه أيضا مستلب اذ تقتاده سلطة النص، وفي اللّعب يتوالد التفكير والصراع ويزيح المحرك الدمية متمردا ويكشف عن حضوره ويعبر عن وجوده فيتباعد وعيا وتعليقا وتفكيرا أليس على المجتمع ان يعتمد جميع نكائاته ويثمنها ويشغلها ويستنفر كل طاقاته ليحيى؟

ألم يتحوّل عالم المسرحية من التماهي المحض الى نقده ثم الى التفكير المحض بمحض ارادة الممثل والقائمين على هذا العمل؟



«ليمة» شخصية مهمشة من «القاع»، دماؤها تونسية مائة بالمائة

إيناس احمد سليم (رسامة)

«ليمة» ابن الحي الشعبي، المنتمي للعالم السفلي وللمهمشين ولضحايا الحيف الاجتماعي.

«ليمة» صاحب السوايق والعارف بدهاليز الصلعة نجح في استدراجنا الى المادة التلفزية بعد ان هجرناها (على الاقل بالنسبة لي)

«ليمة» بحساسيته المفرطة التي تدفعه إلى ارتكاب الكثير من الحماقات، بميله الطبيعي والانساني للحب والخير، باحترامه للأمهات والرّضع نجح في جعلنا نتعاطف معه ونحبه دون ان نصدر احكاما أخلاقية عليه.

هذه الشخصية البسيطة المهمشة، هذه الشخصية المستمدة من رحم الحي الشعبي، نجحت في «استمالتنا» لنلاحق احساسها وانفعالاتها وتصرفاتها.

هذه الشخصية الإشكالية والمركبة والتي -حسب رأيي- تطلبت كثيرا من البحث لاطهار تركيبتها قدمها لنا نصر الدين السهيلي بعبقريّة شديدة وبطريقة السهل الممتنع حتى انك تصدقها وتشعر كما لو انها موجودة فعلا، بل انك قد تخرج ابتغاء ملاقاتها في الحي وهي بصدد الحياة.

في هذا الدور تفوّق نصر الدين على نفسه: حيث اظهر قدرة كبيرة على ترجمة مشاعر الشخصية باستخدام تعابير وجهه المنهكة، ليس هناك أي افتعال او اصطناع او تحميل للشخصية اكثر من استطاعتها او اكثر من «خصوصيتها».

تسع حلقات كانت كافية لأسجل انبهاري الذي لم أخفه منذ الحلقة الاولى

صنّاع «جبل لحر» ابتعدوا عن الحالة الاستهلاكية المعتادة وغاصوا -عبر شخوصه وأحداثه- عميقا في تشريح الحومة الشعبية ووجعها.

المخرج تنقل بالكاميرا ليلتقط لنا نبض حي مثقل بالمشاكل والهموم والانكسارات وليرصد لنا علاقات الناس فيه دون السقوط في «المباشرة» الفجة والصادمة (المسلسل في ظاهره عنيف لكننا لم نشاهد عنفا).

طريقة الطرح جميلة جدا وفيها تجديد كتابة وإخراجا. المخرج ربيع التكالبي سعى لتحقيق معادلة صعبة بين التقنية والمضمون وقد نجح بنسبة كبيرة.

الشخوص كتبت بطريقة اقل ما يقال عنها انها متينة، شخوص ثرية ومشحونة، ديناميكية وحيويتها خلقت المتعة والتشويق.

الممثلون ذوو حضور حي (وكم كان المخرج موفقا في اختيارهم للدرجة التي جعلنا لا نتصور غيرهم في المسلسل) ثنائية نصر الدين مع الممثلة ريم مسعود تأتي لأول مرة الا انك

كذلك من خلال شخصية معز القديري (والتي على الاغلب شخصية ذات اصول مدنيّة) كاتب النص صاغ اللهجة بحرفية عالية وبتمكن (في بعض المسلسلات نلاحظ عدم اتقان اللهجات ومرات يقع مزج لهجتين مع بعض) كل هذا، تخللته لقطات طريفة «من غيرما عوّج علينا حتى ممثل فمّه» او استهزئ بالشخصية التي قدمها.

لم تكن الشخصيات في حاجة لاستعارة حركات ذوي الاحتياجات الخصوصية لاضحاكنا...الإضحاح لم يكن مفتعلا، يحدث بشكل تلقائي (دليلة مفتاحي وهي تحكي مع ابنتها وحضور النكتة بطريقة محببة الى النفس دون ادنى تقزيم للشخصية)

الكوميديا السوداء كانت حاضرة ايضا في المسلسل لكي تخاطب عواطف المتفرج بطريقة انتقادية هزلية. صورت لنا مشاكل ومعاناة الشخوص بطريقة ساخرة

(هناك «ميساجات» لمشاكل اجتماعية في الحي الشعبي يقع تمريرها بذكاء وبطرافة مثل: الخضار الذي يهتف «القطعة بألف يا «زواي»، تهاون السلط البلدية في قضاء مطالب الناس (الشخصية التي تغني الراب الذي حكي على مشكل الصرف الصحي)، بائع الكتب الذي قال «ماعادش يمشي توة القانون» وو وغيرها من المشاهد.

في رأيي هذا النوع من الكوميديا الذي يعتمد على سخرية المواقف هو نوع لانزع و«جاد».

وتعقيبا على حضور الراب في الحلقة السادسة، انا أتصور انه لم يكن مسقطا..الكاتب اراد ان يقول لنا «الي الشاب المهمش (ضعيف التكوين والي ناقص شوية تأهيل فقط) وليس دائما مشروع ارهابي او متطرف. بل عنده طاقة ومواهب يمكن ترجمتها لفن يمنس هواجس هذه الطبقات المسحوقة. وهنا يأتي دور الفن...وهي دعوة ذكية وغير مباشرة من الكاتب والمخرج لمزيد العناية بمواهب الشباب في هذه الاحياء.

شكرا نصر الدين السهيلي على هذا العمل الذي احترمت فيه ذائقة المشاهد وذكاؤه (احتراما متمعدا مع سبق الاصرار والترصد)...

نصر الدين الفنان المثقف المهموم بقضايا محيطه والمعروف باختلافه بطبقاته الدنيا وفئاته المهمشة أثبت في هذا المسلسل انه ممثل خارج النمط وأنه فنان من رأسه لأخصص قدميه.

هذا المسلسل لن يعلي من قيمة الدراما فقط بل سيعلي من شأن ومستوى النقد كذلك.

تستطيع ان تصور عملا يحاكي الواقع لكن من الصعب ان تصور عملا صادقا وحقيقيا.



الممثل نصر الدين السهيلي

تشعر وكأنها حالة طبيعية.

كثير من الممثلين أدوارهم صغيرة لكنهم «سرقوا الكاميرا» وأضافوا لمستهم الخاصة للشخصية.

مشاكل اجتماعية غير مسقطة

تقنية الإسترجاع كانت طريقة ذكية من المخرج لعرض تفاصيل عن بعض الشخصيات والتذكير بحياتهم الماضية، هذا القفز بين زمنين أضاف كثيرا من الجمالية والاثارة وخلق حيوية في الأحداث.

أحداث سريعة، ليس هناك اطالة او تمطيط..كل حدث يستغرق ب المشاهد ...

اللهجات لاحظنا انها متعددة وتعكس خصوصية كل مكان، الكاتب أعطى لكل من «الحومة الشعبية» و«الحي الراقي» مفرداتهم الحقيقية الخاصة بهم.

المسلسل وضع حدا لاستعمال لهجات المناطق الداخلية للتحقير.الممثلون ينطقون القاف كالجيم القاهرية دون ان يكون هناك ريفيون (الحمد لله)



لقطة من مسلسل "فلوجة"

بقايا كلام... في دراما هذا العام

امير العقربي - باحث في التاريخ المعاصر والزمن الراهن

تمخض الجبل الاحمر فولد السواد

من جانبها وأصلت التلفزة الوطنية الاهتمام بدراما المسحوقين فبعد المايسترو وحرقة بجزأيه هاهي تقدم لمشاهديها مسلسلا بعنوان (الجبل الاحمر) وهو حي شعبي من احياء العاصمة ظهر في ثلاثينات القرن العشرين وكان تعبيرة عن حالة التونسيين في الفترة الاستعمارية من حيث البؤس والنقمة على المستعمر فكان من الأحياء التي ساهمت في انكفاء المقاومة المسلحة في خمسينات القرن نفسه لكن رغم هذا المجهود المبذول من قبل المنطقة في العمل الوطني فأن دولة الاستقلال لم ترد التحية بمثلها للجبل الاحمر فتصاعد الشعور بالظلم لدى سكان المنطقة وزادت بعض ممارسات الاجهزة الصلبة للدولة وفي حالة النقمة خاصة لدى الشباب سرديّة بنى عليها المسلسل احداثه وقدم لنا شخصيات مأزومة مهزومة مشحونة بطاقة سلبية كبيرة وميل الى العنف غزته عربدة تجار المخدرات ورجال أعمال فاسدين عنف بلغ مرحلة متطورة جدا لنجد انفسنا امام جرائم قتل دون نسيان التطرق الى <<تصفيح الفتيات>> الذي يعتبر من التابوهات (ما حدث مع البنّت سمراء على يد صديقة والدها لمن التي تحمل نفس الاسم) لتكون النتيجة مشهدا اسود للجبل الاحمر مشهد قاتم لجهة انجبت مجموعة من المتميزين في الفن والرياضة والاقتصاد رغم تهميشها

الخلاصة

بصفة عامة كانت دراما هذا العام سوداوية لأقصى الحدود مشحونة بطاقة سلبية واضحة..قد يقول البعض هذا واقعا لنقول هذا صحيح لكن لا بد من النظر للنصف الملائن من كأس الوطن لنرى اشياء تبعث على التفاؤل بغد أفضل لتونس والتونسيين.



المتدخلين في الشأن التربوي أضف إلى ذلك تدهور قيمة المربي من خلال بعض التصرفات في المدرسة وخارجها (مسألة الركض وراء الدروس الخصوصية) هذا المجتمع المتنازم الذي اظهره فلوجة يخفي وراءه ازمة اعماق وهي تدهور منظومة القيم والأخلاق حيث اصبح المال مقياس النجاح وتراجعت قيمة المعرفة والثقافة التي أصبحت لا تستهوي شباب اليوم مع فقدان الأمل في المستقبل لتكون النتيجة كل ما ظهر في فلوجة سامي الفهري وسوسن الجمني

بعد ايام من العرض والفرجة والنقاش والكلام هاهو موسم الدراما الرمضانية يقترب من الانتهاء موسم كان شحيا من الناحية الإنتاجية رغم توفر القنوات التلفزية

مفارقة عجيبة

الى حدود ماضي ليس بالبعيد كانت السوق الخاصة بالاعمال الدرامية ضيقة للغاية بقيت حكرًا على المرفق العام لكن هناك حد ادنى للانتاج بمعدل عمليين دراميين سنويا واحد في النصف الأول وآخر في النصف الثاني من الشهر الكريم وكان معظم نجوم التلفزة حاضرين وكانت الاعمال في مجملها جيدة ولم يتغير الحال كثيرا بعد دخول القطاع الخاص في ظل وجود قنوات تعد على الاصابع لكن بعد الثورة ورغم تعدد القنوات فقد ظل الانتاج الدرامي على قلته لنصل هذا العام الى وجود مسلسل للتلفزة الوطنية واخر على الحوار التونسي وهي مفارقة عجيبة غريبة بكل تأكيد

الفلوجة مجتمع الازمة وازمة المجتمع.

نبدا مع مسلسل فلوجة الذي شد الانتباه إليه من خلال عنوانه الذي يحيلنا الى مدينة الفلوجة العراقية التي صتحوحت الى قلعة نضال ورمز للصمود في وجه الامريكان الذين حاصروها في 2004 دون اخضاعها لتتحول الفلوجة الى ايقونة لكن بالتمعن في العمل نكتشف ان الاسم لم يكن مطابقا للمسمى فالعمل يتحدث عن اشياء لا علاقة لها بالصمود أو المقاومة بل يحيلنا الى مجتمع مريض مازوم بدءا بالمخدرات استهلاكها وتجارة مروراً بالاغتصاب والانجاب خارج اطار الزواج والخيانة الزوجية وصولا الى الامراض التي تنخر المدرسة من تسيب ولا مسؤولية لدى بعض

التونسي بين الدراما القديمة والجديدة حين وعزوف...



بهجة بالربيع بنرقية

وتأتي أيضاً بمعنى التناقض حيث إنها كلمة مشتقة من عدة أسماء لكتاب وفلاسفة مشهورين، حيث يجتمع في هذا النوع من التمثيل خليط من الضحك والجد والواقع والخوف

يحلينا هذا التحليل إلى العصر الذهبي للدراما التلفزيونية في بلادنا، عندما كانت الوكالة الوطنية للنهوض بالقطاع السمعي البصري هي التي تتولى الإنتاج فشهدنا مسلسلات فيها قدر من الجودة، مسلسلات تعزز شعور الانتماء لدي المتفرج وتزرع فيه الاعتزاز بتراته، مسلسلات من قبيل «الخطاب على الباب» و«منامة عروسية» و«مسك الليل» وغيرها كثير.

تعددت المسلسلات الجديدة لكن التونسيين مازالوا يفضلون دراما رمضان القديمة فهي إلى اليوم تصدر نسب المشاهدة رغم إعادتها على مدار العام، ورغم الزخم الكبير الذي عرفه المشهد الفني في تونس بعد الثورة ويفسر المختصون في علم الاجتماع هذه العودة إلى الإنتاجات القديمة بأبعاد نفسية وأخرى متعلقة بالتنشئة الاجتماعية وبالرغبة في استرجاع الذكريات لأنهم يعتبرون الماضي أجمل بكثير من حاضرنا المتأزم كما أن «مضمون هذه المسلسلات ينسجم مع مختلف الشرائح المجتمعية بغض النظر عن مستوياتها التعليمية أو الثقافية»، لذلك نجحت بدرجة كبيرة جدا في استمالة عاطفة المستهلك التونسي على عكس البرامج الجديدة التي تتسم أساسا بطابعها الانتقائي، وتطغى عليها ظاهرة الحزن والمشاكل والعنف التي تؤثر على نفسية المتفرج ويدخله في نوع من الأزمات النفسية والاكتئاب وفقدان الأمل..

من المعلوم أن بعض الضوابط تختلف من جيل إلى جيل، لكن يصعب على شريحة الكبار في السن والأطفال الاندماج مع هذا النوع الجديد من الأعمال وهم كما ذكرت أكثر المتفرجين عددا.

فجيل آبائنا وأمهاتنا تعودوا على نوع معين من الدراما : مسلسلات اما فكاهية مثل «الحاج كلوف» او مسلسلات تطرح قضايا اجتماعية من حياتنا ك«الخطاب على الباب» او «قمره سيدي المحروس» وغيرها من الأعمال التي ظلت راسخة في الأذهان رغم سلاسة تركيبها وواقعيته التي يجد فيها كل تونسي شيئا من ذاته أما ما يعرض اليوم فأغلبه يشعرنا بالاعتراب فلا أجسادهم كأجسادنا ولا ملامحهم كملامحنا ولا طريقة عيشهم كطريقة عيشنا. يغلب على المشاهد الزيف والبعد عن الحقيقة، لعلها تمثل طبقة معينة من الشعب ولكنها لا تمثل الأغلبية

إلى متى سيظل القطاع السمعي البصري قطاعا تحكمه العشوائية في غياب هيكل حكومي يسهر على تنظيمه بكراريس شروط تلزم القنوات التي تبث في الفضاء العمومي باحترام ذكاء المواطن وحقه في استهلاك مواد تلفزيونية غير تلك التي تتنافس على الإثارة وتلهث وراء الأوديمات ولا تنتج إلا الغث والمبتذل. ؟!!؟

على صانعي الدراما أن يقرؤوا في دواخل المتفرج ويتنبؤوا بانتظاراته وميولاته فالمواطن التونسي يبحث عن البرامج التي تركز على الترفيه، ويمكنه مشاهدتها داخل وسط عائلي، مع مراعاة الجانب النفسي والاجتماعي للمجتمع في نقل الظواهر السلبية، وعرضها في فضاءات خاصة وليس على التلفاز الذي هو مفتوح للجميع.

والخيالي، والفتيات إلى مواقع الانستغرام واليوتيوب والنايفليكس، والمسلسلات الرومنسية التي تركز على الجمال والموضة ومظاهر الترف والغنى والحياة السهلة الممتعة، أو مواقع التواصل الاجتماعي، أما الكهول وكبار السن فمازالت اهتماماتهم بالشاشة الصغيرة لم تتزعزع بعد لأن أغلبهم نجا من حمى الأترنت والهواتف المحمولة، فهم الأكثر اهتماما بالأخبار العالمية والمتابعين للأعمال الدرامية كمسكن لآلام يومهم ومهدئ لتوترات واجهاد ساعات طويلة، وهي المؤنس لوحدة الوحيدين في غياب أفراد أسرهم بداعي العمل أو الانتقال للسكن بعيدا عن منزل العائلة وإضافة إلى هؤلاء نجد أيضا الأطفال من عمر السنة، هؤلاء الذين تطمئن الأمهات لهذا الجهاز «الوديع» فتسلمه فلذات كبتها لتتفرغ إلى الأعمال المنزلية، ويظلون يزدردون ما يقدم من برامج للصغار مدمجة ومن مسلسلات فكاهية صنعت للكبار فأدمنوها «شوفلي حل» مثال لذلك إلى حدود العمر الذي يظلمهم فيه الآباء بشراء هواتف جوال ويزوده بالإنترنت، ومن هنا تبدأ القطيعة مع هذا الصندوق العجيب ليرتبوا بعالم آخر أكثر إغراء وجاذبية.

يبدو أن صناع المحتوى قد تفتنوا إلى هذا العزوف، فراحوا يبحثون عن طرق جذب أخرى في إطار من المنافسة المحمومة وتماهيا مع ما يعرض على المستوى العالمي دون التأمل في خصائص المجتمعات ومدى تفاعلها مع ما يقدم في عالم العولمة الذي يفتح بعضه على بعض دون مراعاة للحواسر الاخلاقية والدينية والقيمية وفي ظل هذا السباق المحموم ظهرت قواعد جديدة في نسيج الدراما الحديثة التي نجدها في أغلب العروض وتتلخص في الآتي:

- الوعي بانعدام العدالة الاجتماعية.
- استعمال البيئة الفقيرة وتقديمها كما هي.
- استخدام التناقض الحاد بين مناظر تصور رتابة الحياة ومعيشة الناس معيشة تقليدية.
- مناظر حادة في العنف الجسماني.
- ظهور أثر الأفكار العلمية السيارة.
- التركيز على الجنس في التعبير عن المشاعر.
- التركيز على العاطفة العمياء بدلاً من الإرادة الواعية.

- فكرة الجنس كوسيلة من وسائل الهروب من التقاليد والحدود البرجوازية.
- وأخيراً القدرية التي تعني أن مصير الإنسان دائماً محتوم.

لذلك نجد التركيز المشط على تصوير مجتمع الانحراف بكل انواعه من سرقة ومخدرات وعراك وخمور، في محاولة لبث الوعي بانعدام العدالة الاجتماعية ولكنها تتجاهل في نفس الوقت البعد الانساني الذي كان يجمع التونسيين رغم وجود هذه الظواهر.

إن الفن وإن كان مصدره الواقع، إلا أنه يتجاوز المائل في هذا الواقع إلى إكمال ما يشوبه من نقص، وإلى ما يرهص به من جديد.

ومن شروط الفعل الدرامي هي أن يكون صورة لهذا الواقع وهو في نفس الوقت يمثل أدب المفارقات الذي ينقسم إلى نوعين: مفارقات الملهاة وهي الكوميديا ومفارقات المأساة وهي التراجيديا وهو نوع من التعبير الأدبي المجسد الذي يؤدي تمثيلاً وتشخيصاً في عروض المسرح أو السينما أو التلفزيون والإذاعة

هافتت والدتي للسؤال عن الأحوال وبعد «الألو» والتحية الرمضانية اللذيذة «صحة شريبتك» وصلني صوت التلفاز فسألته كمقدمة لحديث طويل «فاش تتفرج؟» وفي نفسي احتراز من أن أقطع عليها متعة المتابعة فأجابتنى بتلقائية شديدة «وأش فيها ما يتفرج بنيتي هاو بش نسكها خسارة ضو وبره» ابتسمت لملاحظتها الشفيفة الخفيفة فنحن ابناها كنا نستلذ النوم على همسات صوت التلفاز أو الراديو وكثيرا ما كانت تلومنا على اهدار الطاقة الكهربائية وتسمعنا الخطاب المعتاد الذي تبين من خلاله سوء التصرف وتطرف السلوك «يرحكك يا غوار» فقد علقت هذه المفردة «السلوك» مع حلقة من حلقات الكاميرا الخفية ال soft في مجادلة مع امرأة طيبة من أهل توزر بلهجتها المتميزة ولكنها الطريفة الظريفة وكانت رغم بساطتها من أمتع الحلقات يبدو هذا مثالا لتلقائيا فرض نفسه في هذا السياق ليبين لنا أن المحتوى الجيد لا يتطلب امكانيات خيالية ليرسخ في الأذهان ويسكن في الوجدان.

أثار هذا الموقف في نفسي عديد التساؤلات ومن أهمها لماذا لا تجد والدتي التي تمثل جيلا بأكمله ما يمتع ويرفه عنها رغم تعدد القنوات التلفزيونية في تونس بعد الثورة؟ بالأمس القريب كانت تقتصر على 4 قنوات فقط، أما اليوم فقد وصل عددها إلى أكثر من 17 قناة منها اثنتان رسميتان؟ لماذا تحرم هذه الطبقة من شريحة الشعب الحق في الفرحة رغم أنها الأكثر ملازمة للبيوت والأشد وفاء لهذا الصندوق المؤنس لوحدتهم منذ صغرهم -هم جيل التلفاز بامتياز يعيشون اغترابا بين برامج تحمل ايدولوجيات معينة تسعى إلى تغيير الهوية التونسية عن طريق المعتقد وهو الطريق الأسهل إذ يمس الإرث الثقافي والوجداني لتلك الطبقة بالذات من مجتمعنا وقد ساهمت للأسف في توسيع الهوة بين الجيلين وقسمت المجتمع إلى متدينين وكفار بما تروجّه من مفاهيم متعصبة للدين، وشروح متطرفة للأحاديث. وبين مسلسلات مستوردة، مدبلجة دبلجة ركيكة سمجة ومحتوى محلي لا يرقى إلى مستوى انتظاراتهم.

كان التلفزيون في العالم وسيلة إعلامية شعبية في طورها الأول تقوم بدور توعوي وتعليمي وتنتج برامج ذات محتوى اجتماعي ثقافي ثم جاءت فترة تلفزيون الواقع مع الثورة الرقمية ولعب المنتجون على غريزة التلصص لدى الإنسان فكانت برامج ستار أكاديمي وما شابهها. والآن جاءت مرحلة عولمة الصورة ونشر قيم جديدة مثل مهاجمة التابوهات، وإشاعة نمط من الإنتاج فيه بهارات غير معهودة كالأغراء والتلميحات الجنسية، وهو إنتاج متاح للجميع من خلال المنصات الرقمية. وبذلك تراجعت نظرية الفن الهادف ووجهات النظر التي تدعو إلى أن التلفازات محمول عليها الارتقاء بالذوق العام وتقديم مادة تعلي من شأن القيم النبيلة وتحولت إلى بوق يفرض اخلاقا وقيما دخيلة على سلوكيات التونسي المتفتح في احتراز، المتحضر باحتشام.

هل يجب أن نعود إلى مواصفات الدراما القديمة حتى نعيد لم شمل الأسرة من جديد أمام التلفاز وهو أمر في غاية الصعوبة لما نراه اليوم من تضاد الانواق والميولات داخل نفس الأسرة، فالمرهقون من الذكور ينجذبون إلى الألعاب الإلكترونية والأفلام ذات الطابع العنيف،

الدراما التونسية والعنف الرمزي:

بين فرضية الجهل وحقيقة التجاهل

آمنة السعيدى - باحثة في النوع الإجتماعي، الثقافة والمجتمع



رجل او زوج.. كالعادة: المرأة المنبوذة اجتماعيا، لا بد ان تكون مومس او راقصة، ولا بد ان يتخلى عنها الرجل الذي يحبها لانها لا تستجيب لمقاييس الزوجة الصالحة ويتركها تتخبط في الرذيلة، ولا بد ان تقدم نفسها كضحية مجتمع وان امتهانها الرقص كان خطيئة أجبرت عليها..

و كالعادة: الأم الصالحة، فلا بد ان تكون ربة بيت، محببة، الديكور المخصص لها في اغلبه داخلي يتراوح بين المطبخ او امام التلفاز، وفي مشاهد المثيرة عاطفيا يتحول الى غرفة النوم.

و كالعادة: المراهقة النجبية، لا بد ان تتسم بالبراعة والسذاجة.. والأستاذة المحبوبة لا بد ان تكون جميلة ورشيقة وانيقة..

و كالعادة، كل هته الشخصيات النسائية على اختلافاتهن تدينهن العاطفة، فهن لم يتحررن من حكم " ناقصات العقل والدين " اغلب حضورهن صوري ومرتكز على الحضور الشكلي.

أما الرجل فهو كعادته الحامي والمنقذ، أيا كان وضعه، وأيا كان سلوكه فإن موقفا رجوليا واحدا، ينزّهه من كل سوء ودمعة واحدة كفيلا بأن تشفع له في قلوب النساء والمشاهدين. ات على حدّ سواء.

هذا العنف الرمزي التي يعمل على إعادة انتاج قوالب اجتماعية جاهزة وتقديمها تحت مسمى "الواقعية" وبحجة إضفاء الموضوعية على الصورة او القصة، لا يستمد سلطته من اقراره كبداهة اجمعت عليها التنشئة الاجتماعية فقط، بل من تماهي المستهلك مع هذه الأفكار وخضوعه لهيمنتها والمساهمة في إعادة انتاجها في الواقع.

و بما اننا نعجز عن مساءلة خضوع المتلقي وتماهيه مع ما يشاهده، نظرا لنسبية تفكيره واختلاف مرجعياته الثقافية، فنحن في المقابل لا يمكن أن ننكر نفوذ صانعي الدراما التونسية وقدرتهم على توجيه الراي العام، أو التلاعب به.

فالدراما اليوم أصبحت تفرض عدسات جديدة لرؤية الواقع، واقع يصنعه اللهاث وراء افتعال الجدول واثارة الصدمة بتبني أفكار تبدو في ظاهرها جريئة ومتحررة من الحدود الاجتماعية، إلا أنها في حقيقتها لازالت رهينة التفكير التقليدي وعاجزة عن التحرر من السائد ومخلفات الهيمنة الذكورية، فإلى جانب اعتمادها للعنف كمحرك اساسي للأحداث فهي تطبع مع العنف الرمزي الذي أصبح متجذرا في تنشئتنا بدرجة جعلتنا عاجزين عن استشعاره.

فهل هذا العنف الرمزي الذي يمرّ مرور الكرام دون وعي ولا مساءلة، عائد إلى جهل من الأطراف المعنية بإنتاج العمل الدرامي؟ ام هو وليد تجاهل مقصود قائم على الخوف من زعزعة المنظومة الاجتماعية التقليدية؟؟

العمل الفني.

فعلى الرغم من إقتحام المرأة لميدان إخراج الأعمال الدرامية التلفزيونية في تونس الذي ظلّ قطاعا ذكوريا بامتياز طيلة عقود، من خلال نجاحات صنعتها المخرجة "سوسن الجمني" سبقتها اليها في قطاع السينما عدّة مخرجات كسلمى بكار ومفيدة التلاتي وغيرهن، إلا أنّ الانتاجات الدرامية على اختلافها، لم تعكس إلى يومنا هذا أية خصوصية للهوية الجندرية لمخرجها او مؤلفها، بل بالعكس، كرّست نفس الرؤية النمطية النابعة من تنشئة اجتماعية تقليدية تقوم على التراتبية الاجتماعية وتقديس النظام البطركي، وبالتالي التطبيع مع الأدوار البديهية القائمة على الهيمنة الذكورية والخضوع الأنثوي، والإصرار على إعادة انتاج منمّطات صنعتها مراحل تاريخية معينة، ظللت تتوارث ثقافيا لتصنع بذلك المخيال الجمعي. فبعد تكريس عقلية الجهويات والعنف الطبقي الذي كرّسته اعمال علي اللواتي، وثنائية الريفي المتخلف او الساذج و"البلدي" المثقف والمتحضر، والأفكار التي صنعت صورة كل منهما في المخيال الجمعي التونسي والتي ساهم فيها جهل المتفرج وتماهيه مع جمالية النص والصورة، لا بد من الإقرار بتأثير العنف الرمزي على تمثيلات النوع الاجتماعي لدى المشاهد.

فرغم تطوّر نسب الوعي بالعنف المسلط على مختلف الأنواع الاجتماعية، إلا أننا لا نزال الى اليوم نسوق لصور نمطية بسطحية تعكس تجاهل صناع الدراما لخطورة ما يقدمونه او جهلهم بما يقدمونه.

وهو ما يحيل على ضرورة تحليل سياسة التنميط الركيكة في الدراما التونسية خاصة وأن أعمال هذه السنة تطرقت إلى تقديم ما اعتبرته "واقع" فئة عمرية حساسة، كما انها تعاطت مع قطاع حساس يصارع منذ سنوات للحفاظ على صورته وعلى مكسب " مجانية التعليم" التي يستهدفها التعليم الخاص، وصوبت الأنظار نحو حيّ شعبي، سوّقت له بصورة سطحية طمست خصوصية ذلك المكان وتاريخه، وعكست اكتفاء المؤلفين بالكليشيهات المسموعة والمستهلكة عن حياة أبناء الأحياء الشعبية وشخصيات المجرمين المستهلكة.

فكالعادة وطبقا للمخيال الجمعي التونسي: شخصية " المديرية العانس" لا بد ان تبدو بلامح جدية تفتقر إلى الأنوثة، وبالتالي شعرها مرفوع وملابسها قاتمة ورسمية، وطبعها حاد ينفر كل من اقترب منها، في حالة ضمنية لنجاحها المهني المقترن بترفها عن الميوعة الانثوية، وبالتالي فمن البديهي ان لا تتزوج، ومن البديهي ان تكون ضحية الوحدة ومن البديهي أيضا ان تورطها حاجتها الى الحب في علاقة افتراضية تعيشها بتهور بحثا عن

قد يذهب البعض إلى اعتبار الدراما التلفزيونية عملا ابداعيا لا حاجة لأن يعبر عن الواقع، وهو موقف قد يكون مشروعا في حال ما توفرت سوق درامية قائمة على غزارة الإنتاج الذي يتيح إمكانية تنوع الأعمال وبالتالي تنوع مواضيعها. أما في بلد عاجز عن الإبداع، مترفع على الانتاج، قضت أعرافه بأن تحتكر الدراما التلفزيونية لشهر رمضان، في وفاء مستسلم إلى تقاليد الإنتاج التونسي الذي لا تتجاوز ثلاث اعمال سنويا منذ بداياتها، يتصارع من اجلها مئات الممثلين والتقنيين ويشرف على صناعتها كتاب ومخرجون تحكمهم سلطة المستشهر ولا تغريهم سوى ارقام نسب المشاهدة، فإن الواقع يظل الملهم الوحيد لجميع الأعمال الدرامية التونسية، تستوحى منه السيناريوهات، او تنسخ بحذافرها، بأساليب طرح تفتقر إلى الموضوعية وتطغى عليها التوجهات الذاتية التي تختلف من جهة إلى أخرى.

والمتمأمل في خصوصية الواقع، يجد انه مفهوم نسبي يختلف من شخص الى آخر، باختلاف مرجعياته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، غير ان سلطة التأثير التي يمنحها راس المال الثقافي، كما عبر عنه "بورديو"، تمكن صاحبها من فرض تصوراتها الذاتية، بما تحتمله من سطحية او عقد نفسية، او غايات خبيثة، وترويجها كمسلّمات يتماهى معها المستهلك بلا وعي ويستبطنها معيدا انتاجها في حياته اليومية في صورة قواعد اجتماعية.

ومن هنا برز مفهوم العنف الرمزي / LA VIOLENCE SYMBOLIQUE، الذي انشاه "بيار بورديو" والذي عرفه بأنه: " عبارة عن عنف لطيف وعذب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة أي: عبر التواصل، وتلقين المعرفة، وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف، أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات"

هذا العنف على لطافته ونعومته، أصبح التفتن اليه عسيرا، خاصة وأن جميع الأنظار صارت مصوّبة نحو العنف المرئي تترصد الايحاءات الجريئة ومشاهد القتل والدماء لتندد بها في المنابر الإعلامية او تنعش بها خزينة الدولة عبر تكريس عقوبات مالية لن تغير من سياسة الانتاج القائمة على تعمد خلق الجدول، ولن تعالج الأثر المترتب عن هذا العنف المنهج.

ولئن شهدت الدراما التونسية في السنوات الأخيرة تحولات تراوحت بين التطور والتهور، إلا أنها وعلى اختلافاتها عكست هوسا صانعي الدراما بالإثارة، إثارة صارت مرادفا للنجاح، الذي أصبح يقيم بنسب المشاهدة ضاربا عرض الحائط جميع القيم الفنية والثقافية التي يقوم عليها



جول داسان
وميلينا ميركوري؛

ثنائي يساري في السينما والحياة

محمد عببدو (ناقد سينمائي سوريا)

مختلفة سواء على مستوى القيمة أو المضمون، من ضمنها "ثريلر" تجسسي اسمه "عميل نازي"؛ "شؤون مارتا" (كوميديا على طريقة هيتشكوك)؛ "شبح كانترفيل" (من قصة لأوسكار وايلد). انتقله الى استوديوهات "يونيفرسال" فتح أمامه الأفاق، فصعد صعوداً نموذجياً مع "شياطين الحرية"، عام 1947، المقتبس من ريتشارد بروكس، الذي يقتفي خطا سجين فار ومثل الدور برت لانكاستر، لكن انجذاب الفيلم صوب العنف والقسوة، أثار حفيظة جهاز الرقابة الذي حذف منه وساهم

حلاقاً، درس الفن المسرحي في أوروبا قبل أن يهاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث ظهر في اول الامر على مسارح برودواي الشهيرة ، وانضم فترة للحزب الشيوعي، ثم اصبح في عام 1940 مساعد المخرج الشهير "الفريد هتشكوك" الذي أعجب ببواكير داسان السينمائية الفتية، وشجعه على إخراج أول أفلامه في عام 1941 بعنوان "القلب الواضح" عن قصة قصيرة لإدجار آلان بو... نجاح الفيلم النقدي وفي شبّاك التذاكر مهد له طريق الدخول الى "مترو غولدوين ماير" هناك، أنجز سبعة أفلام

يوم الأحد (1960) وتوبكابي (1964). كان داسان مخرجاً نشيطاً بهدوء، كما وصفه الناقد أندرو ساريس مرّة، لكنّ مثل هذه المصطلحات نسبيّة ، نظرة قصيرة في حياته ومهنته تساعد لتذكر أن داسان وآخرين من جيله في هوليوود ، كانوا أناساً يعيشون الجهر، عرفوا المشقّة والصّراع، تحمّلوا الأحداث التاريخيّة الكبيرة وهذه التّجارب المتنوعة متروكة آثارها المهمّة في مجهوداتهم الفنّيّة . ولد جول داسان في 8 ديسمبر 1911 في ميدلتاون (كونتيكت) والده كان

مخرج يساري أدرج في القوائم المكارثية السوداء في هوليوود في أوائل الخمسينيات وقضى باقي حياته في أوروبا، مات عن عمر يناهز 96 عاماً اثر اصابته بنزلة برد في إحدى مستشفيات اثينا.. جول داسان معروف بعدد من الأفلام البوليسية التي أخرجها من 1947 - 1950 لاستوديوهات هوليوود :المدينة والقوة الجبريّة، المدينة العارية، طريق سريع للصوص والليل، وريفيفي (1955) فيلم بوليسي انجزه أثناء وجوده بالمنفى في فرنسا وعدة أفلام تألقت فيها ميلينا ميركوري (التي أصبحت زوجته)، وتتضمّن أبداً





الحوادث هذه المرة في اسطنبول (مع ميركوري وبيتر اوستينوف)، فاز عنه اوستينوف جائزة أوسكار لأفضل ممثل مساعد.

ميركوري وداسان لم يخفيا سياستهما اليسارية أبدا، كلاهما كانا نشيطين في مساعدة وتنظيم المقاومة اليونانية بين السياسيين والفنانين المغتربين في باريس ضد الحكومة اليمينية التي حكمت اليونان بين ال1967 وال1974. بعد أن تقاعدت ميركوري من صناعة الأفلام دخلت السياسة، لتكون وزيرة ثقافة اليونان في الثمانينيات.

في عام 1978 منحه مهرجان كان السينمائي سعة ذهبية لحلم عاطفة، أحد أفلامه الأخيرة. في سن متقدمة، داسان احتفظ باهتمام بالسياسة بالرغم من عمره المتقدم وصحته المتدهورة، وقال في مقابلة مع صحيفة كاثيميريني اليونانية عام 2002: "أريد أن أقتل شارون.. وهذا طموحي". وأضاف "إن لب المشكلة في العالم هو العنف والموت الذي يحكم هذا العالم" وقال "انظروا ما يجري الآن مع الفلسطينيين.. إنه وضع مرعب" ... وتابع داسان "أريد أن أقتل شارون إنه طموحي.. لقد قلت لابنتي أنني الآن عجوز ولو قتلت شارون فماذا سيحدث.. سأذهب إلى السجن حيث أوصل القراءة حتى آخر العمر" وخلص داسان إلى القول "لا أعرف ما يمكن أن يحدث الآن، شارون عبارة عن آلة عسكرية".

كان لديه طفلان من زواجه الأول مع الموسيقية بياتريس لوني: جولي وجو داسان، المطرب المشهور في سبعينيات فرنسا الذي مات من أزمة قلبية في عام 1980. في نيويورك، صدر له كتاب بعنوان "ساحرات هوليوود" في عام 1988. وقد حصل داسان على الجنسية اليونانية الشرفية بعد وفاة زوجته في عام 1994.

استطاعت ان تذهب إلى الكنيسة كما يفعل الأتقياء صباح كل أحد.. وحاز الفيلم أوسكار لأفضل أغنية للملحن مانوس هادجيداكيس، وجائزة أفضل ممثلة (ميلينا ميركوري) في مهرجان كان السينمائي، ويُعتبر أحد أجود الأفلام المعمولة في اليونان. داسان نفسه رُشح لأفضل مخرج وأفضل سيناريو، بالرغم من أنه في النهاية لم يفز بجائزة أوسكار أبداً. ثم اخرج فيلم فيديرا 1961 الذائع الصيت والمأخوذ عن الأسطورة اليونانية القديمة. وقدم توبكابي (1964)، وهو فيلم بوليسي وتنويعية جديدة لقصة سلب وسرقة عبر لمسة كوميدية ساخرة، لكن تدور

سبب قريب للعودة إلى اليونان للأبد حيث استقر في اثينا عام 1959 مع زوجته النجمة اليونانية الراحلة ميلينا ميركوري المعروفة بنضالها ضد الديكتاتورية العسكرية في بلادها. وجّه داسان زوجته في سبعة أفلام، من ضمنها فيلمه (ليس في يوم الأحد) 1960 عن أمريكي في اليونان يحاول إنقاذ عاهرة طيبة القلب تستقبل زبائنها في بيتها كل أيام الأسبوع ما عدا يوم واحد هو يوم الأحد فإذا أخطأ (زبون) جديد وطرق بابها في ذلك اليوم غضبت بشدة وطردته بعنف فهي في يوم الأحد امرأة أخرى لا ترتكب إثماً ولا خطيئة وإنما امرأة تتمنى لو

بتشويهاه. بعده بسنة تقريباً، قدم داسان في "المدينة العارية" 1948 (الذي فيما بعد صار مسلسلا تليفزيونا شعبياً في الخمسينيات) بورتريهاً اقرب للتسجيلية لمدينة نيويورك على خلفية قيام مجموعة من الشخصيات بالبحث عن وحش. مذاك عرف بأفلام تميل إلى واقعية اجتماعية مشبعة بسوداوية، على رغم تضمنها مشهد مطاردة بديعة، أعاد "يونيفرسال" منتجة الفيلم، وهذا ما دفع داسان إلى الانتقال إلى شركة "فوكس" حيث أنجز "أحياء فريسكو البائسة" (1948)، وفيه تناول الأقليات المهاجرة بحساسية، وبسبب ميوله اليسارية واجه صعوبات مع شركات الإنتاج الهوليوودية الكبرى حتى انه اصطدم وتشاحن كلامياً مع رئيس احد الاستوديوهات الكبرى (لويس ماير).

ثم يسافر إلى لندن بعد ضمه إلى قائمة الشيوعيين الذين طاولتهم الحملة المكارثية حيث اخرج اول افلامه هناك في عام 1950 بعنوان "اللبل في المدينة" الذي يتألق فيه الممثل الأمريكي ريتشارد ويدمارك ويعتبر الآن علامة لنوع الفيلم البوليسي وكان بمثابة القصيدة البصرية التي تغوص في دهاليز العذاب اليومي في اجواء ليلية شاقة لكنها مزنة بترانيم غنائية على خلفية من الواقع المثقل بإمكانة هامشية. وعاد داسان إلى الولايات المتحدة وأدرج في القائمة السوداء بهوليوود وأستدعي من قبل لجنة النشاطات المعادية لأمريكا بمجلس النواب عام 1951، بالرغم من أنه لم يطلب أبداً للشهادة، مع ذلك، بعد التسمية من قبل الآخرين، ومنهم إدوارد دميتريك الذي وشى به لدى السناتور مكارثي، عرف داسان أن مهنته في هوليوود صارت منتهية... انتقل إلى فرنسا، حيث لم يجد أي عمل لمدة خمس سنوات، قبل ان يخرج فيلم (خصام بين الرجال) الذي حصل عنه على جائزة افضل اخراج في مهرجان كان عام 1955، فيلم "من الذي يموت" في عام 1957. صرح داسان أنه كان محظوظاً حيث ان المبدعين السينمائيين لم يستطيعوا أن يعملوا الأفلام ثانية بعد الانتهاء على القائمة، بينما تمكن من تصوير فيلم بعد خمس سنوات من الفقر.

فيلم داسان الأول في اليونان عام 1957 كان (الذي يجب أن يموت)، المأخوذ من كتاب "المسيح يولد من جديد" لنيكوس كازانتزافي الروائي اليوناني المشهور. لكن سيكون لديه



المخرج جول داسان وابنه المغني جو داسان

مهرجان «كان» السينمائي يفصح عن بعض فقرات دورته القادمة

إعداد : منير الفلاح

أعلن «مهرجان كان السينمائي» اختيار فيلم «جان دو باري» JEANNE DU BARRY ليكون فيلم افتتاح الدورة الـ76، التي تقام في الفترة من 16 إلى 27 ماي المقبل، حيث تشهد قاعة لوميير الكبرى بقصر المهرجانات عرضه العالمي الأول.

الفيلم من إخراج المخرجة الفرنسية مايون التي تمثل في فيلمها الجديد الشخصية الرئيسية جنباً إلى جنب مع النجم الأمريكي جوني ديب، وبنجامين لافيرني، وملفيل بوبود، وبيير ريتشارد، وباسكال جريجوري، وإنديا هير.

ويتناول الفيلم حياة وصعود وسقوط الملك لويس الخامس عشر الذي يقوم بدوره جوني ديب، حيث تستخدم جين فوبرنيه، وهي امرأة شابة من الطبقة العاملة متعطشة للثقافة والمتعة، نكائها وجاذبيتها لتسلق درجات السلم الاجتماعي واحدة تلو الأخرى، إلى أن تصيح العشيق المفضلة لدى الملك لويس الغير الذي لا يدرك حقيقتها كإمرأة لعوب، ويستعيد معها شهيته للحياة، ويقعان في الحب بجنون، وتنتقل جين إلى فرساي، حيث يثير وصولها فضيحة كبرى.

وكانت المخرجة والممثلة وكاتبة السيناريو الفرنسية مايون قد عرضت فيلمها الروائي الأول «اسمحو لي»، في 2006. وهي تستوحى في أفلامها من حياتها الشخصية لتشكيل شخصياتها رحلة البحث عن الهوية وبناء الذات والأسرة بشكل عام.

وفي عام 2011، فازت بجائزة لجنة التحكيم في مهرجان كان لأول اختيار لها في المسابقة وهو فيلم «بوليس» ثم عادت بعد أربع سنوات لتشارك في الاختيار الرسمي بفيلم «ملكي»، الذي فاز بجائزة أفضل ممثلة.

يذكر أنه سيتم بث حفل افتتاح مهرجان كان السادس والسبعين على الهواء مباشرة يوم الثلاثاء 16 ماي على قناة FRANCE TÉLÉVISIONS AND BRUT.

كما تم الإعلان أيضاً أن الفيلم الجديد من سلسلة «إنديانا جونز» سيُعرض ضمن برنامجه، فيما يُرتقب أن يحظى بطل العمل الممثل هاريسون فورد (80 عاماً) بـ«تكريم استثنائي» في الدورة السادسة والسبعين من الحدث السينمائي الفرنسي.

وأشار منظمو المهرجان في بيان إلى أن فيلم «إنديانا جونز أند ذي دايل أوف ديستني» الذي تولى إخراج جيمس مانغولد سيُعرض في المهرجان بتاريخ 18 ماي.

ومن المقرر أن يبدأ عرض الجزء الخامس من مغامرات عالم الآثار الذي ابتكر شخصيته جورج لوكاس فيما حوّل ستيفن سيلبرغ إلى عمل سينمائي، بتاريخ 28 جوان في فرنسا، وفي 30 جوان بالولايات المتحدة.

وإلى جانب هاريسون فورد، من المتوقع أن يُسجل في مهرجان



هاريسون فورد

من فيلم «وادي أبراهام» تكريماً لفيلم مانويل دي أوليفيرا الذي صدر عام 1993 (مستوحى من فيلم MADAME BOVARY للمخرج غوستاف فلوير، عام 1857)، ويحتفل بالذكرى الثلاثين لاختياره في أسبوعي المخرجين في ذلك العام.

يبني فيلم «وادي أبراهام» على قصة حب محبب، وهو موضوع سائد في معظم الاعمال ويقدم أوليفيرا عمل من الجمال التشكيلي المبهر، وإحساس شعري مذهل، وفي نفس الوقت، عن

سخرية خفية تروي بطريقة لا تقاوم تماماً قصة حب امرأة جميلة، ضحية لرغباتها وأهواءها المتناقضة، من خلال إيما التي تعيش في الوادي مع والدها وترعرعت في جو من الحساسية الشعرية الكبيرة.

أصبحت امرأة جميلة وحسية ذات مذاق لا يقاوم للروايات الرومانسية، والتي لا تنجح أبداً في إيجاد الرضا التام للرجال، منذ اللحظة التي تتزوج فيها من طبيب لم تحبه أبداً.

بعد حياة اجتماعية مكثفة، ستخرب إيما مع ثلاثة رجال في بحث دائم عن العاطفة والرفاهية والتحديات. لا يستطيع عشاقها تحمل الشعور المتزايد بخيبة الأمل الذي يقودها إلى تعريف نفسها على أنها ليست أكثر من «حالة روح متأرجحة».

تأسست تظاهرة أسبوعي المخرجين عام 1969 من قبل نقابة المخرجين الفرنسيين، وتتجه نسختها الـ 55 مع تغيير كامل في إدراتها، حيث تم تعيين جوليان ريجل كمدير فني جديد في يونيو الماضي، بعد باولو موريتي الذي رحل نهاية نسخة العام الماضي ووجوده ثلاث سنوات في المنصب.

يعد ريجل، بأن نسخة هذا العام ستأخذ الجماهير في رحلة من خلال أفلام فريدة من نوعها، حيث تتميز تظاهرة أسبوعي المخرجين بمجموعة مختارة من الأفلام الروائية والأفلام القصيرة والأفلام الوثائقية، مع التركيز على الأعمال غير التقليدية والجريئة وخارج التيار الرئيسي.



كان السينمائي حضور ممثلين آخرين في الفيلم بينهم فيبي وولر-بريدج وأنطونيو بانديراس ومادس ميكلسن.

وسيكرم المهرجان النجم هاريسون فورد الذي حقق شهرة واسعة بفضل «ستار وورز» و«بلايد رانر»، بالإضافة إلى سلسلة «إنديانا جونز» الذي يتولى منذ العام 1981 دور البطولة فيها.

كما كشفت اللجنة المنظمة لتظاهرة أسبوعي المخرجين إحدى فروع مهرجان كان النقاب عن ملصق هذا العام 2023،

حيث تستعد لنسختها الجديدة الـ 55 خلال الفترة من 16 إلى 27 ماي المقبل، على هامش فعاليات مهرجان كان السينمائي. ويظهر الملصق صورة للممثلة البرتغالية ليونور سيلفيرا



QUINZAINE
DES CINÉASTES
Société des réalisatrices et réalisateurs de films
CANNES 2023

سينمائيات

إعداد: منير الفلاح

تكريم خاص لظافر العابدين في مهرجان هوليوود

أعلن مهرجان هوليوود للفيلم العربي، عن تكريم الفنان التونسي ظافر العابدين، بجائزة "النجم العربي" خلال فعاليات نسخته الثانية، التي من المقرر أن تنطلق في الفترة من 26 إلى 29 أبريل الجاري.

من جانبه، أكد مايكل باخوم، مدير مهرجان هوليوود للفيلم العربي، أن المهرجان يسعد كثيرا بحضور ظافر العابدين ضمن مكرمي النسخة الثانية، مؤكدا أنه يستحق ذلك التكريم عن جدارة نظرا لثراء مشواره الفني بالعديد من الأعمال العربية والأجنبية التي نالت إشادات واسعة من الجمهور، لافتا إلى أنه لم يتوانى عن السعي والاجتهاد لتحقيق حلمه، وهو ما يجعله قدوة لشباب السينمائيين الصاعدين.

ظافر العابدين، فنان تونسي بدأ مشواره الفني في أوائل الألفينيات من خلال مجموعة من الأعمال الأجنبية، واشتهر في تونس عقب مشاركته في عدة أعمال محلية من بينها مسلسل "مكتوب" عام 2008، و"ذاكرة الجسد"



عام 2010، وأفلام مثل "الدواحة" عام 2009، "آخر ديسمبر" 2010، فيما ذاع صيته بعد أن ظهر بعدة أعمال مصرية درامية كان بدايتها "فرتيجو" 2012، و"نيران صديقة" 2013، "فرق توقيت" 2014، "تحت السيطرة" 2015، "أريد رجلا" 2015، "حلاوة الدنيا" 2017، كما أحب الجمهور تواجده في الأعمال السينمائية من أبرزها "أبو شنب" 2016، "حبة كراميل" 2017، "غدوة" 2021، "العنكبوت" 2022.

وقالت اللجنة المنظمة، إن المهرجان سيعرض فيلم "غدوة" الذي أخرجه ظافر العابدين، وكان بطله الرئيسي أيضا، يوم 29 أبريل، بسينما يونيفرسال بهوليوود، على أن تدور بعد العرض حلقة نقاش مع الفنان.

ويعالج الفيلم الذي تم إنتاجه في 2021، قضايا المجتمع التونسي بعد ثورة 2011 وكان نال جائزة النقاد في مهرجان القاهرة الدولي في دورته الـ 43.

ويبدأ المهرجان عروضه ضمن فعاليات الإحتفال بشهر التراث العربي المقام بمدينة هوليوود في شهر أبريل من كل عام.

ويقول منظمو المهرجان إنه يهدف إلى خلق مساحة جديدة لصناعة الأفلام من المنطقة العربية وشمال إفريقيا للالتقاء والتطوير والإبداع. كما يسعى إلى تعريف صناعة السينما العالمية بصناعة السينما العربية وأوجه تفردا وتميزها.

بعد "جزيرة الغفران" رضا الباهي يستعد لإخراج فيلم "زينوبيا"



تحدث المخرج رضا الباهي مؤخرا إلى إحدى المواقع الإعلامية أنه أنهى كتابة سيناريو فيلمه الجديد بعنوان: "زينوبيا" إسم السفينة التي تنقل نفايات كيميائية من أوروبا إلى أفريقيا، في مشروع سينمائي همه الكشف عن خطة عالمية لجعل أفريقيا مزبلة العالم الكيميائية: "ولمخ ان الفيلم يحتاج إلى ميزانية تقدر بـ15 مليون دولار وستكون البطولة فيه لليام نيسن، ومعه من مصر يسرى اللوزي، على أن يكتمل الفريق خلال شهرين تمهيدا للبدء بالتصوير في الأشهر القادمة".

وأضاف: "التصوير سيشمل عدداً من الدول المشاركة في جريمة زرع النفايات الكيميائية في بلاد أفريقيا الفقيرة، والنص لن يتساهل في قول كل شيء عن تجارة الموت الجماعي هذه" وأردف مجيباً عن السؤال: ألا يخاف من الجهات هذه ان تتعرض له وللـفيلم؟ فقال: "لن يجرؤوا على فعل شيء لأنهم سيؤكدون التهم المنسوبة إليهم" وعن تمويل هذا المشروع اجاب: "الحمد لله لا أجد صعوبة في العثور على منتجين قادرين على ذلك".

ويذكر أن رضا الباهي يستعد للمشاركة في مهرجان واشنطن السينمائي في نهاية الشهر الحالي بفيلمه الأخير "جزيرة الغفران" المنتظر عرضه يومي 28 و29 أبريل الحالي.

وتدور أحداث فيلم جزيرة الغفران بين ثلاثينيات وخمسينيات القرن الماضي، ويستعرض مشكلة صعوبة التعايش بين الأديان والملاحم البارزة لهذا الإختلاف، وقد تم تصويره في جزيرة جربة ومحيطها، في إنتاج تونسي (RB PRODUCTION) لبناني (FILM CHALLENGE - AMIR) (PRODUCTION) وأميركي (HAMZAH MYSTIQUE FILMS).

الفيلم هو من نوع "الكوميديا"، ويتقاسم الأدوار أمام الكاميرا ممثلون إيطاليون تتقدمهم النجمة: كلوديا كاردينالي، ومعها أيضاً: كاتيا غريكو، باولا لافيني، أليساندرو شيافو، كاميل كاتيارد. وتونسيون: علي بن نور، باديس الباهي (نجل المخرج) محمد علي بن جمعة، ومحمد سياري.

الفيلم التونسي "عوامة" لمراد القلعي في المسابقة الرسمية لمهرجان الفيلم القصير "إيمدغاسن السينمائي" بالجزائر



تنطلق فعاليات الدورة الثالثة من مهرجان إيمدغاسن السينمائي الدولي بالجزائر في 10 ماي المقبل بمشاركة أفلام تمثل عدداً من دول القارات الخمس.

وأكد عبدالحميد بوحالة، مسؤول الإعلام بمهرجان إيمدغاسن السينمائي، أن الهيئة المشرفة على الدورة الثالثة من المهرجان استقبلت 550 فيلماً قصيراً من 60 دولة منذ الإعلان عن تنظيم هذه التظاهرة السينمائية الدولية.

وأضاف أن عملية الانتقاء انتهت إلى اختيار 22 فيلماً قصيراً من مختلف أنحاء العالم للمشاركة في هذه الدورة الثالثة.

وتشارك السينما التونسية في هذا المهرجان بفيلم "عوامة" للمخرج مراد القلعي الذي يروي قصة زوجان يعيشان الحب من جديد من منظور النسيان الفيلم من بطولة البحري الرحالي، هيلين كاتزاراس وخولة سليمان.

ومن أبرز الأفلام المشاركة "طفل الجزائر"

للمخرج الجزائري حكيم طرايدية؛ ويروي قصة طفل يلتقي كل يوم مهنجا أمام المسرح الذي يعمل فيه، و"فلسطين 87" للمخرج الفلسطيني بلال الخطيب، ويروي قصة عاطف الذي يجد نفسه محاصراً في مدخل منزل امرأة عجوز تقوم بإخفائه في الحمام خلال الانتفاضة الأولى أثناء مطاردة الجيش الإسرائيلي له.

كما تشارك في هذه التظاهرة السينمائية الدولية أيضاً أفلام أخرى على غرار "دعوة من الخلا للبحر" للمخرج الأردني مراد أبو عيشة، و"سبات" للمخرج السوري حسام حمو، و"بلا سكر" للمخرج اللبناني ملحم شاربيل، و"مورس" للإيراني رونك جفاري، و"عوامة" للمخرج التونسي مراد قلعي، و"سراب" للمخرج الجزائري أكرم زغبة، و"ميكروباص" للمخرج المصري ماجي كمال. ويشير مسؤول الإعلام في مهرجان إيمدغاسن إلى أن دورة هذا العام ستميز بإطلاق مسابقة إيمدغاسن كيدس؛ وهي مسابقة خاصة بصناعة الأفلام من الأطفال (المخرج الصغير)، حيث ستكون بالموازاة مع المسابقة الرسمية لمهرجان إيمدغاسن السينمائي الدولي.

مهرجان مالمو للسينما العربية يكرم الفنان حسين فهمي



أعلن مهرجان مالمو للسينما العربية عن تكريم النجم المصري حسين فهمي بجائزة خاصة عن مجمل أعماله، يستلمها خلال حفل افتتاح الدورة الثالثة عشر من المهرجان، والتي تقام في الفترة بين 28 أبريل الحالي و4 ماي القادم في مدينة مالمو السويدية. يُقام الحفل في القاعة الملكية (رودهوسيت) تحت رعاية مدينة مالمو وبحضور العمدة. كما يلقي حسين فهمي خلال المهرجان درساً في السينما (ماستر كلاس) يُقام في مكتبة مالمو الرئيسية.

ويمتلك حسين فهمي مسيرة فنية هائلة تمتد لأكثر من نصف قرن، منذ أن لعب دوره الأول في فيلم "دلال المصرية" للمخرج حسن الإمام عام 1970 وحتى أحدث أدواره في مسلسل "سر البائع" للمخرج خالد يوسف المعروض خلال شهر رمضان الحالي.

مسيرة قدم حسين فهمي خلالها أكثر من مائتي فيلم ومسلسل ومسرحية وعمل إذاعي، وعمل مع أكبر مخرجي السينما المصرية، مثل يوسف شاهين وكمال الشيخ وهنري بركات ومحمد خان وغيرهم، بالإضافة لشغله مناصب ثقافية مختلفة منها رئاسة مهرجان القاهرة السينمائي الدولي لفترتين، الأولى بين 1998 و2001، والثانية بدأت من 2022 ومستمرة حتى يومنا هذا.

هذا وعلق مؤسس ومدير مهرجان مالمو محمد قبلوي على التكريم قائلاً: التكريم ليس تقليدًا سنويًا في مهرجان مالمو، فالأمر لا يرتبط فقط بحضور نجم أو مخرج كبير للمدينة، ولكن المهرجان يُقدم تكريمًا فقط عندما يحضر من يستحقه. هذا العام نسعد بحضور أسطورة سينمائية هو النجم حسين فهمي الذي أوجد بمسيرته مكاناً داخل ذاكرة كل مُشاهد للسينما والدراما العربية ومن جانبه أبدى النجم حسين فهمي سعادته بالتكريم، مؤكداً تقديره لما أنجزه مهرجان مالمو من إضافة للسينما العربية خلال السنوات السابقة، وتطلعه لمقابلة جمهور المدينة والحديث معهم حول مسيرته السينمائية.

الحكم بإدانة مساعد المخرج في مقتل مصورة فيلم «راست»

سينمائيات

إعداد: منير الفلاح

فيلم "بيت الروبي" جديد كريم عبد العزيز



يواصل كريم عبدالعزيز في الفترة الحالية تصوير مشاهد في فيلمه الجديد بيت الروبي، ويتبقى 3 أيام فقط وينتهي جميع أبطاله من التصوير خلال الأسبوع المقبل.

ويشارك في بطولة الفيلم عدد من النجوم، بجانب كريم عبدالعزيز، أبرزهم نور اللبنانية، كريم محمود عبدالعزيز، تارا عماد، والعمل من تأليف محمد الدباح وريم القماش، وإخراج بيتر ميمي، ومن المقرر طرحه في عيد الأضحى المقبل.

ويجسد كريم عبدالعزيز خلال أحداث الفيلم، شخصية "انفلونسر" شهير متزوج من نور اللبنانية التي تعمل طبيبة نساء وتوليد، بينما يظهر كريم محمود عبدالعزيز بدور صاحب مركز تجميل، أما تارا عماد فتجسد دور زوجة كريم محمود عبدالعزيز وانفلونسر شهيرة.

ويذكر ان كريم عبدالعزيز قدم مؤخراً فيلم كيرة والجن، والذي حقق أرقاماً قياسية في شبكات التذاكر، وأصبح الفيلم الأكثر تحقيقاً للإيرادات في تاريخ السينما المصرية، وشاركه بطولته عدد من النجوم، أبرزهم أحمد عز، هند صبري، سيد رجب.

وكان من المقرر أن يشارك كريم عبدالعزيز في الموسم الرمضاني الجاري بمسلسل الحشاشين، لكن الشركة المنتجة قررت تأجيل طرحه نظراً لأنه يحتاج لتحضيرات كثيرة..

نيلي كريم مع تقديم مشاهد حميمية في السينما



قالت الفنانة نيلي كريم، إنها من الممكن أن تشارك في مشهد حميمي، موضحة أن مشاهد الرومانسية والتي بها إحساس، كان يتم عرضها وكان يُعجب بها الجمهور، لكن لم يتم تصوير مثل تلك المشاهد منذ فترة طويلة.

وأوضحت نيلي، خلال حوارها عبر شاشة التلفزيون في رمضان، أنه من الممكن أن يكون هناك مشاهد بها حميمية وإغراء دون أن يكون بها فجاجة، متابعة: "من زمان مفيش فيلم فيه بوسة"، مشددة على أنه لو كان هناك مشاهد بها إغراء لكن العمل جيد سيرضى به المشاهد.

وأضافت: "البوسة مع هاني سلامة في فيلم أنت عمري، مش غلطة، والفيلم نجح بشكل كبير جداً"، كما أنه كان هناك فيلم 678 عن التحرش، ولم يكن به أي مشاهد للمس أو خادشة للحياء.

أنجلينا جولي ستطلق علامتها التجارية وتدخل عالم الأزياء



تستعد النجمة العالمية أنجلينا جولي، لإطلاق علامتها التجارية الجديدة في عالم الموضة والمجوهرات.

وذكرت صحيفة The Sun البريطانية أن "زوجة براد بيت السابقة، تقدّمت بطلب إلى الجهات المختصة للحصول على ترخيص وحماية علامتها التجارية التي تسعى إلى إطلاقها".

وتعمل أنجلينا جولي، على هذا المشروع منذ أكثر من عام. واليوم، هي تنتظر الموافقة على العلامة التجارية حتى تتمكن من الانطلاق فعلياً بمشروعها الجديد، الذي يشمل كل ما له علاقة

بالمجوهرات المصنّعة على الطلب، بالإضافة إلى الملابس الراقية والخياطة التفصيلية. ويذكر أن الممثلة الأميركية صرحت سابقاً أنها "تعمل دائماً على أن يظهر أبنائها الستة بملابس محترمة ومرتبّة، تراعي الموضة، ولا تكون فوضوية ولا أخلاقية".

واعترفت أنجلينا جولي في حديثها حينها، أن "إنتاج الملابس والموضة، لا بد أن يراعي قضايا إنسانية وبيئية تتعلق بتغير المناخ وتأثيره في العالم"، كاشفة عن "رغبتها في الاستثمار بإنتاج مواد عالية الجودة، يتم ارتداؤها لسنوات طويلة، إضافة إلى الأحياء والمعاطف والحقائب".

قضت محكمة أميركية منذ أسبوع، بحبس المساعد الأول لمخرج فيلم "راست" Rust ديف هولز، في قضية مقتل المصورة السينمائية هالينا هاتشينز بالرصاص في أحد مواقع التصوير، في أول حكم إدانة يصدر عن محكمة بشأن الحادث الذي هز هوليوود عام 2021.

ووافقت القاضية ماري مارلو سومر، في ولاية نيو مكسيكو، على اتفاق أبرمه هولز، الذي كان مسؤولاً عن موقع التصوير وقت الحادث، مع المدعين في ما يتعلق بتهمة الإهمال في استخدام سلاح قاتل أودى بحياة هاتشينز.

ويمثل قرار الإدانة خطوة إلى الأمام بالنسبة إلى المدعين العامين، بعد سلسلة من الانتكاسات القانونية منذ أن وجهوا اتهامات في جانفي بحق الممثل أليك بالدوين وآخرين ممن تعاملوا مع السلاح المستخدم في قتل هاتشينز.

وحكمت القاضية على هولز بالسجن لمدة ستة أشهر مع وقف التنفيذ، إلى جانب وضعه تحت المراقبة غير المشروطة.

وشمل قرار المحكمة أيضاً تغريمه 500 دولار، إلى جانب مشاركته في الخدمة المجتمعية لمدة 24 ساعة، وحضور جلسة تعليمية حول التعامل الآمن مع الأسلحة النارية.

لقيت هاتشينز حتفها عندما أطلق الممثل أليك بالدوين النار عليها من مسدسه، في أثناء التحضير لتصوير أحد مشاهد الفيلم.

وقال المدعون إن هولز، بصفتها مساعداً أول للمخرج، كان مسؤولاً عن تفقد الأسلحة النارية وإجراءات السلامة في مواقع التصوير في الفيلم.

الأوسكار يحتفل بالذكرى المائة للفيلم الصامت "الوصايا العشر"



الوصايا العشر، هو فيلم ملحمي تاريخي تم إنتاجه عام 1956. من إنتاج وإخراج سيسيل بي. ديميل، وتمثيل شارلتون هيستون، ويول براينر، وأن باكستر، وإدوارد روبنسون، وإيفون دي كارلو، وديبرا باجيت وفرانك لاكتين، بميزانية قدرها 13 مليون دولار، وكان في ذلك الوقت أعلى فيلم تم صنعه على الإطلاق.

وحصل الفيلم على جائزة الأوسكار عام 1957 لأفضل مؤثرات بصرية (مشهد شق البحر الأحمر)، كما حصل على ترشيحات لأفضل إخراج وأفضل ألوان وأفضل تصوير وأفضل تصميم ملابس وأفضل إعداد وأفضل صورة وأفضل صوت وتسجيل، كما ترشح الممثل شارلتون هيستون لجائزة الغولدن غلوب لأفضل ممثل في فيلم درامي.

وهذا العام سيوافق الذكرى المائة للنسخة الأولى من "الوصايا العشر"، الفيلم الصامت الذي تم إنتاجه عام 1923، واخرجه أيضاً سيسيل بي. ديميل، واستعرض الأوسكار صوراً تعبر عن احتفائه بهذه المناسبة.

سيسيل بي. ديميل، مخرج أفلام أمريكي. بين عامي 1914 و1958، قدّم ما مجموعه 70 مَعْلَمًا، في كل من الأفلام الصامتة والناطقية. يُعرّف أباً مؤسساً للسينما الأمريكية وأكبر منتج ومخرج ناجح تجارياً في تاريخ السينما. تميزت أفلامه بمقياسها الملحمي وبراعة أدائه، وتضمّنت أفلامه الصامتة الدراما الاجتماعية والكوميديا والغربيات والمسرحيات الهزلية والأخلاقية والمنافسات التاريخية.

سينمائيات

إعداد: منير الفلاح

مجموعة أعمال فنية لآلان ديون
في مزاد علني

ويشهد المهرجان هذا العام مشاركة 32 فيلماً من 18 دولة عربية وأجنبية تتنوع بين الروائي والوثائقي والتحرّك. ويسعى إلى دعم السينما المحلية في لبنان والتبادل الثقافي وإقامة الحلقات التدريبية والندوات والنقاشات مع المخرجين. وتخصّص هذه التظاهرة السينمائية مساحة كبيرة لعرض أفلام مشاريع الطلاب. وقال الممثل والمخرج قاسم إسطنبولي، مؤسس المسرح الوطني اللبناني، "إن استمرار المهرجانات وعروض الأفلام والورش التدريبية - رغم كل الأزمات من حولنا - يشكل فرصة مهمة للتلاقي، وفرصة للجمهور للتعرف على ثقافات مختلفة من العالم، كي يكون الفن حقاً للجميع دوماً".

والدول المشاركة هذا العام هي: سوريا، سلطنة عمان، المملكة العربية السعودية، فرنسا، المغرب، الجزائر، البحرين، العراق، مصر، أرمينيا، الأردن، اليمن، السودان، إيران، إيطاليا، المملكة المتحدة، بلجيكا، جمهورية التشيك، بالتعاون مع مؤسسة دون الهولندية. وتتنافس الأفلام المشاركة ضمن المسابقة الرسمية للمهرجان على جوائز أفضل فيلم روائي وأفضل فيلم وثائقي وأفضل فيلم تحريك وأفضل ممثل وأفضل ممثلة وأفضل تصوير، إضافة إلى جائزة لجنة التحكيم.

ويأتي المهرجان ليدعم الأصوات المنادية بضرورة عودة الحياة السينمائية في لبنان وفي العاصمة طرابلس، حيث شهدت السينما في لبنان انتكاسات متتالية خلال العقود الماضية أدت إلى غلق صالات السينما بعد أن وصل عدد الصالات في الماضي إلى 41 صالة على الأقل. والمهرجان الدولي للأفلام القصيرة من تنظيم جمعية تيرو للفنون التي يقودها الشباب والمتطوعون، والتي هدفت منذ إنشائها إلى بعث مساحات ثقافية حرة ومستقلة في لبنان من خلال إعادة تأهيل عدد من صالات السينما الشهيرة مثل سينما الحمرا وسينما ستارز في النبطية وسينما ريفوي في مدينة صور والتي تحوّلت إلى المسرح الوطني اللبناني كأول مسرح وسينما مجانية في لبنان.

وفاة الياباني ريويتشي ساكاموتو مؤلف
موسيقى أفلام سينمائية بارزة

غيب الموت الممثل الياباني ريويتشي ساكاموتو، رائد الموسيقى الإلكترونية ومؤلف موسيقى أفلام سينمائية بارزة، إذ توفي في 28 مارس الفارط عن عمر يناهز 71 عاماً جزءاً إصابته بالسرطان عام 2020، على ما أعلن فريقه على موقعه الرسمي.

وذكر فريق ساكاموتو في بيان بأنه "عاش مع الموسيقى حتى النهاية"، وأوضح أن الفنان كان أبقى رغبته في جنازة بعيدة من الأضواء تقتصر المشاركة فيها على الحلقة العائلية الضيقة.

وكان ساكاموتو كشف مطلع عام 2021 عن إصابته بسرطان القولون والمستقيم، بعدما خضع للعلاج من سرطان الحلق منذ 2014.

واكتشفه الجمهور العالمي من خلال الموسيقى التي لحنها لعدد من الأفلام، أولها "FURYO" للمخرج ناجيسا أوشيماما عام 1983، وأدى فيه أيضاً دوراً تمثيلاً.

ونال ساكاموتو عام 1988 جائزة الأوسكار لأفضل موسيقى تصويرية لفيلم مشاركته في كتابة موسيقى "THE LAST EMPEROR" للمخرج برناردو بيرتولوتشي الذي تعاون معه مرات عدة، من بينها عام 1990 في فيلم "THE SHELTERING SKY".

كذلك عمل ساكاموتو المولود في طوكيو في 17 يناير 1952 مع عدد من أبرز المخرجين كبرلين دي بالما وبيدرو ألمودوفار.



تُعرض المجموعة الفنية المملوكة للممثل الفرنسي الشهير آلان ديون، والمؤلفة من 81 عملاً، في مدن عدة بينها نيويورك وجنيف، قبل طرحها للبيع في مزاد في 22 جوان، على ما أعلنت دار "بومانس كورنيت دو سان سير" للمزادات في باريس.

هذه المجموعة المقدرتها قيمتها بمبلغ يراوح بين 4 ملايين يورو و5 ملايين، تضم لوحات ومنحوتات وأيضاً رسومات من عصر النهضة الإيطالية، بينها عمل لفيرونيزي. وستقدّم هذه الأعمال خلال معرض جوال، بين ماي وجوان، يشمل نيويورك وهونج كونج وجنيف ولندن وباريس.

وقال آلان ديون البالغ 87 عاماً في تصريحات أوردها كتيب المزاد "لقد اشتريت أول رسم لي سنة 1964 تحديداً، في لندن. على مر السنين، استحوذت على رسومات ولوحات ومنحوتات استتارت عاطفتي ونجحت في محاكاتي وأحياناً في موساتي، هذه الأعمال رافقتني لسنوات طويلة وشكّلت جزءاً من حياتي".

ومن بين القطع الرئيسية التي تلخص "60 عاماً من الشغف"، لوحة زيتية لراول دوفي بعنوان "شاطئ سانت أدريس، 1906"، تُقدّر قيمتها بما بين 600 و800 ألف، و لوحة لأوجين دولاكروا عائدة لعام 1825 بعنوان "جواد عربي مربوط بالوتد" (400 ألف يورو إلى 600 ألف)، وفق ما أوضح مفوض المزاد ارنو كورنيت دو سان سير خلال تقديم المزاد. وأشار المفوض إلى أن آلان ديون كان "هاوي جمع عملاً مع نظرة فطرية وغريزية"، كما كان "من أكبر شراة الرسوم في ستينات القرن العشرين وسبعيناته، حين لم يكن ذلك رائجاً".

عام 2007، ورّع آلان ديون أعمالاً معاصرة، موضحاً لصحيفة "لوموند" أنه "يفضل حل المسألة فوراً" لأنه "يكره" عمليات بيع الأعمال بعد وفاة مالكيها.

الدورة الثانية لمهرجان الأفلام القصيرة بلبنان
ترفع شعار "السينما للجميع"

تحت شعار "السينما للجميع" تنطلق الدورة الثانية من المهرجان الدولي للأفلام القصيرة في مدينة طرابلس، في الفترة الممتدة من الثامن والعشرين حتى الثلاثين من أبريل الحالي.



في قاعاتنا السينمائية

إعداد: منير الفلاح

فيلم Dungeons and Dragons
على الشاشات التونسية
والعالمية

على مر السنين، وحققت شهرة ونجاحاً، وبعد إجراء العديد من التعديلات عليها، لا تزال القصة صالحة لكل العصور، لما تحمله من معانٍ سامية ورسالة إنسانية وتضحية.

تم طرح النسخة الجديدة من هذه القصة، برؤية وإخراج مارتن بوربولون، وقد قام ببطولة الفيلم، فرانسواز سيفيل، وإيفا جرين، وفنسنت كاسل، ورومان دوريس، وفيكي كرييس، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

وانضم إلى طاقم إنتاج الفيلم المصور السينمائي الشهير نيكولاس بولدوك والملحن غيوم روسيل، وتم تصميم الأزياء من قبل تييري ديليتري والفيلم مدته 121 دقيقة.

تدور أحداث القصة في فترة أوائل القرن السابع عشر؛ حيث يترك الشاب تشارلز دارتانيان، مضرراً في دماغه، بعد محاولته إنقاذ امرأة من الاختطاف، وبمجرد وصوله إلى باريس، يفعل كل شيء، للعثور على المعتدين. لكنه لا يعرف أن سعيه سيقوده إلى قلب الحرب؛ حيث يكون مستقبل المملكة نفسها على المحك، ويقابل فيلق فرسان الملك، ويصادق الفرسان الثلاثة على طول الطريق.

تقول معا عادل تعد هذه الرواية التي صدرت عام 1844 ذات تأثير تاريخي وثقافي واسع الانتشار؛ حيث تتناول الرواية قضايا لا تسقط مع التقدم، ولا تذهب أدراج الرياح مع السنين مثل قيم الأخوة والبطولة والعدالة والمساواة والتضحية وروح المغامرة.

هذه المغامرة السينمائية منسوجة بعناية ودقة، وهي بعيدة عن الأعمال الدرامية التي تم تقديمها سابقاً، فقد حرص صنّاع الفيلم على إدخال إضافات حديثة مع عدم التخلي عن العوامل الجذابة مثل المعارك والصراعات، سواء كانت عاطفية أو سياسية، والتي تم نسجها بمحركات درامية محسوبة.

وأعرب مخرج الفيلم مارتن بوربولون عن اعتزازه بتقديم هذه التجربة السينمائية قائلاً: هذا الفيلم يعيد إلى الأذهان أسطورة الفرسان الثلاثة، التي تجسد الإحساس بالشرف والأخوة والبطولة وهي معانٍ نعزّز ارتباطها بالإنسانية، وعندما أفكر في ما كانت تعنيه تلك الرواية بالنسبة لي عندما كنت طفلاً، يتبادر إلى الذهن المعاني الراقية والقيم التي تثير داخلنا مشاعر لا تنسى، فالفيلم يستدعي إلى الأذهان أفلام الستينات والسبعينات التي جعلتنا نلحم، والحلم دائماً بذرة الإبداع الأولى، ويحمل معاني خالدة ونمتلك الرغبة كفريق عمل لاستعادة تراث أدبي وسينمائي ثري.



تعتبر سلسلة أفلام DUNGEONS AND DRAGONS من بين أشهر سلاسل الأفلام الخيالية وتعتبر من المفضلات لدى العديد من الجماهير حول العالم. وحرص فريق العمل على اختيار نجوم مميزين أضافوا للفيلم جاذبية وإثارة. وبالنسبة لفيلم DUNGEONS AND DRAGONS 2023 فإننا نجد الكثير من النجوم المميزين مثل النجم كريس باين وغيرهم من النجوم المحبوبين بين الجماهير. وقد اختار المخرجان جون فرانسيس دالي وجوناثان جولدشتاين فريق عمل مميز يجعل الفيلم بمثابة تجربة ممتعة ومشوقة للجماهير.

يلعب فيلم DUNGEONS & DRAGONS دوراً كبيراً في عالم الأفلام المليء بالخيال والمغامرات. يقدم الفيلم قصةً مشوقة من خلال مجموعة من المغامرين الشجعان الذين يتحدون لمواجهة التحديات والأعداء. ويجتذب الفيلم الجماهير من مختلف الفئات العمرية والأذواق السينمائية. يقدم فيلم DUNGEONS & DRAGONS: HONOR AMONG THIEVES مغامرةً افتراضيةً على الشاشة يصطبغ فيها الجمهور في رحلة مذهلة حافلة بالمفاجآت. يعتمد الفيلم على لعبة الأدوار الشهيرة "D&D" وتعد ثقافة الخيال العلمي. كما يشتمل الفيلم على حبكة شيقة مع شخصيات جذابة ورسومات متقنة.

تدور أحداث فيلم DUNGEONS & DRAGONS: HONOR AMONG THIEVES في إطار يمزج الخيال والمغامرات وعالم السحرة. يقدم الفيلم قصة مثيرة عن لص وسيم ومجموعة من المغامرين الذين ينطلقون بشكل غير متوقع في البحث عن آثار مفقودة. ومع ذلك، تواجههم الكثير من المصاعب، ويدخلون في عمليات سرقة ومغامرات خطيرة، وذلك لكي يتمكنوا من استعادة ما فقدوه. يتم تناول القصة بطريقة تجعل الجميع يستمتع بها، وتحترم في نفس الوقت ثقافة D&D. يحتوي الفيلم على مشاهد أكشن مثيرة ومشوقة، ويتميز بحضور نجوم مثل كريس باين وميشيل رودريغيز وريجييه جان بيج.

سينما مدار قرطاج يقترح فيلم "الفرسان الثلاثة دارتانيان"

"الجميع للواحد والواحد للجميع"، من أشهر الجمل التي تلخص فكرة الفيلم، ومحوّر أحداثه المستوحاة من رواية "الفرسان الثلاثة" للكاتب الكسندر دوما. وهي الرواية المعالجة سينمائياً

فيما قلعة الزيتون وصوفيزم
على شاشات المركبات الثقافية

نظم المركز الوطني للسينما والصورة عرض كل من الفيلمين "قلعة الزيتون" للمخرجة "هادثة بن عائشة" و"صوف ISME" للمخرج "يونس بن حجرية"، في كافة المركبات الثقافية في تونس، وذلك ضمن برمجة كاملة خاصة بشهر رمضان.

يغوص فيلم "قلعة الزيتون" في ذاكرة أهالي مدينة القلعة الكبرى وعادات وتقاليد هذه المنطقة ليسلط الضوء بشكل مباشر حول العاملين بفلاحة الزيتون من فلاحين يعتمدون على وسائل تقليدية بسيطة إلى الفلاحين أصحاب الحقول الشاسعة إلى التجار والمستثمرين والمصدرين. كما يشير الفيلم إلى إحساس أهل المنطقة وأصحاب هذه المهنة بالانتماء إلى حقول الزيتون. ويصور في ذات السياق موسم جني الزيتون والمهرجان الخاص به والاحتفالات التي تقام في تلك الفترة.

فلا يقتصر حضور شجر الزيتون في هذا الفيلم لتسليط الضوء على أهميته الاقتصادية فقط، بل حاولت المخرجة من جهتها أن تبرهن ارتباطه بالهوية الثقافية والاجتماعية.

أما فيلم "صوف ISME" فقد شارك في المسابقة الرسمية لأيام قرطاج السينمائية لفئة الأفلام الوثائقية القصيرة في عام 2018. هذا ويشارك الراقص الكوريغرافي "رشدي بلقاسمي" في التمثيل في الجزء الروائي الخاص بالفيلم.

ثمة صوت لا يستخدم الكلمات فأنصت إليه...مع صوت الالة يبدأ الفيلم بهذه المقولة التي تعود لجلال الدين الرومي.

إن يوثق الفيلم عملية تحويل الصوف إلى خيوط لصناعة الملابس الصوفية.

في سفر جمالي مخصوص بين الابداعي والأكاديمي بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس :

عن تجربة الفنانة والباحثة الدكتورة فاطمة ديمق ومعرضها التشكيلي الخاص «ميتافنتازيا»

شمس الدين العوني



الرسامة فاطمة ديمق محاطة بضيوف المعرض

اشتغالات جمالية ضمن ينابيع
تطفح بالتساؤلات، وأشكال
تتراقص في تكرار وغير تكرار،
تتمرغ في اتساع الفضاء وكأنه
مستودعها الآمن وملاذها
الأخير الذي يرتشف لهفتها
بطريقة شفيفة وغير شفيفة
إلى أن تسترخي مبتهجة فوق
هامات التخيل وكأنها ظلال
من الروح تفرش أحلامها بلحن
العجيب والإعجاب في بحث
سرمدى عن لذيذ المعنى...

عالم محفوف بالبحث الفني
الابداعي حيث يصعب بل لا
مجال للفصل بين الجمال
والسؤال والقلق والتجدد وفق
عنوان هو التشكيل المفعم
بالتجاوز والمغامرة ...

فاطمة ديمق عن فنا «...»
ميتافنتازيا META-FANTASIA
..خيال يدغدغا وينبش في
أعماقنا، خيال ينسلخ من
رهبة الصمت، يسجل حضوره
ليزيح عنا ما تبقى من عتمة
الذات، وهي تستنشق رائحة
الخامات والدهان وفورات الروح
المتدفقة من فوهة المجهول
المحفورة على لحن إيقاعات
سيمفونية ...

العرض صار الحفر مجالا مغاير لما عرف
عنه وبه في معارضنا المألوفة سابقا حيث
«الأعمال الفاطمية» في عذوبة انسجامها
وهي يعرض علينا سرديتها في شعرية ألوانها
وأحوالها ومضامينها ليتجمل الفضاء ومنه
نقول ان فن الحفر مجال جمال وحسن
وبهاء في المعمار وبوسعه انشاء جمالية
مخصوصة في عوالم الديكور وتجميل
الأمكنة والفضاءات الكبرى..و المفتوحة .

فن الحفر وهنا في هذا المعرض ضرب
من شاعرية كامنة في ذات الفنانة فاطمة
دمق التي قدمت في حدثها الفني هذا حالة
من التناسق والجمال نجمت عن عمل فيه
لذة العناء الجميل وقلقه فكأننا في رحاب
كون من صوفية المعاني وموسيقى الجنان
وشوق الحكاية في تفاصيلها الداكنة
والفاتحة المحيلة الى متعة لا تضاهى في
أكوان الضجيج والارباك والتداعيات المرعبة
والسقوط المدوي..و بخصوص الرؤية
الجمالية ومضامينها في هذا المعرض الأخير
«ميتافنتازيا» تقول فاطمة «... ميتافنتازيا
META-FANTASIA ..هذا الخيال الذي
يدغدغا وينبش في أعماقنا، خيال ينسلخ
من رهبة الصمت، يسجل حضوره ليزيح عنا
ما تبقى من عتمة الذات، كل الخوارق هنا
وقفت تستنشق رائحة الخامات والدهان
وفورات الروح المتدفقة من فوهة المجهول
المحفورة على لحن إيقاعات سيمفونية ...
روح ثائرة بفرح إنساني تعشق الجمال
وتحفر في غبار الذاكرة...ميتافنتازيا»،
إعادة خلق لصخب روحي جديد، ممزوج
بشهوة الخامة في خلق متعطش إلى بهجة

المحفوف بالبحث الفني الابداعي حيث
يصعب بل لا مجال للفصل بين الجمال
والسؤال والقلق والتجدد وفق عنوان هو
التشكيل المفعم بالتجاوز والمغامرة دون
نسيان المراد والمرغوب فيه وهو الجوهر .

في دروب وعوالم فنون الحفر الشاسعة
تأخذنا الفنانة التشكيلية والأكاديمية
فاطمة ديمق بكثير من عناء الفن الذي
ترتكب وجماله وأبحاثه الى كونها الذي
تتجول فيه منذ عقود اشتغالا وعرضا وبحثا
وفق تقصدها المخصوص لتشير الى محطاتها
الجديدة ونعني معرضها الفني التشكيلي
الشخصي المنتظم بقاعة العرض الأنيقة
للمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس..

في هذه الجنان المفتوحة على الدهشة
تلوينا وحفرا ورؤية وسؤالا واحالة على
صورة جمالية جامعة في تعاطيها بين القديم
والجديد..الأسطورة و..... في تلاؤم مميز
بين الرغبة في البحث عن فضاءات كبرى
تتقبل الأعمال في فن الحفر وجمالية التقبل
المضمونة باعتبار الحكاية والخيط الناظم
في خيال المتلقي وهو يتابع الأعمال المتلاحمة
في تقاليها وفي تمش مستطيل لينكشف
اثر ذلك هذا المراد الجمالي المرتسم في ذهن
فاطمة ديمق وهي تضع فكرة عملها هذا
وتنسق مراحلها وتقدمه للعيون..و الأجسام
..فالنظر والحركة على درجة قصوى من
الأهمية لزائر المعرض للاتيان على المحتوى..
الفن والحكاية والصعوبة الناعمة التي
نعني هنا ووفقها لعبة فن الحفر بشكل
آخر وتعاط فارق...
على جدران الرواق بالمعهد وفي هذا

الفن..هذا الآخذ بالدواخل سؤالا وبحثا
وقلنا حيث الفكرة في تجليات تلويناتها
قولا بالذات وهي تلهج بالأسماء والأشكال
والأبعاد والتفاصيل وفق موسيقى لا نعرفها
تعلي من شؤون المهج كالحب تماما ..

انها لعبة الوجد في أرض لا تقول بالسكون
انما تسعد بالحركة المقيمة فيها حيث
التجدد مع كل دوران والذهاب أكثر للنظر
والتأمل في شغف السؤال المقيم في الشواسع
..كيف المضي أكثر في الوجود والمتعارف عليه
والمألوف..و كيف للذات أن تكتب وان حفرا
ما تراكم في أيامها من شجن وفتنة وبهاء..و
انكسارات وخيبات جمعة يجمع بينها شأن
القول الفني ومطباته الباذخة..

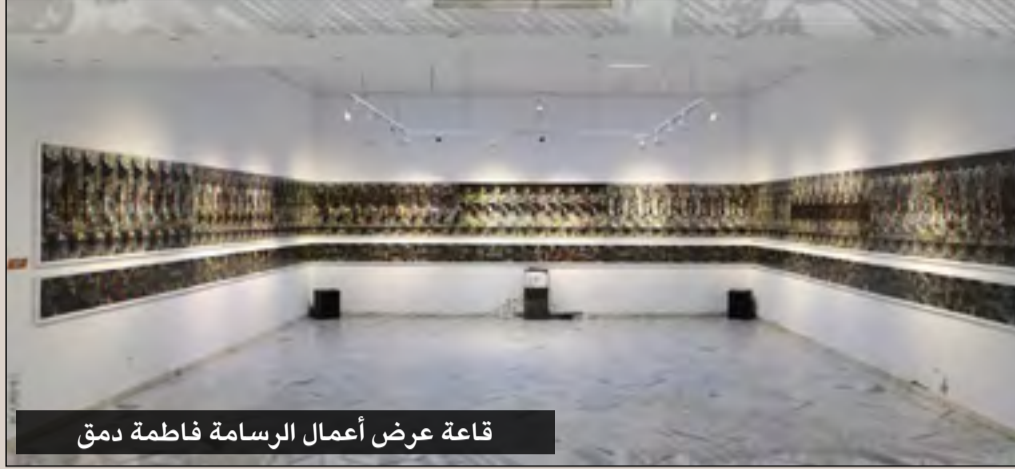
هكذا وعلى سبيل النظر والتأويل
والانطباع أيضا تأخذنا فنانة الى عالمها



لوحة من أعمالها

والدكتوراه عن العجائب في الفن التشكيلي التونسي من خلال نماذج منها عائشة الفيلاي وبوجمعة بالعيقة والهادي السلمي..الفن وهذه البحوث بالنسبة لي كون من القيمة والأهمية وانعكاس لما في ذاتي من خيال ما جعل أعمالي قابلة لتعدد القراءات والتأويل وهو ما أشعر به في علاقة التقبل بأعمالي من قبل من يزور معارضي ويطلع على منجزاتي الفني..عديد التجارب اطلعت عليها ويعجبني بالخصوص الفنان «جيروم بوش» لقوة وسعة خياله وأعماله تجليني إليها أكثر حيث أسافر فيها وأغوص وفيها ألف حكاية وحكاية..الفن الذي أشتغل عليه مهم وفيه صعوبة وشاق ولكن لذيذ واكتشفت كل ذلك منذ معرضي سنة 2017. في معرضي هذا ميتافانتازيا وخلال العمل والاعداد هناك الحكاية والبهجة والحزن والشعر...و تحضر الألوان في كل هذه المشاعر..هي لعبة الفن في خيال شاسع وكينونة على قلق في معرضي الذي نجد فيه التشكيل والشعر والرقمي والحفر وقصائد ايليا أبوماضي وذلك وفق لقاء بين الفانتازيا وما بعد الفانتازيا...هكذا أشتغل وأواصل الحلم الذي هو منطقة مكتنزة بين الوعي واللاوعي استلذ العيش فيه والموسيقى لحن الحياة ونبض القلوب ترقص على إيقاعاتها كل الأرواح الباحثة عن الراحة في تفاصيل الحياة. والألوان هي الطبيعة وحديقة العين وسلاح الفنان. الحب هو ما يمنح السعادة وتستبشر به القلوب وهو الغيمة التي ترافقني فتمطر وداً ووجوداً ووجدانا وإنسانيّة...».

تجربة من تجارب تونسية تخيرت خلالها الفنانة الباحثة الدكتورة فاطمة دمق هذا الذهاب المخصوص في أرض الفن بحثاً وتشوفا واكتشافاً آخر مغايراً للعادي فينا والمالوف كل ذلك باتجاه السؤال والجمال والحيرة وفق فن يسرد ويحكي ويعلي من شؤون الشعر والألوان وبروح حاملة تسعى للمساهمة في اخراج هذا النوع الفني الذي هو الحفر الى فضاءات رحبة في استعادة لحضور جمالي له في حياة الناس والمعمار والامكنة على غرار الأنواع الفنية الأخرى..هي فسحة الفن الباذخة بروح طفلة وشموخ فراشة وبهاء العناصر والتفاصيل في أكوان الضجيج والتداعيات المريبة لعالم قلق ماخوذ بالفتنة والريبة.



قاعة عرض أعمال الرسامة فاطمة دمق

10 مارس 2022 تحت عنوان «الإبداعي في مدارات اللذة» بالشراكة مع مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات كلية الآداب والفنون جامعة وهران 1 الجزائر. وتحصلت على الجائزة الأولى لبلدية صفاقس بمناسبة الدورة 27 لصالون صفاقس السنوي للفنون لسنة 2022، العمل الفائز بتقنية الحفر على اللينو تحت عنوان «أزهار الخير» مقاس 110 صم / 85 صم. و متحصلة على الجائزة الأولى للمهرجان الدولي بالمنستير للفنون التشكيلية وعضو لجنة فرز أفضل ثلاثة أعمال فنية لتظاهرة «هي الحياة» برعاية ديوان الخدمات الجامعية للجنوب والمركز الجامعي للتنشيط الثقافي والرياضي أكتوبر 2022...وصولاً الى المعرض الفردي الثاني تحت عنوان «ميتافانتازيا» فيفري 2023 برواق الفنون بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس...و عن تجربتها والبدايات تقول الفنانة فاطمة دمق «... كنت طفلة في براءة الأحوال حيث يعاقبني والدي لكتاباتي على الجدران وكانت أمي تناولني الأوراق والقلم لرسم ولكني كنت أصر على الكتابة على الجدران حيث كان ميلي للفضاءات الشاسعة فالورقة لا تسعني وأشعر أن الفضاء المفتوح وغير المحدود أفضل لي...تواصلت معي ذلك وأحببت الرسم في المرحلة الثانوية وبعد البكالوريا توجهت الى «البوزار» وتميزت في الرسم والحفر والحفر في ورشة الحفر أحسست أن الفضاء ضيق والمحفورة محدودة ومحكوم فيها..تعلمت فنيات وتقنيات الحفر بمادتي الحشب واللينو ثم توقفت لفترة عن الحفر لأعود للرسم والألوان على قواعد وأسس لتكون عودتي اثر ذلك للحفر..ثم كانت مرحلة البحث العلمي لأتوغل فيها..ثم الماجستير

اللون والشكل وجهان لعشق واحد، وإثارة لذينة لما يمور في الدّاخل ويثور بالخارج من تدفّقات وهج الإبداع...» هي متحصلة على شهادة الأستاذية اختصاص حفر فني منذ سنة 2006 وعلى شهادة الماجستير منذ سنة 2009 وتبأشر التدريس بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس منذ سنة 2009 ومتحصلة على شهادة الدكتوراه في علوم وتقنيات الفنون سنة 2016 وبالتأطير لشهادات الماجستير بحث اختصاص فنون تشكيلية وشاركت في العديد من المعارض الجماعية والمهرجانات الثقافية التشكيلية داخل تونس وخارجها فضلا عن المشاركة في العديد من الندوات العلمية الدولية داخل تونس وخارجها (صفاقس- تونس- سليانة- قصرين- الجزائر- مصر - قطر...) ولها اسهامات فنية وعلمية وأكاديمية بمنشورات متعددة في العديد من المجلات المحكمة والكتب في تأليف جماعي..من معارضها المعرض الفردي تحت عنوان «فانتازيا» نوفمبر 2019 أقيم برواق الفنون بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس وهي المنسقة العامة لرواق المعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس منذ سنة 2020 والكاتبة العامة لجمعية جسر الفنون بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس منذ سنة 2020 وعضو في لجنة القراءة وتحكيم النصوص المنشورة في مجلة سيميائيات، مجلة دورية أكاديمية محكمة تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات جامعة وهران 1 الجزائر منذ سنة 2021 ومخبر المناهج التأويلية، كلية الآداب بصفاقس منذ سنة 2019 والمنسقة العامة لندوة علمية دولية نظمت بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس أيام 8 - 9

تشكيلية وُلدت وترعرعت في أعماق الدّات، تعبق برائحة الغريب المتخيّل والمعرّش في كل الفضاءات والمساحات، نضجت وسط التكرارات والإيقاعات فتفجّرت معها ينابيع تطفح بالتساؤلات، وأشكال تتراقص في تكرار وغير تكرار، تنمّرغ في اتّساع الفضاء وكأنّه مستودعها الآمن وملاذها الأخير الذي يرتشف لهفتها بطريقة شفيفة وغير شفيفة إلى أن تسترخي مبتهجة فوق هامات التخيل وكأنها ظلال من الرّوح تفرش أحلامها بلحن العجيب والإعجاب في بحث سرمدّي عن لذيذ المعنى..نسترخي في «ميتافانتازيا» كمتعب من سفر طويل بعيدا عن كل ضجيج، وسط غابة مكتنزة بالألوان والمنعرجات والخطوط والظلال في مساحات وفضاءات مترامية، وكأنه الإّتساع الذي تشتهيهِ اللوحة في شوق للذاكرة المنتثرة في ربوع الوعي ومرايع اللّوعي حيث الخطابات التي تحنّ لصوت الرّوح وهي تبوح بأسرارها الدّفينية في رحلة تشكيل مترنّحة بين شهقات الإبداع وشوائج العذاب والأمل، ذاكرة مخضبة بعجائن اللّون واختلاط الموادّ وخشونة الخامات، غارقة في السّطح والجرف، تتواتر بين الحفري والرقمي أين يحلو اللّقاء لترتسم فوق قبة نهار في يوم مضّمخ بسديم الوجود المزهر مع لطات لونية هائجة موشورة بإيقاع الشموس في اتّساع الأفق، شنتها مهاويل أصابع تحفر وسط صليل الآلة وصرير المادة في اندلاع أجيح لحرارة الحركة الجائشة لجيوش من الأشكال والألوان فوق سطح بياض اللوحة. هل سألت الأصابع لوحتها؟ هل سألتها باستحياء لماذا تبتسم الألوان رغم هيجان الحركة وسط باقات فانتازية تتمرّد داخلها أنات الإبداع في منتهى تجليات المُشتهى؟..كيف استطاعت اللوحة أن تُضيء نور ابتسامه غارقة لتخرج في لحظة خارقة؟..اللوحة هنا مهمورة بالأمل، بالوداعة، بالبسمة، تبحث في أعماق آهات مخبّأة في تعاريج ظلال الروح المتعبة، لتسير بها في هدوء جمالي واستكانة روحية نحو ضفاف الذاكرة مخضبة بالشوق للفكرة لتفتح الشهية نحو كتابة القصيدة، وتحفل بالأبجدية في حلّة جديدة. لم تبخل اللوحات على النّص والكلمات، بل فتحت فضاءاتها الهائجة لألوان شهوة الشمس على إيقاع كلمات «إيليا أبو ماضي» فتخرج حُبل بالتور والأحلام ... ففي عناق الكلمة مع

صورة تتحدّث



صورة نادرة من الخمسينات لاقطاب الغناء التونسي في ذاك الزمن الرائع لكل من الفنانة فتحية خيري والفنان الهادي الجويني وسيد الاغنية الفكاهية في زمانه صالح الخميسي
عن ولد الباشا تونس زمان

مقرين



ينظم المركز الثقافي بمقرين بالتعاون مع المجتمع المدني بمقرين، الدورة الثانية لتظاهرة نسيمات مقرين الرمضانية وذلك من 11 إلى 19 أبريل الحالي.

ستقام كل العروض بقاعة أفراح بلدية مقرين بإستثناء ورشة الخط العربي والندوة العلمية للحوارات الثقافية فسيحتضنها المركز الثقافي بمقرين.

تفاصيل البرنامج:
اليوم 11 أبريل: عرض في الإنشاد الصوفي بعنوان بدر العشاق لفرقة الفنان رياض بوراوي

13 أبريل: عرض موسيقي بعنوان مجالس الطرب للفنان ماهر الجعايبي ومجموعته

14 أبريل: ورشة في فن الخط العربي بإشراف الفنان ياسر جرادي

15 أبريل: حوارات ثقافية حول أهمية الصحة النفسية للناشئة والشباب تأطير الأخصائي النفساني صدقي بالشيخ

وإشراف الفنان محمد الخشناوي
16 أبريل: مسامرة شعرية بعنوان شدو الكلام بإشراف الكاتب حسن العلوي واستضافة

الشاعر آدم فتحي

17 أبريل: عرض موسيقي بعنوان في رحاب العزف لمعهد الموسيقى الخاص زرياب تأطير الأستاذ عبد الرؤوف الرمضاني

18 أبريل: عرض موسيقي بعنوان طربيات للفنان نور الدين الباجي

19 أبريل: عرض موسيقي للفنانة سمية الحثروبي

بن عروس



تنظم دار الثقافة النموذجية ببن عروس تحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بولاية بن عروس، الدورة الثانية لمهرجان قناديل رمضان من 10 إلى 16 أبريل الحالي بدار الثقافة النموذجية ببن عروس وتتنوع الفعاليات بين موسيقى صوفية وطرب أصيل وشعر شعبي.. تنطلق كل العروض على الساعة العاشرة ليلا.

10 أبريل: تم الإفتتاح بعرض فرقة حلب السورية

11 أبريل: عرض أهازيج وقوافي للشعر الشعبي لفرقة كوكبة القوافي للشعر الشعبي والأغنية البدوية

12 أبريل: عرض فرقة الألفة النسائية
13 أبريل: برنامج حوارات ثقافية: قيمة

المكتوب زمن الأنترنات
14 أبريل: عرض موسيقي للفنان زياد الفطناسي بعنوان تامتوت

15 أبريل: عرض موسيقي لمجموعة سهيل الشارني بعنوان سيكا فينييريا

16 أبريل: عرض حضرة مجموعة الزواوي للإنشاد الديني بعنوان الشاي لله

طبرية



بداية من 11 وإلى يوم 17 افريل، تقام تظاهرة "طبرية تتنفس فن.." وستقام فيها مجموعة من الفعاليات من عروض مسرحية وموسيقية وتنشيطية بالإضافة إلى ورشات في صنع الدمى لفائدة الأطفال..

تفتتح التظاهرة يوم 11 أبريل على الساعة الثامنة ليلا بعرض تنشيطي لجمعية وجه لوجه للمسرح بشوارع مدينة طبرية وفي تمام الساعة التاسعة ليلا يقام عرض مسرحية كلون بدار الثقافة طبرية

يوم 12 أبريل يكون الموعد على الساعة التاسعة ليلا مع عرض مسرحية المهاجران لشركة فن الضفتين أما يوم 13 افريل فستعرض مسرحية الهوارب لشركة حنبل للإنتاج والتوزيع الفني.

يوم 14 أبريل وعلى الساعة الثامنة ليلا تنتظم ورشة في صنع الأقنعة تحت عنوان "من القناع إلى العرض المسرحي" بدار الثقافة طبرية.

أما الساعة التاسعة ليلا فسيكون الموعد مع عرض مسرحية البيت الواسع لجمعية عشاق المسرح بتونس.

يوم 15 أبريل وعلى الساعة التاسعة ليلا يقام عرض المزادوية فن شعبي من تنظيم

الغرفة الفتية الاقتصادية بطبرية
يوم 16 أبريل على الساعة الثامنة ليلا تقام ورشة مسرحية القصة بتقنية عروسة الطاولة

من تأطير طارق عتروس وميساء السعيد. فيما يكون الموعد على الساعة التاسعة ليلا مع عرض مسرحية الفاميليا السعيدة لجمعية ارتيميموس بسكرة

يوم 17 افريل وعلى الساعة الثامنة ليلا ورشة مسرحية القصة بتقنية عروسة الطاولة من تأطير هيثم وناس والساعة التاسعة ليلا عرض مسرحية "باتاتي بتاتا" للأطفال للمخرج محمد كواص من صفاقس

يوم 18 أبريل على الساعة الثامنة ليلا الاختتام بورشات وعرض مصغر وعرض موسيقي لغسان الغريسي.

المحمدية



من 14 إلى 17 أبريل بمعلم قبة الباي بالمحمدية وتحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية ببن عروس وبالتعاون مع بلدية المحمدية، ينظم المعهد العمومي للموسيقى والرقص بحمام الأنف والمعهد العمومي للموسيقى بالمحمدية، وذلك من 14 إلى 17 أبريل بقاعة العروض بمعلم قبة الباي بالمحمدية. تنطلق العروض على الساعة العاشرة ليلا.

يتضمن برنامج المهرجان أربعة عروض موسيقية وفقا للتالي:

14 أبريل: عرض للفنان بهاء الدين بن فضل بعنوان LES NOTES CHAUDES

15 أبريل: عرض لأمينة البقلوطي بعنوان LES VOIX LYRIQUES DE BEN AROUS

مرناق



تنظم دار الثقافة بمرناق تحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بولاية بن عروس، تظاهرة ليالي رمضان من 9 إلى 16 أبريل 2023 بدار الثقافة بمرناق وعرض واحد بالمركز المندمج الزاوية بمرناق. تنطلق كل العروض على الساعة التاسعة ليلا.

ويتضمن البرنامج العروض التالية:
9 أبريل: تم عرض موسيقي شبابي في الرب بعنوان "برشة حس" احبته مجموعة من شباب مرناق و"دي جي جهاد"

اليوم 11 أبريل: عرض مسرحية موجهة للأطفال بعنوان "تاتسو" التنين
12 أبريل: عرض تنشيطي للأطفال لسالم ساليمو

13 أبريل: سهرة الشعر مع ثلة من شعراء مدينة مرناق (الشاعرة هدى الدغاري والشاعرة مفيدة الشعري والشاعر صالح الطرابلسي) ومرافقة موسيقية للأستاذ بلحسن بن سعيد

14 أبريل: عرض الفنان نجيب خلاص بالمركز المندمج الزاوية مرناق

جدليان



تنظم جمعية "هن" وجمعية أحياء دار الثقافة بجدليان ودار الثقافة بجدليان من ولاية القصيرين مجموعة من السهرات ضمن فعاليات الدورة الثانية لـ"مهرجان رمضان" المنتظمة من 7 إلى 19 أبريل الجاري.

افتتح سلسلة هذه السهرات من فضاء مبيت المدرسة الإعدادية بجدليان والذي يحتضن أمسية للمواهب الشبابية تؤثتها نوادي المدرسة الإعدادية ونوادي الإختصاص بدار الثقافة بجدليان موسيقى إلى جانب عروض في الرقص العصري وأخرى فرجوية.

10 أبريل الجاري يكون الموعد بساحة دار الثقافة بجدليان مع عرض في الإنشاد الديني بعنوان بعنوان "صفاء الروح" ومن تأثيث مجموعة عبد الستار مرازقية

11 أبريل الجاري مع عرض مسرحي بعنوان "جزيرة الألوان" وهو من إنتاج دار الثقافة بجدليان
يوم 13 أبريل مخصصة للفن الرابع وتحديدا مع عرض مسرحي فكاهي بعنوان "هات...هات" للفنان منير العوني
16 أبريل الجاري مع عرض مسرحية "عائشة 13" لشركة مسار بتونس.

سيكون للأطفال نصيبهم من هذه البرمجة ومن خلال عرض تنشيطي تراثي لفائدتهم بعنوان "عالم الأطفال" مع مجموعة صغير صغرون لتنشيط الاطفال بسببية وذلك يوم 18 أبريل الجاري
اختتام المهرجان يوم 19 أبريل الجاري مع حفل فني شعبي للمبدعة نجوى النوي وحفل ختان لأبناء العائلات المعوزة بالتعاون بين جمعية هن وجمعية أحياء دار الثقافة بجدليان. منصف الكريمي

تونس

ينظم المركز الوطني لفنّ العرائس ابتداء من يوم الاثنين 10 أبريل الدورة الحادية عشر 11 من تظاهرة "عرائس رمضان" والتي تتواصل إلى غاية يوم الاثنين 17 أبريل الحالي. وفي البرنامج مسرحيات عرائسية للكهول والأطفال إلى جانب العروض الفرجية والتشيطية.

برنامج "عرائس رمضان 11" بالمركز الوطني لفنّ العرائس، بمدينة الثقافة وبشارع الحبيب بورقيبة. كل العروض على الساعة التاسعة (21) ليلا..



توزر



تنظم بمناسبة شهر رمضان بعدة جهات بالولاية تظاهرات رمضانية على غرار "ليالي رمضان بالمحاسن" وليالي حامة

الجريد ودقاش ونفطة وتمغزة وحزوة، إلى جانب برمجة النادي الثقافي أبو القاسم الشابي التي انطلقت يوم 08 أبريل لتتواصل إلى حدود يوم 15 أبريل الحالي.

وتتنوع العروض في مختلف هذه المناطق بين الموسيقى والشعر والعروض الصوفية والفقرات التشيطية والسينمائية وغيرها من المقترحات على غرار عرض التخميرة حضرة سيدي بوعلي و"وشمة" لنسيم العبيدي وعرض مسرحية 18 أكتوبر لمركز الفنون الدرامية والركحية بتوزر وعرض حكواتي خاص بالسيرة النبوية للغرياني السعيدي والعرض الطربي للفنانة ناجحة جمال وغيرها من الفقرات والمواعيد الثقافية.

حلفاوين

إحياء لشهر رمضان وفي إطار توجهات وزارة الشؤون الثقافية، نظم المسرح الوطني التونسي مهرجان "تجليات الحلفاوين" الذي تزامن مع الذكرى الأربعين لتأسيسه تحت شعار 40 سنة مسرح حلم وحياء.

ويأتي مهرجان "تجليات الحلفاوين" كإمتداد لتظاهرة "ليالي الحلفاوين"، وقدم في دورته الأولى من 06 إلى 15 أبريل التي احتضنها قصر المسرح بالحلفاوين والبطحاء المتاخمة له، برنامج عروض متميز ومتنوع جمع بين المسرح والموسيقى والرقص والفنون الأدائية، وانسجم مع روح الحلفاوين في ليالي رمضان وتناغم مع رمزيتها الثقافية والتاريخية... وكان البرنامج كالتالي:

الافتتاح بروح صوفية مع عرض "كلمات"

في استهلال "تجليات الحلفاوين" يقترح المسرح الوطني على جمهور بطحاء الحلفاوين رحلة صوفية وروحية جمعت بين الموسيقى والرقص وفن الإلقاء من خلال عرض "كلمات" لمروى مناعي بدعم من مؤسسة المسرح الوطني التونسي. في مزج بين نصوص لأقطاب الصوفية على غرار جلال الدين الرومي وشمس التبريزي وابن عربي ورابعة العدوية ومدونات لفريدريك نيتشه ونيكوس كازانتزاكيس ومارغريت دوراس... اقترح عرض "كلمات" على جمهوره سفرا على أجنحة كلمات ليس كالكلمات في مصاحبة راقصة ومرافقة موسيقية في فسحة من الصفاء الذهني والسلام الروحي وكان ذلك يوم 6 أبريل 2023 على الساعة العاشرة ليلا ببطحاء الحلفاوين.

وتجدد اللقاء مع "تجليات الحلفاوين" يوم 7 أبريل بتقديم 3 عروض متتالية موجهة أساسا للأطفال، وهي: "مجانن" لحاتم حشيشة، و"أفان" لشادي الماجري و"طبيب الضيعة"



للأسعد المحواشي. وتتواصل تجليات الحلفاوين مع العرض الموسيقي التونسي «سين» لبنجامي يوم 8 أبريل، تلاه في السهرة الموالية عرض "دنيا" لمحمد علي شبيل ومحمد بن صالح. وفي اختتام تظاهرة "تجليات الحلفاوين" كان الموعد مع عرض "ميتامورفوس" للمخرجة آسيا الجعابي وأداء جلييلة بكار.

3 عروض في سهرة مسرحية خاصة بالأطفال في إيمان بدور مسرح الطفل في بناء الأجيال وفي أنفتاح على إنتاجات المركز الوطني لفنّ العرائس وعلى مراكز الفنون الدرامية والركحية، خصّصت تظاهرة "تجليات الحلفاوين" سهرة كاملة موجهة للطفل تضمنت 3 عروض مسرحية وذلك يوم 7 أبريل 2023. وكان الموعد على الساعة التاسعة نصف مساء مع مسرحية "مجانن" نص وإخراج حاتم الحشيشة وإنتاج مركز الفنون الدرامية والركحية بصفاقس. ضمن فن الشارع اقترح عرض "مجانن" مسرحية عرائسية عن رحلة بوسعدية وعرض في فن السيرك المعاصر في تصوّر للجيلاني شحيد. في التقاء أبجديات الرقص الحضري بتقنيات الرقص المعاصر طرح هذا العرض إشكالات الهوية والفردانية والاستقلالية في عصر النمطية وفقدان بوصلة الاتجاهات الصحيحة.

ومباشرة بعد عرض "مجانن" كان الموعد مع عرض "أفان" إنتاج مركز الفنون الركحية والدرامية بسليانة وإخراج شادي الماجري. في هذا العرض العرائسي يقود البطل "أفان" مغامرة مشوقة ورحلة شيقّة من أجل فعل الخير وإنقاذ قبيلته من العطش.

وكان ختامها مسك مع عرض "طبيب الضيعة" وهي مسرحية عرائسية للأطفال والعائلة من إنتاج المركز الوطني لفنّ العرائس وإخراج الأسعد المحواشي. ويسرد هذا العرض قصة ضيعة بعيدة تعيش بها حيوانات في تآلف وسلام... وفي يوم من الأيام يظهر الحمار بعد طول غياب عن الضيعة ويتظاهر بإتقانه لمهنة الطب ولكن أهل الضيعة يكتشفون حيلته بعد أن أوهمهم بالشفاء والدواء فقرروا معاقبته على صنيعه بطريقة طريفة ومختلفة.

شني قابس

الليلة الثلاثاء 11 أبريل يتم إفتتاح "ليالي شني الرمضانية" بسهرة الفداوي "قصة سيدي بلبابة" للمخرج صالح الجدي إنتاج مركز الفنون الدرامية والركحية بقابس بساحة الرحي بشني انطلاقا من الساعة العاشرة ليلا.

وتتواصل ليالي رمضان بشني إلى غاية يوم 17 أبريل الحالي بعروض متنوعة تأثت فقرات التظاهرة (عرض الفداوي - عرض الانشاد الصوفي - سهرة موسيقية وسينمائية - عرض مسرحي)



تونس

أركسترا قرطاج السيمفوني يقترح ككل رمضان سهرة موسيقية يقدم فيها مجموعة من ألحان من الشرق... حافظ مقني، مراد قعلول وكافة أعضاء CSO كورال والأركستر سيعزفون مقطوعات لمحمد عبد الوهاب، وفريد الأطرش، ولأخوين رحباني وعدة ملحنين شرقيين. فقرة كاملة ستكون مخصصة لمحمد الموجي بمناسبة مئوية ميلاده.

الموعد يوم الثلاثاء 18 أبريل 22H00 بالمسرح البلدي بتونس

لا تتركيني

محمد الحمدي

سألتك باسم الورود مطوقة بالندى..
و باسم العصافير مفتونة بالنشيد..
سألتك باسم الأغاني مضمخة بالحنان..
سألتك باسم الأحبة..
و السهرات تفوح بعطر الحديث..
وعذب الأمانى..
سألتك بالحب..
و الشوق..
و الخمر..
و الحلم..
و البهجة والورود..
سألتك باسم الحنين..
و باسم الطفولة..
باسم الجنون..
سألتك باسم النجوم المنورة..
والهلال..
سألتك باسم الشمس الحنون..
باسم الفضاء الرحيب..
و باسم السماء الأخيرة..
باسم الإله..
و باسم الخلود..
سألتك باسم الفصول الخصيبة..
باسم الرغيف..
وباسم الرذاذ..
و بالأنهر..
و البحار..
سألتك باسم الدوالي معرشة في الحقول..
و باسم النمار..
سألتك باسم الخيول الأصيلية..
باسم الغزال الغريب..
و باسم روائع هذا الوجود..
سألتك باسم السنابل مسروقة..
و النخيل مدمى..
سألتك بالكدر والكادحين..
سألتك بالجوع والجائعين..
سألتك بالقهر والتأثرين..
سألتك بالوجع المزمين..
بالليالي الكنيية..
باسم التشرذم..
والذل..
و الغربية القاتلة..
سألتك يا مهترتي..
يا حياتي..
رفيقة دربي..
و يا سندي عندما تنعب العاصفة..
سألتك هلا مكنت بقربي..
فهذا الزمان ثقيل علي..
أدريين أي سكرت من الحزن حتى
كفرت..
فلا تتركيني كصفافة جرحتها الثلوج..
فمن يا ترى إن رحلت سيمسح دمعى..
يضمد جرحى..
يسرب ماء الحياة لقلبي..؟

حنين

البشير المشرقي



كم ذا يحن وكم يتوق لهمسكم
وعطوركم هطلت كغيم أمطرا
أين المجالس كنت فيها هانئا
ومعي الأحبة والفراق تأخرا؟
إني لأذكرهم كأني طائر
ظلمان يشتاق الخميل الأخضر
وأمد كفي ضارعا وكانهم
عادوا وعاد الغصن غضا مزهرا!
سأظل أرقب ركبهم بجوانح
ظماى وقلب طائر لن يصبرا
حتى يعودوا بيننا كعنادل
عادت لدوح في البهاء تجذرا
واكون والأشواق تملأ خاطري
ملكاً على عرش الحنين تصدرا!

غاب الأحبة كيف غابوا يا ترى؟
وبقيت جفني لم يذق طعم الكرى
بين وأشواق وطول مسافة
وحفيف تذاكر وحلم أدبرا
وأنا هنا والوقت يهرب مسرعا
أقضي الليالي لهفة وتحسرا
كانوا هنا مثل الطيور أنا بهم
ملك وفي لج المحبة أبحرا

شيخوخة السنين

محفوظ مصباح



يعصرني الشهيق
أحضن أطيافا أسرها بما يخفف الطريق
ما أتعب العمر الذي أثقله الأنين
وخانه الدواء
في غفلة مضى الربيع لحظة
وذي عواصف الأسي
ورحلة الشقاء
بين فتور تارة ..
وتارة سكينه الدعاء
يختلج النبض ابتهاالا ...
يكبر الحلم الذي أرضعه الرجاء
يكبر جامحا عنيدا
طامعا يعانق السماء
ما أثقل الخطى إذا ما خانها الشباب
تضل الطريق
يخيفها السراب

لا شيء في ذاكرتي
غير صدى شيخوخة السنين
شاخت دروبي غربة
ولفها مر وأشباح من الحنين
ولملمح تراقصت خلف ضباب مائج
ترنو إلي حسرة
في موكب حزين
كنت أجز خيبيتي

ألى رمسها.. زفت
سميراميس؟



آمال عواد رضوان

ولأبع أسطورة الجمال .. في موسم الزواج!
واستنجدت:
أترأها الحمامة سميراميس
في سوق نينوى تميس؟!
أطفلة مطهمة .. يئنقها شاب خليله؟
أكهل يزعى ورديته الحدود.. لابنه حليله؟
من يساوم على نمني؟
من يغالي على شرفي؟
قال:
ها العقيم سيمًا؛ ناظر مرابط خيول الملك
يتنهذ الفرج له .. أنفرح بك زوجة؟!
وبرهافة دوري .. تكبر الطفولة معك وبك
وفي محياك يفوح الفرخ
كمهزة .. تسدير بك التراءة
نصرة .. شهية .. تنساب أنوتك
شفاقة .. غامضة .. ليئة عصية
كأحمل ما تكونه الحوريات!
أني لمستشار الملك أونس
لا يضعقه جمالك؟
قالت:
وأكأننا على زفاف
حصب السعادة
نمتشق الفرخ بطفلين؛
«هيفاته» و «هيداسعة»
صرخ:
لكن ملك نينوى .. يأبى إلا
أن يقتطف مفتاح الكنز
في بلاد الوعى .. ما بين النهرين!
واقترحت:
أبكترا صامدة .. عصية الاستيلاء؟!
قال:
سألتك باسم الرغيف..
وباسم الرذاذ..
و بالأنهر..
و البحار..
سألتك باسم الدوالي معرشة في الحقول..
و باسم النمار..
سألتك باسم الخيول الأصيلية..
باسم الغزال الغريب..
و باسم روائع هذا الوجود..
سألتك باسم السنابل مسروقة..
و النخيل مدمى..
سألتك بالكدر والكادحين..
سألتك بالجوع والجائعين..
سألتك بالقهر والتأثرين..
سألتك بالوجع المزمين..
بالليالي الكنيية..
باسم التشرذم..
والذل..
و الغربية القاتلة..
سألتك يا مهترتي..
يا حياتي..
رفيقة دربي..
و يا سندي عندما تنعب العاصفة..
سألتك هلا مكنت بقربي..
فهذا الزمان ثقيل علي..
أدريين أي سكرت من الحزن حتى
كفرت..
فلا تتركيني كصفافة جرحتها الثلوج..
فمن يا ترى إن رحلت سيمسح دمعى..
يضمد جرحى..
يسرب ماء الحياة لقلبي..؟

إن ترسل جندا إلى
شاهق دون السماء
وتلتف
حول
خاصرة العذو المذافع
تعد بكثرا
تحت راية مجدك البيضاء
فلا تتحدر قلوب
ولا تفيض مدايح!
صاح محذرا:
ها الملك ينوس
يتسلق جبال الهوا
وقد خلنت لبه
أقلبه الجريخ
يستسلم للهوى?
قال:

أيا أسطورة الحكمة .. والجمال الفنان
بمخياك المشرق الباش
تسجريني
برموشك الكثيفة
ترمينني .. وتأسرينني
غدوت في صبوة
وأنت ترتعين .. بين خليبي وكدي
أتكونين لي زوجة؟
أتكونين لي ملكة .. لا سحابا خلبا؟
أيا أونس .. لك فلذات كبدك
ولي .. قريبتك
فلا أفلح عيني!
قالت:
إلى عرش مملكة نينوى
بلاد الرافدين .. زفت سميراميس
وإلى الرمس
نعفت أونس المنتحز!
أما رمست الرياح الأتر؟!

من كتاب الرسائل (أتخلدني نوارس دهستك)،
عام 2018، وهيب وهبة وأمال عواد رضوان،
يليهما رد قادم!

انهيار

ماهر بودية

فكري تأكل في انهيار مسرع
فكفى لعين تشتكي لا تدمعي
بل حيرتي تزداد لا تتوقف
وشعور يأبى في يئنهك مسمعي
الارض ضاقت بي وهي فسيحة
كالسجن عيشي في ثناه ومخدعي
عندي انتظار في الحياة مطول
طول الزمان أغوص في مستنقع
يزد الزمان وزمهريره معسر
الفقر ذل للرجال وموجعي
نظرات كبر تزديني حفرة
وكرامتي في الكل غاية مطمعي
يا رب فرج عن عبئك كربة
ثقلت علي تنوء منها أضلعي
لابد للظلمات من فلق يجي
من قبل أن ألقى بظلمه مضرعي
يوما أشم زهور فجر قادم
أك مبدعا فنا وأنت مشجعي
فأطير من حرיתי كالطائر
أشدو كعصفور بصوت مصدع



طرائف الزعيم (ج 350)

لم يتأثر الزعيم إلى حد البكاء بحرقه؟

من غير شك... وكانت هذه الحصة تذاق بعد الساعة الثامنة حيث انها تنتهي مع الثامنة والنصف... لما اذعت هذا الحديث في تلك الليلة قبل الساعة العاشرة جاءني رسول من طرف القصر الرئاسي يؤكد علي ان أحضر غدا قبل الساعة التاسعة وطبعا استجبت... واقتبلني الزعيم، من شدة التأثر الذي استولى عليه لما حييته تحية الصباح لم يستطع ان يرد علي وهو مجهش بالبكاء وبعد حين كاشفني انه تآثر جدا لما تعرضت إليه في الليلة الماضية



وقال لي انه لم ينم طوال الليل وهو يستعرض ذكرياته مع والده وان ما استمع إليه لم يجعله يقتصر على حبه الشديد لوالديه اللذين هما سبب حياته وإنما في الواقع اثار في نفسه شجونا كبيرة حول العائلة الصغيرة كما قال أُنذاك لأن في تعابيره وفي تفكيره كان يرى انه ليست له عائلة كما يتصور الرجل العادي اذ كان يعتبر ويعتقد ان عائلته الكبرى هي عموم الشعب التونسي فكان كما يعبر وكما كان يقول دائما انه اب للجميع واخ للجميع لا فرق عنده بين كبير وصغير وبين امرأة ورجل... فعندما تجيش خواطره وعندما يتحرك تفكيره نحو العائلة الصغرى يستولي عليه نوع من الاندهاش ومن التأثر الذي يلازمه احيانا لفترة طويلة وهذا ان دل على شيء فانه يدل على انه كان حساسا من حيث ذكر والده أو والدته وكذلك بعض الأحداث التي تتعلق بعائلته.

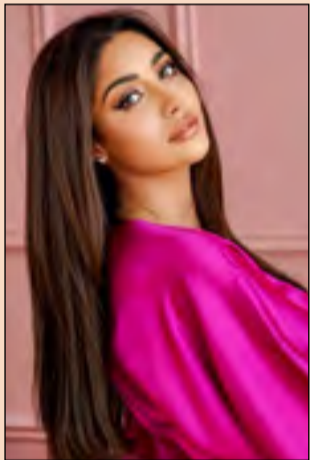
يتحدث المؤرخ الراحل الحبيب شيبوب عن المشاعر الإنسانية الحساسة للرئيس بورقيبة في كتابته "مع بورقيبة: أحاديث وذكريات" الصادر عن دار البستان للنشر... حيث يقول الاستاذ شيبوب ان الزعيم كان عنده ناحية تؤثر عليه ولما يقع الإشارة إليها أو الخوض فيها يبدي من التأثر ومن العواطف التي تستغرب ان تأتي ممن كان في مثل سنه وفي منصبه... ويضيف سي الحبيب شيبوب كان لي مرة من المرات برنامج بعنوان "من الصحف القديمة" وكنت في هذا البرنامج

أحاول ان اقدم نماذج مما نشر في الصحف القديمة سواء عن أشخاص أو عن أحداث أو بعض الفصول التي كان لها صدى عند القراء...

ففي حصة من هذه الحصص تعرضت لما كتبه الصحافة عندما توفي والد الزعيم سنة 1925 كتبت الصحافة وقتها بعض الفصول لتشييد في الحقيقة بإخوته لأنه هو لم يلمع نجمه في ذلك الوقت وانما اخوته وبخاصة أخوه محمد بورقيبة الذي كان رجل المسرح وكان له اهتمام كبير بالنشاط المسرحي وعندما عزت الصحافة الأخوة وأتت على اسمائهم بما فيهم اسمه هو شخصيا وقالت ان هذا الرجل ترك نخبة من الأبناء لهم صيت ولهم اصدقاء ومعارف الخ... أنا استعرضت ما كتب عن والده وعلقت حسب ما اقتضاه المقام حول هذه المناسبة التي هي اليمه

فنّ وفنانون

التونسية يسرا الجديدي تغزو الدراما المصرية



فاجأت الممثلة التونسية يسرا الجديدي متابعيها، بعد ظهورها في مسلسل «الأجهر» في أول تجربة تمثيل لها في عمل درامي عربي. وتشارك الممثلة التونسية يسرا الجديدي لأول مرة في دراما رمضان لهذا العام، بظهورها في دور ياسمين الحوت في مسلسل الاجهر الذي يتم عرضه يوميا على قناة أم بي سي مصر

وأعربت يسرا الجديدي عن سعادتها الكبيرة لخوض تجربة التمثيل إلى جانب كبار الممثلين، متمنية أن تكون عند ثقة مخرج المسلسل ياسر سامي ومنتجه صادق الصباح.

مسلسل «الأجهر» تأليف ورشة ملوك، إخراج ياسر سامي وإنتاج صادق الصباح، وبطولة خالد زكي وعمرو سعد ودرة زروق وسعد رجب وعمر عبد الخليل ومحمود قابيل ودرة وأخرون.

وتدور أحداثه في حي الدرب الأحمر بالقاهرة في إطار اجتماعي شعبي، حول صراعات عديدة يدخل بها عمرو سعد الذي يجسد دور يوسف وهو شاب خارج على القانون نشأ في إصلاحيية بسبب قتل والدته، ورغم ظروفه الصعبة يمتلك صفات نبيلة كما أنه عاشق للذهب والماس ويتاجر فيهم.

ويتهم يوسف ظلماً بقتل والدته، وبعد هروبه تتشابك حياته مع حياة الصائغ سعداوي، الذي يساعده أن يغير هويته ويصبح مصطفى الأجهر، لكن الأخير لا يتوقف عن البحث عن إخوته والسعي لمعرفة قاتل والدته وكشف الغموض المحيط بماضيه.

المغنية «رنا زروق» سعيدة بنجاح أغنية جينيريك مسلسل «فلوجة»



عبرت الفنانة «رنا زروق» في احدي اطلالاتها الاعلامية عن سعادتها بنجاح أغنية جينيريك مسلسل «فلوجة»، الذي يُعرض خلال شهر رمضان على قناة الحوار التونسي، معتبرة أنها أحد أسباب نجاح المسلسل.

ويذكر أنّ رنا زروق قد شاركت في أداء أغنية «خليني» مع المغني Kaso، والأغنية هي من تلحين مهدي المولهي، وكلمات سيف ايسبادا وKaso.

وشدّدت رنا زروق في حوارها على أنّ الأغنية والموسيقى التصويرية يدعمان نجاح المسلسل، مشيرة إلى أنّها منذ أن استمعت إلى كلمات أغنية «خليني» شعرت بأنّها ستحظى بصدى إيجابي.

ويشار ان رنا زروق سبق لها المشاركة في جينيريك مسلسل «براءة»، لكن حسب قولها فإنّ أغنية «فلوجة» حققت نجاحا أكبر من أغنية مسلسل «براءة»، وأرجعت ذلك إلى أنّ أغنية «باعوني» عُرضت فقط في آخر حلقة، بينما تُعرض أغنية «فلوجة» يوميا، وبالتالي ترسخ في ذهن المشاهد.

وتعدّ «رنا زروق»، فنانة تونسية، غير معروفة، درست في معهد موسيقي، لتنظّم إثر ذلك حفلات خاصة، إضافة إلى تسجيلها لـ 2 أغاني، نشرتهما في وقت سابق... وعرفها الجمهور من خلال مشاركتها الناجحة في حفل إختتام

مجالس الفنون بالحمامات في صيف العام الماضي حيث قدمت فقرة اشتملت بالخصوص على الأغاني التالية "ياي ضالمني" و"عابش من غير أمل في حبك" للفنان الراحل علي الرياحي وأصفت بها المزيد من أجواء البهجة على السهرة.



المخرج بوبكر العش رجل المهمات الصعبة

تنيرة الأنترتي لهذا الاسبوع ساخصصها للصديق المخرج التلفزي المجتهد والمعروف بسرعة الانجاز والاتقان واخترت الحديث عنه مساهمة مني في الاحتفاء الذي خصصه فرع صفاقس لجمعية قداماء الإذاعة والتلفزة التونسية لهذا الرجل تقديرا من الجمعية واعترافا بمسيرته التلفزيونية الطويلة والثرية.

أعطى بوبكر العش 37 سنة كاملة من شبابه وكهولته للعمل التلفزي العمومي الوطني والجهوي، وقد قضى أكثر من نصف تلك المدة في تونس، في رحاب شارع الحرية، أين أسهم في انطلاق التلفزة التونسية سنة 1966 وأسهم في ازدهارها، وقضى بقية المدة في وحدة الإنتاج التلفزي بصفاقس إلى أن خرج من الباب الكبير سنة 2002، عندما حان وقت التقاعد.

ابتدا مسيرته وهو شاب في مطلع الستينات في مدرسة السينما بباريس Conservatoire Libre du Cinéma Français ثم في التلفزة التونسية حيث كان ضمن الكوكبة الأولى من المخرجين الذين أهدوا التونسيين والتونسيات شاشتهم الأولى في 31 ماي 1966

عمل تقريبا في كل اختصاصات الإخراج، المنوعات والايخار والوثائقيات وبرامج الأطفال، وامتاز في الوثائقيات العلمية حيث عرضت له أشرطة عن مقاومة السموم وداء الكلب والحشرات الفلاحية في التلفزيون الفرنسي وكانت محل دراسة في المعهد الفرنسي للسمعي البصري INA.

عمل ضمن الفريق المكلف ببرامج محو الأمية في التلفزة التونسية ثم شارك في سلسلة «لقاء» مع الراحل خالد التلاتي التي خلدت سير اعلام تونس في مجالات الثقافة والفكر والفنون... ثم التحق بوحدة الإنتاج التلفزي بصفاقس سنة 1984 للإشراف على الوحدة مع ممارسة أعمال الإخراج فقد كان ذلك من العوامل الفعالة في تحقيق نمو مركز صفاقس وازدهاره بشكل لافت في عقد التسعينات وبعده.

تعرفت على سي بوبكر العش في نهاية السنوات الثمانين وكان اللقاء بمكتبي بمؤسسة الإذاعة والتلفزة لما جاء حسب قوله لزيارة الشاب الجديد ابن بلده صفاقس المكلف بالبرامج الثقافية وكان مصحوبا بالمخرجين محمد الحاج سليمان وسالم بن عمر وأذكر ان يومها إتفق بنا الاستاذ حبيب حرار وعلق على اللقاء مازحا: «اكهو حلها سي منير جمعية المخرجين الصفاقسية في قناة 7 وزيد لحق عليكم الحبيب مسلماني ومنصف بسباس».. واتفقت معه يومها على مساعدتنا في تغطية الحياة الثقافية في مدينة صفاقس ومدن الجنوب ومدنا بفقرات مسجلة لها لتقديمها ضمن برنامج «مرايا» الذي كان يقدمه الفنان عبد العزيز المحرزي. وفعلا كان العمل كذلك وتحصلنا على عديد التغطيات الاعلامية لتظاهرات ثقافية مهمة امنتها وحدة الإنتاج التلفزي بصفاقس وتولى انجازها الصديقان حافظ الهنتاتي و.د.رضا القلال.

وأذكر ايضا أنه في تلك الفترة أي بداية التسعينات اتصل بي الدكتور لسعد الجموسي لاعلامي بأن المفكر المصري فرج فودة موجود بمدينة صفاقس للمشاركة في المهرجان الدولي وهو مستعد للتسجيل معه سلسلة من اللقاءات الفكرية حول قضايا اسلامية حارقة يتم استغلالها لتلفزيونا... فطرحنا المسألة على سي مختار الرّصاع مدير القناة وقتها فوافق وحملنا المشروع لرئيس المؤسسة سي صلاح معاوية لأخذ الموافقة النهائيّة...

وبعد استشارته للمستويات العليا حصلنا على الموافقة فأتصلت بالمخرج بوبكر العش واتفقتنا على توي وحدة الإنتاج التلفزي بصفاقس عملية انجاز هذه السلسلة من اللقاءات... وكما عهدناه منه مدنا المخرج بوبكر العش بما يقارب عن 13 حلقة امنها صحبة لسعد الجموسي بحرفيّة كبيرة... وتم بث هذه الحلقات يوميا قبل شريط الأنباء الرئيسيّة وأحدثت ضجة كبيرة لجرأة المواضيع المطروحة... وتعد هذه السلسلة وثيقة تاريخية لفكر د.فرج فودة صوّرت قبل مدة قصيرة من عملية اغتياله في مصر... وتجدد اللقاء مع سي بوبكر العش مرة أخرى لما تولى إخراج حصتي

سينما وجمهور بمدينة قابس وكانت عبارة عن لقاء خاص حصري مع المخرج المصري الكبير صلاح ابو سيف الذي كان موجودا بقابس للمشاركة في ندوة سينمائية نظمها مهرجان قابس الدولي حول الواقعية في السينما العربية... وأذكر ان سي بوبكر اقترح تسجيل اللقاء سينمائيا بألة تصوير 16مم مقترحا على صلاح ابو سيف تسجيل اللقاء على شاكلة مشهد من فيلمه «شباب امرأة» مشهد شكري سرحان وتحية كاريوكا في جولة بالحنطور (الكروضة)... وفعلا جسدنا المشهد وتم تصوير الحوار في واحات شنني... وكانت حصة رائعة شكلا ومضمونا جعلت ادارة القناة تقرر بثها في برامج السهرة.

شبهات فساد مالي وإداري :

جامعة كرة القدم بين مطرقة الوزارة وسندان "التاس"



نزار الريحاني

يبدو أن كرة القدم التونسية ستكون على مسلسل جديد من النزاعات القانونية والتبعضات القضائية في ظلّ الملفات العديدة التي فتحتها لجنة التدقيق والتفقد صلب وزارة الرياضة بشأن شبهات تجاوزات مالية وإدارية للجامعة التونسية لكرة القدم برئاسة وديع الجريء في السنوات الأخيرة.

خطوة أكدها شكري حمدة الناطق الرسمي باسم وزارة الشباب والرياضة في تصريح صحفي يوم السبت الماضي بإشارته إلى أن لجنة التدقيق والتفقد صلب الوزارة ستدقق في مختلف المعاملات والعمليات المالية والإدارية للجامعة التونسية لكرة القدم خلال العشر سنوات الماضية مبيّنا أن اشغالها لن تنتهي قبل ثلاثة أشهر.

هل تأتي لجنة التدقيق بالجديد؟

مازالت الجماهير الرياضية تنتظر حقائق وأدلة ملموسة حول وجود شبهات فساد مالي وإداري صلب الجامعة التونسية لكرة القدم خاصة أن تمّ الكشف عن فتح تحقيقات بشأن الجامعة في أكثر من مناسبة سابقة من طرف سلطة الإشراف.

وعلى غرار المناسبات السابقة أكد الناطق الرسمي باسم وزارة الإشراف شكري حمدة انه إذا ثبت للجنة التدقيق والتفقد وجود اخلالات جلية فستقوم بإحالتها على القضاء خاصة اذا تعلق الامر بجرائم خطيرة مشيرا الى ان الوزارة تدخلت في القضية المرفوعة من طرف الجامعة التونسية للرياضة المدرسية والجامعية على جامعة كرة القدم واحالت الامر لوكيل الجمهورية دون انتظار التقرير النهائي للجنة.

وشدد حمدة على ان لجنة التفقد تمارس اعمالها بكل حياد واستقلالية وعلى انها سيدها نفسها مبيّنا انه يمكنها الاستئناس بالملفات التي وردت على الوزارة تحمل شبهة فساد.

وأبرز أن تقرير اللجنة النهائي سيكون جاهزا في ظرف اقصاه 3 أشهر لافتا الى ان الوزارة ستتخذ بعدها القرارات المناسبة مثلما حدث مع جامعات اخرى شملتها لجان تفقد معمق مع مواصلة

الوزارة احالة كل ملف ذي شبهة جريمة خطيرة على انظار وكيل الجمهورية دون انتظار انتهاء أعمال اللجنة.

ورغم أن التصريحات القادمة من وزارة الإشراف صبّت في إطار فتح ملف جامعة كرة القدم برئاسة وديع الجريء والحديث عن تجاوزات مالية وإدارية إلا أن الجماهير الرياضية تنتظر حقائق ملموسة وترتقي إلى درجة المحاسبة عكس التحقيقات والجلسات التفقدية السابقة التي لم تفسر عن اية نتائج تدين وديع الجريء.

هلل الشابة بالمرصاد

أكد الهلال الرياضي الشابي في بلاغ نشره بصفحته الرسمية على موقع " فايسبوك " يوم الخميس الماضي ختم الأبحاث في قضية التديس التي رفعتها إدارة الفريق فيما يتعلق بالقضية التي أصطلح على تسميتها بملف علي القلعي واتحاد تطاوين. وأوضح أنه تم سماع أقوال عدد من المنتسبين إلى الجامعة التونسية لكرة القدم وهم كاتبها العام والمسؤول المكلف بالعقود ونائب رئيسها ورئيس اتحاد تطاوين وكاتبه العام والموظف ببلدية تطاوين بالإضافة إلى صاحب الصك، والقيام بالمكافحات والأبحاث وسماعات معمقة دامت لأكثر من خمس ساعات بحضور ممثل هلال الشابة صاحبة الدعوى ومحاميها واللاعب الواقع عليه الفعل علي القلعي.

وأضاف الهلال أن الباحث انتهى إلى إحالة الملف برمته إلى النيابة العمومية بمحكمة تونس الابتدائية للنظر فيه ومن المنتظر إحالة كل من تورط في هذه القضية على أنظار الجهات القضائية المختصة بشبهة التحويل والتديس وتكوين وفاق إجرامي.

الهلال أوضح بأن هذا الملف وعلاوة عن مساره الجزائي سيكون له ارتدادات أخرى على مستوى القضاء الرياضي الدولي حيث من المنتظر أيضا عرض حيثياتها على المحكمة الرياضية الدولية لتقول كلمتها فيها بعد إصرار جامعة كرة القدم بكل هياكلها على التعتيم على تفاصيلها وهو أمر بديهي على اعتبارها أحد العناصر الأساسية الضالعة فيها حسب ما جاء في نص البلاغ. من جهة ثانية أكد توفيق المكشّر رئيس هلال الشابة في تصريح صحفي أن فريقه سيضمن البقاء بالرابطة المحترفة الأولى الموسم القادم وأن ملفه لدى "التاس" مدعما بعديد الحجج التي تثبت

قانونية الشكوى المقدمة ضدّ المكتب الجامعي لكرة القدم.

أي دور رقابي لسلطة الإشراف؟

عشرات المراسلات تلقتها الوزارة من أعضاء مكاتب جامعية تطرقوا خلالها لعدد التجاوزات المالية الإدارية تنتظر البث فيها من سلطة الإشراف من خلال دورها الرقابي خاصة أن الجامعات تحصل على دعم مالي عمومي كل موسم من طرف الوزارة.

ورغم أن التاريخ يذكر تدخل وزارة الرياضة في عديد الملفات وحلّها أكثر من مكتب جامعي اعتمادا على الفصل 21 من القانون الأساسي إلا أن وضعية الجامعات الرياضية تتطلب حرصا أكبر منذ البداية بتشديد المتابعة وتطوير آليات الرقابة المستمرة على مستوى التسيير المالي حتى لا يكون تدخلها متأخرا وبعد حصول التجاوزات وإهدار المال العام.

وجاء في الفصل 21 من القانون الأساسي عدد 11 لسنة 1995 مؤرخ في 6 فيفري 1995 والمتعلق بالهيكل الرياضية أنه "يمكن للوزير المكلف بالرياضة وضع حد لنشاط عضو أو أكثر من المكتب الجامعي أو جميع أعضاء المكتب الجامعي بقرار معلل في حالات التقصير أو سوء التصرف.

وعند وضع حد لنشاط نصف أعضاء المكتب الجامعي على الأقل يعين الوزير المكلف بالرياضة مكتبا وقتيا يكون من بين مهامه دعوة الجلسة العامة للانعقاد في أجل لا يتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ القرار."

وستكون وزارة الرياضة مطالبة بالحسم في عشرات الملفات المتعلقة بشبهات فساد مالي بأكثر نجاعة من خلال هياكلها الرقابية خاصة أن الأمر يتعلق بسوء تصرف في المال العمومي علما وأن الجامعات الرياضية تحصل سنويا على تمويلات كبيرة وعادة ما تطلب دعم إضافي دون أن تكون النتائج في مستوى الخطة المرسومة منذ بداية الموسم.

ويبدو أن التضييق على جامعة كرة القدم سيتواصل في الفترة القادمة في ظل المهام الرقابية لوزارة الرياضة أو من خلال القضايا المرفوعة من قبل هلال الشابة في المحاكم المدنية أو المحكمة الرياضية الدولية "التاس".

عودة قوية لوزيرة السعادة

المحترفات لكرة المضرب الصادر أمس الإثنين، غداة إحرازها لقب دورة تشارلستون الأمريكية فصعدت مرتبة واحدة على حساب الفرنسية كارولين غارسيا التي تراجعت الى المركز الخامس.

وتوجت جابر (28 عاما) باللقب الأول لهذا العام والرابع في مسيرتها الاحترافية بعد أن حرمتها عملية جراحية بسيطة في الركبة عقب خروجها المبكر من الدور الثاني لبطولة أستراليا المفتوحة من المشاركة في دورتي دبي والدوحة.

وكانت أنس قد احتلت المركز الثاني عالميا للاعبات المحترفات للتنس يوم 26 جوان 2022 بـ 4350 نقطة وهو أفضل تصنيف عالمي في مسيرتها.

ويعتبر هذا التصنيف إنجازا تاريخيا على المستوى العربي وأيضا على المستوى الإفريقي لتتخطي ما حققته أماندا كوتزر (جنوب أفريقيا) التي احتلت المركز الثالث عالميا في 1997.

وأصبحت النجمة التونسية أنس جابر أول لاعبة عربية وأفريقية تصل إلى هذا التصنيف "المركز الثاني" منذ إقرار نظام التصنيف العالمي عام 1975.

وتعتبر أنس جابر التي أطلق عليها وزيرة السعادة من أنجح الرياضيين التونسيين الذين تركوا بصمتهم عالميا وباتوا حديث وسائل الإعلام في ظل النجاح المتواصل في السنوات الأخيرة.

أحرزت لاعبة التنس التونسية أنس جابر لقب دورة "تشارلستون" الأمريكية لكرة المضرب بعد فوزها على السويسرية حاملة اللقب الموسم الماضي بيليندا بنتشيتش بمجموعتين لصفر وتثار بالتالي لنفسها من اللاعبة التي حرمتها من التتويج بلقب نفس الدورة العام الماضي.

وأصبحت أنس جابر أول لاعبة عربية في التاريخ تتوج بلقب تشارلستون، كما أصبحت ثاني لاعبة أفريقية تفوز باللقب بعد لاعبة جنوب أفريقيا أماندا كوتزر التي فازت بنسخة عام 1998.

تتويج جاء بعد بداية صعبة العام الجاري بعد أن خرجت من الدور الثالث في دورة إنديان ويلز الأمريكية ثم ودعت دورة ميامي أيضا من الدور الثاني قبل أن تتألق بشكل لافت في دورة تشارلستون حيث حققت نتائج إيجابية في الموسم الماضي عندما بلغت المباراة النهائية 2022 والدور نصف النهائي 2021.

وهذا أول نهائي تلعبه النجمة التونسية في الموسم الحالي والحادي عشر في مسيرتها لتعود إلى المركز الرابع في تصنيف رابطة اللاعبات

غول العنف يعود من جديد

بجماهير الفريقين والإصرار على عدم منح كامل طاقة استيعاب الملاعب والقاعات الرياضية لجماهير الفريق المضيف بداعي تجنب أحداث عنف إلا أن الواقع يعكس ذلك من خلال المباريات التي عرفت أحداث عنف في الأيام الماضية رغم أنها تدور بحضور جمهور الفريق المحلي فقط.

وعلاوة على رفض تأمين المباريات ليلا خاصة في شهر رمضان تصر الجهات التنظيمية على التضييق وحرمان الجماهير من أبسط حقوقهم وهو ما ينعكس سلبا على سلوك الأحياء لتكون شرارة انطلاق أعمال العنف والتخريب.

وفي غياب القرارات الردعية بشأن التجاوزات من الجماهير والأمنيين على حد سوي قطعا ستكون الطريق مفتوحة أمام الخارجين عن القانون لمواصلة التخريب والفوضى.

ويبدو أن غياب المحاسبة والضرب بأيدي حديد من قبل الجهات المسؤولة فتح باب العنف على مصراعيه ليشتد وقعه في الأيام الأخيرة مما يتطلب تدخلا عاجلا لتطويق الظاهرة وإيجاد حلول كفيلة بإنهاء الموسم بعيدا عن الفوضى والمآسي التي وقت في مناسبات سابقة وذهب ضحيتها العشرات دون أن يتم تقييم شامل مدى تعامل الجهات الأمنية مع الجماهير ومدى التزام الأخيرة بالسلوك الحضاري للمشجع على غرار ما هو موجود في الملاعب الأوروبية أو حتى العربية.



تعكس عودة "غول العنف" لقاءاتنا وملاعبنا في الفترة الأخيرة. وتأتي عودة ظاهرة العنف بالملاعب والقاعات الرياضية في وقت حاسم تعرف فيه كل الاختصاصات مرحلتها الأخيرة إما على مستوى التتويج أو تفادي النزول وهو ما ينبئ بحصول كارثة في الفترة القادمة في ظل غياب محاسبة دقيقة وضبط الأطراف التي تقف وراء اندلاع العنف في المنشآت الرياضية. ورغم أن الجهات الأمنية ترفض منذ سنوات تأمين المباريات

شهدت الملاعب والقاعات الرياضية في الأسابيع القليلة الماضية عشرات حالات العنف من قبل الجماهير والجهات الأمنية حيث تنوعت التجاوزات بين اعتداء على الأملك العمومية من خلال تهزيم التجهيزات بالمنشآت الرياضية أو الاعتداء المادي على اللاعبين والمدربين إضافة إلى المسؤولين.

آخر حلقات العنف شهدتها قاعة المرحوم الشريف بالأمين أمس بمناسبة لقاء النادي الإفريقي وضييفه النجم الرادسي في إطار المواجهة الأولى من الدور نصف النهائي للبطولة الوطنية لكرة السلة.

دقائق قليلة على انطلاق المواجهة لتتحول المدرجات إلى ساحة للمواجهة بين الجماهير والأمنيين الذين استعملوا الغاز المسيل للدموع واعتدوا على الأحياء مما تسبب في سقوط جزء من مدرج قاعة القرجاني بالعاصمة.

تدخل الأمن باستعمال الغاز المسيل للدموع والاعتداء على الجماهير بوحشية خاصة ان المباراة تدور في نهار رمضان مما أثر على اللاعبين الذين احتتموا بحجرات الملابس في ظل الاستعمال المفرط للغاز في قاعة رياضية.

نفس السيناريو شهدته قاعة المزالي بالمنستير في لقاء الاتحاد المنستيري وضييفه النادي الإفريقي أين استعمل الأمن الغاز المسيل بكثافة واعتدى بوحشية على جماهير الاتحاد في خطوة